إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم
تطهيرا

علموا أولادكم

محبة آل بيت النبي ﷺ

الدكتور
محمد عبده يماني

دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

مؤسسة علوم القرآن
بيروت

اهداءات ٢٠٠١

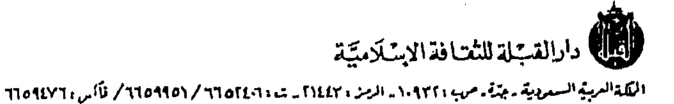
الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

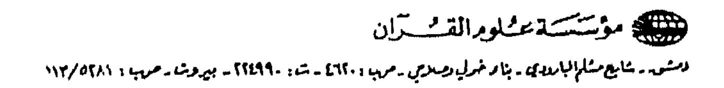

علموا أولادكم
محبة آل بيت النبي ﷺ

طبع بموجب فسح وزارة الإعلام
فرع جدة رقم ٤٧٧٤ / م / ج
١٧ / ١٢ / ١٤١٠هـ

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

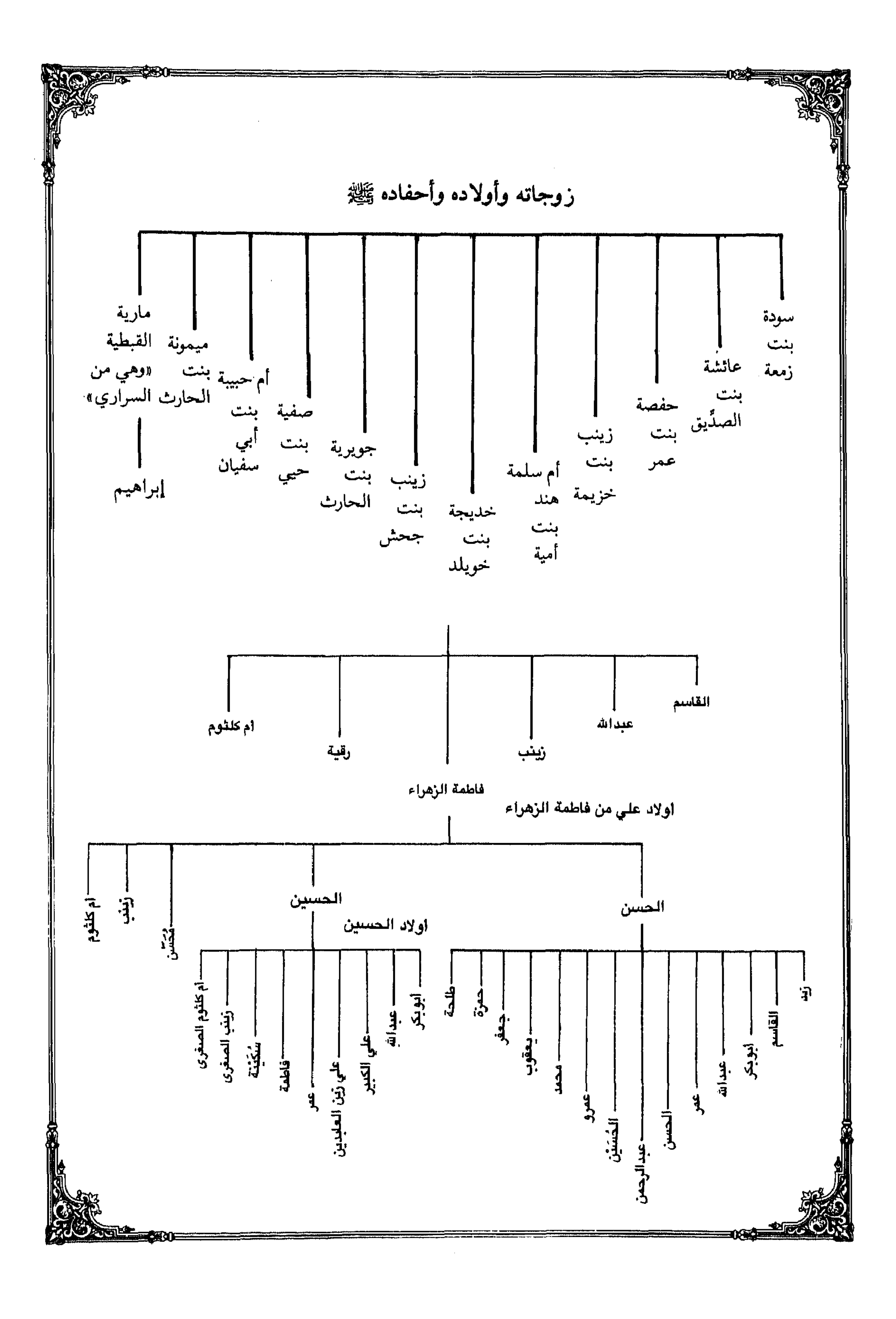




إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم
تطهيرا



الدكتور
محمد عبده يماني



زوجاته وأولاده وأحفاده ﷺ
سودة بنت زمعة
عائشة بنت الصدِّيق
حفصة بنت عمر
زينب بنت خزيمة
أم سلمة هند بنت أمية
خديجة بنت خويلد
زينب بنت جحش
جويرية بنت الحارث
صفية بنت حيي
أم حبيبة بنت أبي سفيان
ميمونة بنت الحارث
مارية القبطية «وهي من السراري»
إبراهيم
القاسم
عبدالله
زينب
رقية
أم كلثوم
فاطمة الزهراء
اولاد علي من فاطمة الزهراء
الحسن
الحسين
محسن
زينب
أم كلثوم
اولاد الحسين
أبو بكر
عبدالله
علي الكبير
علي زين العابدين
عمر
فاطمة
سكينة
زينب الصغرى
أم كلثوم الصغرى
زيد
القاسم
أبو بكر
عبدالله
عمر
الحسن
عبدالرحمن
الحسين
عمرو
محمد
يعقوب
جعفر
حمزة
طلحة

الإهداء

إليكم عترة رسول الله ﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين .

وأسأل الله أن يرزقنا الأدب معكم ويكرمنا بحبكم وحب من يحبكم وأن يجعله قربى لرسول الله ﷺ ننال بها شفاعته ونحشر تحت لوائه ونشرب من الحوض بيديه الشريفتين .

إنه سميع مجيب .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد سيد ولد آدم وخاتم النبيين، وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه أجمعين وبعد. .

فقد نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل أن يمضي على صدورها شهر واحد، بفضل من الله وتوفيقه، واشتد الطلب على الكتاب فأصدرنا هذه الطبعة منقحة ومزيدة، وقد أضفنا فصلين جديدين أولهما عن (مسؤوليات آل البيت)، وثانيهما عن (علي بن الحسين) زين العابدين وقرة عين الإسلام، وهو علم بارز من أعلام بيت النبوة الطاهر، به حفظ الله نسل السبط الشهيد رضي الله عنهما فامتدت الغصون والفروع وارفة الظلال، طيبة الشذى.

ومن الجدير بالتنويه أن الأخ المحقق الشيخ محمد عوامة حفظه الله قد لفت نظرنا إلى خطأ ورد في الصفحة الخامسة من الطبعة السابقة، في الحديث الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم: «**لكل شيء أساس وأساس الإسلام حب أصحابي وأهل بيتي**»، فقد أضيف الحديث إلى البخاري، والحديث ليس وارداً في البخاري، بل رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٧/٨٦ وفي المعجم الأوسط كما في مجمع الزوائد ج١/٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان ج٢/١٨٩ وفي إسنادهم محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى؛ قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق سيء الحفظ جداً، وحسن له الترمذي في سننه، فإلى ذلك نلفت الانتباه ونستغفر الله قائلين: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾.

وفي الختام أشكر كل الإخوة الأفاضل الذين نبهوا إلى خطأ، أو اقترحوا

إضافة أو تصحيحاً، وجزاهم الله كل خير.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأن يسددها على نهجه القويم، وسنة نبيه الكريم، وأن يوفقني إلى ما يحب ويرضى.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. محمد عبده يماني

٤/ ٧/ ١٤١٢هـ

٨/ ١/ ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

علموا أولادكم محبة آل بيت رسول الله ﷺ..

علموهم أنهم عترة رسول الله ﷺ..

وأنهم أحباب رسول الله ﷺ..

وأنهم أهل رسول الله ﷺ..

من أحبهم فقد أحب رسول الله ﷺ..

ومن أكرمهم فقد أكرم رسول الله ﷺ..

ومن أعزهم فقد أعز رسول الله ﷺ..

ومن قدرهم فقد قدر رسول الله ﷺ..

ومن وصلهم فقد وصل رسول الله ﷺ..

ومن ودهم فقد ود رسول الله ﷺ..

علموا أولادكم أن رسول الله ﷺ، ذكرنا بهم: «أذكركم الله في آل بيتي.. أذكركم الله في آل بيتي».

علموا أولادكم أن صلة آل البيت وودهم واجب..

علمـوهم أن رسـول الله ﷺ قد روي عنـه أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي» وفي رواية: «كتاب الله وعترتي وانهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

علموا أولادكم أن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي».

علموا أولادكم أن الله قد أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً.

علموهم أن مودة آل البيت واجبة.. وحبهم مطلوب..

علموهم أن حب آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ من أساس الإسلام..

علموهم أن ظلم آل بيت رسول الله ﷺ إثم عظيم وظلم كبير

علموهم أ ن يحبوا آل بيت رسول الله لله عز وجل، لقرابتهم من رسول الله ﷺ. وبعدُ:

الحمد لله المتفضل بالعطاء، المستحق لأسنى الحمد والثناء، والمعقود برحمته كل أمل ورجاء.

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، إمام الأنبياء، وخاتم المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين.

إن مقام رسول الله ﷺ وهو العبد الكامل مقام تحار فيه العقول والأفهام، وتعيا عن بيان عظمته الألسنة والأقلام، ولا يرقى إليه مجد أحد من الأنام.

وحبه ﷺ شرط الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين[1].

---

(١) رواه الشيخان.

«ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما أن يكره أن يقذف في النار»[1] فمن لم يجد حب رسول الله ﷺ يملك نفسه، ويملأ شغاف قلبه فليراجع أفعاله، ولينظر في إيمانه، حتى يعلم من أين جاءه جخود القلب، وظلمة الفؤاد.

فلا سلامة لمن لا يلهج بحب رسول الله ﷺ. والصلاة والتسليم عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين كما أمر:

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي».

ولقد يسر الله لي من قبل أن أقدم كتاباً جعلت عنوانه: «علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ وها أنذا اليوم أتشرف بأن أقدم إلى الشبيبة المسلمة ـ امتداداً لكتابي السابق ـ هذا الكتاب الذي أسميته: «علموا أولادكم محبة آل بيت رسول الله ﷺ» وهي سطور أقدمها بين يدي عجزنا وضعفنا زلفى إلى الله، وتحية لرسول الله ﷺ، ووفاء بعهده إلينا، ووصاية بآل بيته الأكرمين، وتبصرة للمؤمنين، حتى يعلموا مكانة آل البيت، ووجوب موالاتهم وتكريمهم، وثواب مودتهم وحبهم.

ولقد حرصت على تبسيط هذا الجانب المشرق من السيرة عن آل البيت لأولادنا وناشئتنا، وضمنته فصولاً توضح مفهوم آل البيت، وكيفية التعامل مع هذه العترة الطاهرة، وهذا الأصل الكريم، والشجرة المباركة لهذه السلالة الزكية.. وعملت جهدي على تيسير سيرة آل البيت، بصورة يسهل استيعابها، والاستفادة منها دون التعرض لمواطن الزلل، وجوانب

الخلاف، ولقد حرصت جهدي أن أعتمد على الروايات الصحيحة، والمصادر الموثوقة، والأقوال والأفعال من الأسانيد المعتمدة.

ولقد تهيبت كثيراً وتريثت كثيراً، ثم عزمت أمري وتوكلت على الله، فجاء العمل على هذا النحو الذي أسأل الله عز وجل أن يكتب له القبول والتوفيق، ويجعله مباركاً نافعاً، ويثيبني عليه، وسؤالي إلى الله عز وجل: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا».

محمد عبده يماني

٢١ القعدة ١٤١٠ هجرية

من هم آل البيت

أهل البيت هم أولى بالنبي الكريم ﷺ. . ونحن أولى باحترامهم وتوقيرهم ومحبتهم وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[1].

وهم الذين أمر الرسول ﷺ بالاقتداء بهم ولزوم منهجهم: «إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي»[2]، وفي رواية: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[3].

وهم الذين جعل الله حقهم في الفيء والخمس: ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. . ﴾[4]. . وقال تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾[5].

---

(١) الأحزاب/٣٣.

(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائي والترمذي.

(٣) مسلم حديث رقم (٢٤٠٨) في كتاب فضائل الصحابة باب (فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه من حديث زيد بن أرقم (١٨٧٣/٤)، الترمذي رقم (٣٧٨٦، ٣٧٨٨) وأحمد في المسند من حديثه ومن طرق أخرى (١٤/٣، ١٧، ٢٦، ٥٩، و ٢٢٦/٤، ٣٦٧، ٣٧١) وفي الفضائل (١١٦٧). وقال العلماء: سميا الثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما، (غريب الحديث للخطابي ١٩٢/٢)، وعترة الرجل هم: أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه. معجم مقاييس اللغة (٢١٧/٤).

(٤) الحشر/٧.

(٥) الأنفال/٤١.

وهم الذين نزّههم الله عن الصدقة والزكاة: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة»[1].. وهم الذين أكرمهم الله بأنْ جعل الصلاة عليهم مطلوبة في كل صلاة.

أخرج الترمذي والحاكم ـ وغيرهما ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: لما أنزل الله هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾[2].. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال ﷺ: «اللهم هؤلاء أهلي»[3].

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أم سلمة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[4]، أدار النبي ﷺ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ـ فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[5].

---

(١) البخاري رقم (١٤٩١، ٣٠٧١) في (الزكاة) باب (ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ) وفي (الجهاد) باب (من تكلم بالفارسية والرطانة) فتح الباري (٣/٤١٤، ٦/٢١٢) ومسلم: رقم (١٠٦٩) في (الزكاة) باب (تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وأهل بيته) (٣/٤٦). وأبو داود رقم (١٦٥٠) في (الزكاة) باب (الصدقة على بني هاشم)، والنسائي (٣/٢٤٨) وابن ماجه رقم ١١٧٨). وأحمد في المسند (١/٢٠٠، ٢/٤٠٩، ٤١٠، ٤٤٤، ٤٧٦).

(٢) آل عمران/٦١، وتسمى بآية المباهلة، من الابتهال: وهو الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره.

(٣) الترمذي: رقم (٢٩٩٩) في التفسير، باب (ومن سورة آل عمران) (٥/٢١٠) وقال الحديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والحاكم في «المستدرك»، (٣/١٥٠) وصححه ووافقه الذهبي وهو جزء من حديث طويل. رواه مسلم رقم (٢٤٠٤) في (فضائل الصحابة) باب (من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) (٤/١٨٧) والترمذي رقم (٣٧٢٤) في (مناقب علي رضي الله عنه) (٥/٥٩٦).

(٤) الأحزاب/٣٣.

(٥) أحمد في المسند (١/٣٣١، ٣/٢٥٩، ٢٨٥، ٦/٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٤)، والترمذي رقم (٣٢٠٥، ٣٧٨٦) في (التفسير) باب (ومن سورة الأحزاب) وفي المناقب باب (مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٥/٣٢٨ و ٦٢١) ورقم (٣٨٧٠) في (فضل فاطمة رضي الله عنها) وقال حديث حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (٣/١٤٦). والطبراني في «الكبير» من عدة طرق (٣/٤٦ ـ ٥١) من رقم (٢٦٦٣ ـ ٢٦٧٣).

وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بماء يدعى خما[1] بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر وآل عباس،قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم)[2].

وفي الصحيح: «اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته»[3].

وكذلك علمنا الرسول ﷺ أن نقول: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد،

---

(١) اسم لغيضة على نحو ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم. (معجم البلدان (٤/١٨٨).

(٢) مسلم: حديث رقم (٢٤٠٨) من كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) (٤/١٨٧٣). وأحمد في المسند (٢/١١٤، ٤/٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣ وفي الفضائل (١١٦٧). والحاكم في المستدرك (٣/١٠٩) والدارمي (٢/٤٣١) وابن حبان (٢٢٠٥ ـ موارد الظمآن) والبزار (٣/١٨٩) كشف الأستار). والطبراني في «المعجم الكبير» من طرق كثيرة وأسانيد عديدة إلى زيد بن أرقم (٥/١٨٥).

(٣) البخاري: حديث رقم (٣٣٦٩، ٦٣٦٠) في كتاب (الأنبياء) وفي (الدعوات) باب (هل يصلى على غير النبي ﷺ ؟) وقوله تعالى (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) (٦/٤٠٧، ١٢/١٦٩). مسلم: رقم (٤٠٧) في (الصلاة) باب التشهد (١/٦٠٠). مالك في الموطأ في كتاب (السفر) (١/١٦٥)، وابن ماجة (٩٠٥). والنسائي في (السهو) باب (كيف الصلاة على النبي ﷺ) (٣/٤٩). وأحمد في «المسند» (١/١٦٢، ٣/٤٧، ٤/١١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٥/٢٧٤، ٤٢٤).

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

ونخلص من هذا إلى أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين هم أهل الكساء بنص الحديث ـ حديث الكساء ـ وحديث المباهلة ـ وأن أزواجه ﷺ من أهل البيت بعموم الآية الكريمة وبمنطوق حديث الصلاة عليه وعلى أزواجه وذريته. وأن آل علي وجعفر وعقيل وعباس رضي الله عنهم، من حرّم الله الصدقة عليهم بمقتضى حديث: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة» والقرابة والقربة درجات، فمع أن العباس عم النبي وأقرب عاصب له فقد قُدِّمَ عليه عليٌ رضي الله عنهما بإجماع، لأن القرابة هنادعمت قرابة علي[2].

ونحن ـ المسلمين ـ نتولى آل البيت بالحب والتقدير والإعزاز والمودة والاتباع والاقتداء، وقد تعبدنا الله تعالى بالصلاة والسلام عليهم، وجعل ذلك في الصلاة قبل التسليم، مقروناً إلى الصلاة والتسليم على سبب شرفهم، وتاج مجدهم، سيد الأولين والآخرين محمد عليه الصلاة والسلام. كما نجل الصحابة الكرام ونحبهم ونقدرهم ونعرف فضلهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) البخاري: رقم (٦٣٥٧) في كتاب (الدعوات) باب (الصلاة على النبي ﷺ) وفي (الأنبياء) باب قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ وفي (تفسير سورة الأحزاب عند قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ (فتح الباري) (١٥٣/١١). ومسلم رقم (٤٠٦) في كتاب (الصلاة) باب (الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد) (٣٠٥/١). والترمذي رقم (٤٨٣) في كتاب (الصلاة) باب (ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ (٣٥٢/٢، ٣٥٣). وأبوداود: رقم (٩٧٦) في (الصلاة) باب (الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٥٩٨/١). والنسائي: في كتاب (السهو) باب (كيف الصلاة على النبي ﷺ) (٤٧/٣). وابن ماجه: رقم (٩٠٤) في (إقامة الصلاة) باب (الصلاة على النبي ﷺ) (٢٩٣/١). وأحمد في المسند (٢٤١/٤، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) لأن القرابة والقربى تكون من الرحم والقربة من المنزلة.

وعلى هذا فأهل البيت أصل وفرع ونسب وصهر، أصلهم الأصيل ومجدهم الأثيل سيد العالمين رسول الله الأعظم ﷺ وزوجه الأولى الكاملة أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها. ثم ما تناسل منهما ممن مات صغيراً، أو عاش وتزوج وأنجب ـ وقد قدر الله أن يكون فرع الدوحة النبوية كله من طهر الزهراء فاطمة، وظهر الكريم الإمام علي الكرّار ـ كرم الله وجهه ـ. وتمثل ذلك في الإمامين الجليلين والريحانتين الزكـيتين السيد الحسن، والسيد الحسين. وما مد الله من نسلهما في الأعقـاب زكياً ومطهراً، ثم يمتد ظل الدوحة النبوية المباركة فيضم أزواج النبي جميعاً أمهات المؤمنين المكرمات المطهرات ـ ويجمع إليه عصبة النبي ﷺ من بني جعفر وعقيل والعباس، ولكل قدره ومقامه وقربه من رسول الله ﷺ، وكلهم لرسول الله ينتسب.

وسنعرض في الصفحات التاليات لأعلام هذه الدوحة المباركة من نسل خديجة رضي الله عنها إلى بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما إلى ذريتهما ـ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وعلي زين العابدين رضي الله عنهم أجمعين ـ وسوف أحاول التبسيط والتيسير حتى نقرب هذه السيرة العطرة وهذه الدوحة المباركة للناشئة من أولادنا، وللمسلمين جميعاً.

ونشهد الله على حبنا لهم كحب أصحاب رسول الله ﷺ لهم دون خروج بالحب إلى مزالق الغلو فلا نرفعهم فوق منزلتهم فهم جميعاً عباد مكرمون، أمرنا بحبهم وتوقيرهم فسمعنا وأطعنا. والعاقل المؤمن يدرك أن من بر آل البيت وإكرامهم وتوقيرهم عدم الغلو فيهم، أو رفعهم فوق منزلتهم، أو أن يضاف إليهم ما ليس لهم.

إن قدرهم رفيع والحمد للّه..
ومكانتهم عالية والحمد للّه..
ونسبهم طاهر شريف وأصلهم كريم.
وسيرتهم عطرة.. وفعلهم حميد.

وما علينا إلا الالتزام بالأدب معهم، وإعطاؤهم حقوقهم، ومحبتهم بمثل ما أمرنا الله عز وجل، وبمثل ما أوصانا سيدنا محمد ﷺ، وبالكيفية التي أحبهم بها صحابة رسول الله ﷺ

نسأل الله تعالى أن يزيدنا حباً به، وحباً برسوله، وحباً بآل بيته الكرام، وحباً لأصحابه الغر الميامين، وموالاة لهم، وأن يجعلنا ممن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وأن لا يجعل في قلوبنا غـلاً لأحد منهم، كمـا وصف رب العـزة المؤمنين به فقال: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

فضل آل البيت.. عموماً

وردت الأحاديث الكثيرة الدالة دلالـة قطعيـة على فضل آل بيت النبي ﷺ عامة، ووجوب حبهم الحب المؤكد، نذكر منها:

١ ـ ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»[١].

وروى البخاري أيضاً عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي»[٢].

٢ ـ وروى مسلم عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[٣].

٣ ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري حديث رقم (٣٧١٣، ٣٧٥١) في (فضائل الصحابة) باب (مناقب قرابة رسول الله ﷺ) فتح الباري (٧/٧٨).

(٢) البخاري رقم (٣٧١٢) في (فضائل الصحابة) باب (مناقب قرابة رسول الله ﷺ). فتح الباري (٧/٧٨).

(٣) سبق تخريج الحديث

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[1].

٤ ـ وروى الطبراني عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ:

ألا تهنوني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب، إلا سببي ونسبي»[2].

٥ ـ وروى أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل ـ ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[3].

٦ ـ وروى الحاكم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»[4].

٧ ـ وروى الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ قلت: بلى فأهدها إلي. قال سألنا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم

---

(١) اخرجه الترمذي في (المناقب) باب (في مناقب أهل بيت النبي ﷺ).
وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه (٥/٦٦٤). والحاكم في (المستدرك) (٣/١٥٠) وقال) «هذا حديث صحيح الإسناد». ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١٧٣) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة.

(٣) مسند أحمد (٥/١٨٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/١٦٢) رواه أحمد وإسناده جيد.

(٤) «المستدرك» (٣/١٥٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

أهل البيت؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[١].

٨ ـ وروى الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ بايع الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر ولم يبقلوا[٢] ولم يبلغوا، ولم يبايع صغيراً إلا منا»[٣].

٩ ـ وروى أبو يعلى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «خيركم خيركم لأهلي من بعدي»[٤].

١٠ ـ وأخرج الحاكم وصححه عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال وهو آخذ بباب الكعبة: «من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[٥].

---

(١) وقال الحاكم في «المستدرك» عقب هذا الحديث: وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفاً بعد حرف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عن موسى بن إسماعيل في الجامع الصحيح. ورواية البخاري هكذا: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

(٢) يبقلوا: بقل وجهه: إذا نبتت لحيته.

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٠) وقال: رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات.

(٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٧٤) وقال رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٥) «المستدرك» (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١) وقال الذهبي «مفضل واه» وأخرجه الحاكم أيضاً (٢/ ٣٤٣) وصححه على شرط مسلم وتعقبه الذهبي بقوله: «مفضل خرج له الترمذي وقد ضعفوه. وله شاهد عن ابن عباس أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٠٦) وفي إسناده الحسن بن أبي جعفر. وعن عبد الله بن الزبير ذكره في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٦٨) وعزاه إلى البزار =

١١ ـ وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[١].

١٢ ـ وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا لأهله، فذكر علياً وفاطمة وغيرهما، فقلت يا رسول الله (أنا من أهل البيت)؟ قال: «نعم ما لم تقم على باب سدّة أو تأتي أميراً تسأله»[٢].

١٣ ـ وعن أبي جميلة أن الحسن بن علي حين قتل علي استخلف، فبينما هو يصلي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرّض[٣] منها شهراً ثم قام فخطب على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال عز وجل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[٤]. فما زال يومئذ يتكلم حتى ما نرى في المسجد إلا باكياً[٥].

١٤ ـ وأخرج الترمذي من حديث أنس قال: (كان رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ يمر بباب فاطمة إذا خرج للصلاة قريباً من ستة أشهر فيقول «الصلاة أهلَ البيت» ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾)[٦].

= وقال فيه ابن لهيعة وهو لين. وعن أبي سعيد الخدري أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٢/٢) وقال في «المجمع» (١٦٨/٩) وفيه جماعة لم أعرفهم.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد رجاله ثقات (٣٦/٣) رقم (٢٦٣٣، ٢٦٢٥) وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٣٥٤) وانظر «مجمع الزوائد» (١٧٣/٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» بإسناد رجاله ثقات، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣/٩.

(٣) ترمض: لزم بيته. (٤) سورة الأحزاب ٣٣.

(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد رجاله ثقات والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٢/٩).

(٦) الترمذي في (التفسير تفسير «سورة الأحزاب» وحسنه (٦٨/٩) وانظر تفسيرها «فتح القدير» (٢٧٨/٤).

١٥ ـ وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شملة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: «اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راض»[١].

١٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «إني وإياكِ وهذا الراقد ـ يعني علياً ـ والحسن والحسين يوم القيامة لفي مكان واحد»[٢].

١٧ ـ وأخرج أحمد والترمذي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «من أحب هذين يعني الحسن والحسين ـ وأباهما، وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[٣].

١٨ ـ وعن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة وحسن وحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[٤].

اللهم ارزقنا حبك، وحب نبيك محمد ﷺ وحب أصحابه أجمعين، وحب آل بيته الطيبين المطهرين واحشرنا معهم تحت لواء سيد الأولين والآخرين، وأدخلنا الجنة مع الأبرار، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الشملة: كساء يشتمل فيه، والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» بإسناد رجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة «مجمع الزوائد» (١٦٩/٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٣٧/٣) وصححه ووافقه الذهبي. وهو في «كنز العمال» برقم (٣٤١٧٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٧٧/١) والترمذي في «مناقب علي بن أبي طالب» (تحفة: ٢٣٧/١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه».

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححاه، وانظر تخريجه في فصل (السيدة فاطمة الزهراء).

السيد والشريف

يطلق الناس على نسل آل البيت لقب السيد ولقب الشريف، وقد جهدت أن أجد فرقاً حقيقياً بين السادة والأشراف، وحتى نتعرف على المقصود بهذين اللقبين، نرجع إلى أصل استعمالهما في اللغة.

السيد

يقول لسان العرب «السيد»: السيد يطلق على رب العمل والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم، ومحتمل أذى قومه، والزوج، والرئيس والمقدم.. يقول ابن شميل: السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد.

وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه.

وقال قتادة: هو العابد الورع الحليم.

وقال أبو خيرة: سمي سيداً لأنه يسود الناس أي أعظمهم.

وفي الحديث يا رسول الله.. من السيد؟. قال: يوسف بنُ يعقوب ابن إسحقٰ بن إبراهيم عليه السلام، قالوا فما في أمتك من سيد؟ قال: بلى من آتاه الله مالاً ورزق سماحة، فأدى شكره، وقلت شكايته في الناس.

وفي الحديث كل بني آدم سيد، فالرجل سيد أهل بيته، والمرأة سيدة أهل بيتها. وفي الحديث أنه قال في الحسن بن علي رضي الله عنهما: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

وسمى الله يحيى سيداً وحصوراً، ولعل المراد به ـ والله أعلم ـ أنه فاق غيره عفة ونزاهة عن الذنوب.

وفي الحديث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقد قال بعض الصحابة عندما أعتق أبو بكر رضي الله عنه بلالاً رضي الله عنه: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا».

وقال ﷺ للأنصار: «قوموا لسيدكم» يعني سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، ومعلوم أن سعد بن معاذ في الأنصار مثل أبي بكر في المهاجرين.

الشريف

يقول في لسان العرب:

الشرف: الحسب بالآباء، شرف يشرف شرفاً، وشرفه شرفةً وشرافةً فهو شريف، والجمع أشراف، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، ويقال رجل شريف، ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف. قال والحسب والكرم يكونان، وإن لم يكن له آباء لهم شرف.

ويقول صاحب القاموس المحيط:

الشرف محركةً العلو والمكان العالي والمجد، ولا يكون إلا بالآباء أو علو الحسب. أ. هـ.

ولقب شريف: «أطلق على الهاشميين في العصور الأولى من الإسلام، كاسم علم لهم، وأول هاشمي رأيته نعت بالشريف، هو الشريف الرضي وأخوه المرتضى رحمهما الله، وقد اختلفت أقاليم الإسلام في إطلاق هذا النعت على الهاشميين، فأهل العراق كانوا لا يسمون شريفاً إلا من كان من بني العباس، وكثير من أهل الشام وغيرهم كأهل مصر لا يسمون شريفاً إلا من كان من ولد علي بن أبي طالب، بل لا يسمون شريفاً إلا من كان من ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وأما في الحجاز، فكان لا يطلق إلا على من ولي إمرة مكة من الحسنيين، فيقال شريف مكة، وأما من لم يلها منهم فينعت بالسيد، وقد رأيت كثيراً من وثائق الأشراف القديمة لا ينعت فيها أحد بالشريف إلا إذا كان من أمراء مكة، والديباجة المتبعة فيما رأيت من حجج ووثائق إذا لم يكن صاحبها من الأمراء، تقول حضر السيد فلان بن السيد فلان، وإذا كان في آبائه أحد من أمراء مكة نعت بالشريف فيقال حضر السيد فلان بن سيدنا الشريف فلان، ولكن لكثرة من ولي مكة من الأشراف وانتساب أكثر قبائل الأشراف في الحجاز إلى جد هو ممن ولي مكة أصبح يطلق كاسم علم عليهم وأشراف الحجاز جلهم حسنيون»[1].

ونفهم مما سبق أن الشرف والسيادة يعنيان التفوق والتميز والعلو المعنوي والمادي، إلا أنهم جعلوا لقب السيد عاماً في كل من تفوق وعلا، ويخصون لقب الشريف بمن ورث آباءه في سبقهم وتميزهم.

ولكنا نجد في عصرنا هذا بعض الناس يخصون أولاد الحسين رضي الله عنه بلقب السيد بينما يجعلون لقب الشريف لأولاد الحسن رضي الله عنه، ولعلهم يلحظون في ذلك أن الإمام الحسن بويع خليفة بعد استشهاد أبيه رضي الله عنه، بينما الإمام الحسين لم تنعقد له البيعة.

ولهذا نجد بعض الناس يجعلون لقب الشريف لكل من ولي الحكم من آل البيت ولذريته، ويجعلون لقب السيد لأخيه وأبناء عمومته وذرياتهم وهناك من يلقبون أبناء الحسن بلقب السيد للحديث الوارد في حق أبيهم: «إن ابني هذا سيد» وهذا عكس السابق.

ولكن كثيراً من البلاد الإسلامية لا تفرق بين اللقبين وتطلقهما أو أياً منهما على كل من هو من نسل آل البيت، سواء كان حسنياً أم حسينياً، ونجد حواراً بين الباحثين حول نسبة أبناء وذرية البنات من آل البيت هل هم مثل ذرية الذكور سادة وأشراف أم لا.

---

(١) كتاب «قبائل الطائف وأشراف الحجاز» للشريف محمد بن منصور آل زيد ص ٣٩.

والحقيقة أن الجميع أشراف ومن آل البيت، ويقولون في ذلك: «ابن أخت القوم منهم».

ويستدلون في ذلك بالآيات الكريمة من سورة الأنعام التي تتحدث عن ذرية إبراهيم عليه السلام: «ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين» (الأنعام / ٨٤ ـ ٨٥).

هل هناك فرق بين السيد والشريف:

بعد هذا العرض السابق لمعنى الشريف والسيد في اللغة، ولما يصطلح عليه بعض الناس من تخصيص بعضهم بلقب الشريف وآخرين بلقب السيد. . أقول:

إن الفرق اللغوي يجعل اللقبين متداخلين، حتى لو قلنا بعموم لقب السيد وخصوص لقب الشريف كما أسلفنا.

لأن الجميع ينتسب إلى رسول الله ﷺ، وهو سيد ولد آدم ولا فخر، وهو إمام الأمة وقائدها وهاديها إلى صراط الله المستقيم.

وكل ذريته ﷺ ورثت عنه هذا الشرف، وتلك السيادة ولا يبلغ ملك بعضهم في فترة ما بعده أن يتفوق على شرف الانتساب إليه ﷺ والذي يتساوى فيه من حكم منهم ومن لم يحكم، لأن الشرف هنا شرف النبوة، وهو لا يقاس به أبداً شرف الحكم والملك. وواضح هنا أن هذا الشرف مرهون بتحقيق الإيمان، لأنه لا شرف مع الكفر، ولا سيادة إلا بالإيمان وطاعة الله ورسوله، لأن شرف النبوة في حقيقته شرف إيمان وجهاد وليس مجرد آباء وأجداد، ولقد نفى الله عن نوح عليه السلام ولده الكافر وأخرجه من أهله، فقال: «يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح» (هود ٨: ٤٦).

وإذا كان الكفر ينفي التوارث في المال، فمن باب أولى ينفي

التوارث في الشرف الأعلى، أما وقوع المعصية فعلى رجاء التوبة لا ننفي هذا النسب.

ولقد ذكر الرسول الكريم بقاء أخوة الإسلام مع وقوع المعصية الموجبة للحد فقد أثنى على الصحابي الذي أعان رجلاً أقيم عليه الحد، وقال عنه: «لأنه رحم أخاه المصاب» فسمى المحدود بقطع اليد أخاً للصحابي الذي واساه وأعانه.

وننتهي إلى أنه لا فرق بين السيد والشريف، وكل ما ينقل في ذلك مجرد عرف محدود بجهة ما، وليس عرفاً عاماً، فكل سيد شريف وكل شريف سيد.

ومعلوم أن عيسى عليه السلام هو ابن مريم عليها السلام وليس له أب ذكر من ذرية إبراهيم ومع ذلك ذكرته الآية منسوباً إلى أبيه إبراهيم ﷺ.

وهذا دليل في نسبة أبناء البنات إلى جد أمهم.

والخلاصة أن السادة والأشراف هم من ذرية فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وسيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ولا فرق بين اللقبين من ناحية النسب، وشرف الانتماء إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فكلهم لرسول الله ﷺ منتسب، وكلهم حري بالتقدير والاحترام والمودة امتثالاً لأمر الله عز وجل: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

ومما هو جدير بالذكر أن الذرية الطاهرة من نسل السبطين الكريمين الحسن والحسين منتشرة في معظم الأقطار الإسلامية ولهم حيثما وجدوا كبيرهم الذي يرجعون إليه في الأمور المهمة، وغالباً ما يكون من العلماء الفضلاء، ويحمل لقب نقيب الأشراف، ويحتفظ بشجرة النسب الشريف المبين لأرومة آل البيت سواء كانوا من جهة جدهم الحسن أو جدهم الحسين رضي الله عنهما، وقد نجد بعض آل

البيت منتسبين إلى الحسن أو الحسين مباشرة، وقد يحملون ألقاباً أخرى تبعاً للجد الذي ينتسبون إليه.

وقد هاجر بعض آل البيت من أحفاد الحسين رضي الله عنه من البصرة إلى الحجاز في أوائل القرن الرابع الهجري، ثم إلى حضرموت حيث كان شرق الجزيرة العربية تحت سيطرة الخوارج وتأثير القرامطة، وفي حضرموت نشط آل البيت في الدعوة إلى نبذ تلك المذاهب الهدامة، والعودة إلى الإسلام الصحيح، نشروا المذهب الشافعي، ولقي آل البيت تأييداً كبيراً وخاضوا معارك مظفرة حتى تاب كثير من المنحرفين،وعادوا إلى النهج المستقيم وقضي على أهل الأهواء والأحقاد، ثم ما لبث بعض آل البيت أن ركبوا البحر إلى الشواطىء الهندية بقصد التجارة والدعوة إلى الله عز وجل فحققوا نجاحاً آخر كبيراً هناك، ثم هاجر بعض هؤلاء من الهند إلى جزر أرخبيل بحر الصين للتجارة والدعوة إلى الإسلام، وخرج بعضهم من حضرموت مباشرة إلى تلك الجزر حاملين معهم الرسالة الإسلامية، وقد لقي هؤلاء نجاحاً كبيراً في الدعوة، فدخل في الإسلام كثير من الناس، وأصهر بعضهم إلى الملوك والأمراء في تلك الجزر فتأسست دول إسلامية، ونشط هؤلاء مع سكان البلاد في الدعوة، وكانت لهم سفن خاصة لهذا الغرض تحملهم إلى تلك الجزر التي تعد بالآلاف، وبذلك انتشر الإسلام في جزر ماليزيا وأندنوسيا والفيلبين والملايو وجاوة وصومطرا، ثم نزل بعض هؤلاء الدعاة البر الصيني فوصل الإسلام إلى بورما وتايلاند وكمبوديا وكثير من البلاد المجاورة.

واستقر المهاجرون من أهل البيت في تلك البلاد النائية بعد أن توثقت صلاتهم وروابطهم الاجتماعية ومصالحهم الدينية والدنيوية مع سكان البلاد الأصليين، وما زالوا محتفظين بأنسابهم التي تربطهم بآل

البيت وبأخلاقهم الرفيعة وشمائلهم الكريمة حتى هذه الأيام. وكذلك الحال في الهند وباكستان وسائر البلاد الإسلامية.

ولم تقتصر هجرة آل البيت إلى الهند والبر الصيني وجزر أرخبيل جنوب شرق آسيا، بل ركب بعضهم إلى أفريقيا في شواطئها الشرقية والجنوبية، وحين تعرض الأدارسة في شمال أفريقيا ـ وهم منتسبون إلى آل البيت للقهر والاضطهاد هاجر كثير من آل البيت فراراً بأنفسهم من الظلم، وذهب بعضهم إلى أواسط أفريقيا أو جنوبها أو غربها، لذلك فإننا لا نستغرب وجود أناس ينتسبون إلى آل البيت في القارة السوداء، فذلك حقيقة تاريخة ثابتة، وفي الحديث: (الناس مؤتمنون على أنسابهم) ولكن هذا لا يمنع من الاحتياط والتحري، لأن بعض الناس يدعون هذا النسب أو غيره من الأنساب بغير حق، فإذا شك أحد بصحة دعوى من ادعى هذا النسب الطيب المبارك فإن له أن يطلب البينة .

آل بيت رسول الله ﷺ
هل تحل لهم الصدقة؟

الصدقة نوعان، صدقة الفرض، وهي الزكاة، وصدقة التطوع، يقول الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[1]، قال المفسرون: هي الزكاة، أي الصدقة المفروضة.

وليس هناك خلاف في أن الصدقة بنوعيها لا تحل لرسول الله ﷺ ، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي ثم أرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها» يعني - ﷺ - من يده).

وصدقة الفرض، كما تحرم عليه ﷺ، تحرم على آله رضوان الله عليهم، سمع ابن زياد أبا هريرة يقول: «أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: كَخْ كخ (بالفتح وسكون الخاء، ويجوز كسر الكاف مع تنوين الخاء) ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»[2].

ولكن في حرمة صدقة التطوع على آل البيت خلاف، فللشافعي رضي الله عنه فيها قولان، أصحهما بالحرمة.

وسبب حرمة الصدقة أو الزكاة على آل البيت الطاهرين أوضحه سيدنا محمد ﷺ، في حديث شريف طويل نأخذ منه هنا قوله عليه الصلاة

---

(١) التوبة ١٠٣.

(٢) رواه الشيخان.

والسلام: «(إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)» قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث من صحيح مسلم: «(ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾، فهي كغسالة الأوساخ.. وفي هذا تنزيه لهم، وإعلاء لمكانتهم، والتنويه بطهارتهم، رضي الله عنهم).

ولهذا لم يكونوا يأخذون شيئاً من الصدقات في عهد رسول الله ﷺ، ولا بعد ذلك، وكانوا يأخذون نصيبهم من خمس الغنائم، يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنفال: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى[1]... ﴾ الآية. قال المفسرون قوله تعالى ﴿ وللرسول ﴾ أي سهم من الخمس يعطى لرسول الله ﷺ، ﴿ ولذي القربى ﴾ أي قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم، عد بعضهم - وعلى رأسهم الإمام الشافعي - بني المطلب من ذوي القربى المشار إليهم.. ﴿ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ كل هؤلاء في الخمس.

وبهذا الخمس الذي يشترك فيه آل البيت مع غيرهم، كان قرابة رسول الله ﷺ في غنى عن الزكاة لقضاء حاجاتهم والحصول على متطلبات معاشهم، وكان خيار الناس من الأثرياء يهادونهم تحبباً إليهم، لقرابتهم من رسول الله ﷺ وفي الحديث الشريف: «تهادوا تحابوا»، والهدية لهم جائزة، وكان ﷺ يأكل من الهدية.

ودار الزمان دورته، فضعفت شوكة المسلمين، ولم تعد لهم انتصارات ولم تعد لهم غنائم، فضعفت ثم توقفت الإمدادات لآل البيت لأن المصدر الرئيسي كان الغنائم، ولا غنائم.. وكانت الدنيا فيها بقية من الخير، فكان بعض الموسرين والاثرياء يجرون لهم ما يغنيهم عن المسألة، وتكفف الناس، ولا يحوجهم إلى أحد، ولا لأخذ صدقة من أي نوع...

أما اليوم، فقد أصبح الحال كما نرى؟ فماذا يفعل آل البيت والحال هذه؟

---

(١) الأنفال ٤١.

صحيح أن أمة محمد ﷺ مرحومة، ولن ينقطع الخير منها، لكن قل أهل الخير، الذين يتفقدون أحوال أهل البيت ويسدون ثغراتهم، ويلبون حاجاتهم، ويراعون حرماتهم، واشتغل الناس ـ إلا من رحم ربك ـ بدنياهم حتى عن أقاربهم، فضلاً عن جيرانهم، فضلاً عن آل البيت.

ولكن الدين يسر، والاستطاعة شرط في التكليف، ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾، والضرورات تبيح المحظورات، وقد علق سيدنا عمر رضي الله عنه حد القطع في عام الرمادة، ووافقه على ذلك الصحابة الذين يبلغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلا الله، حتى قال أحدهم لعمر رضي الله عنه: (والله إن اعوججت، لنقومن اعوجاجك بسيوفنا. . .).

وفي ضوء هذا التشريع الإسلامي الحكيم الذي يراعي الظروف، ولا يميل مع الاهواء، أفتى كثير من العلماء المرموقين بحل الزكاة لآل البيت ـ فقرائهم دون أغنيائهم بطبيعة الحال. . .

ففي شرح منح الجليل على مختصر خليل، لعليش المالكي:

ومحل عدم إعطاء بني هاشم إذا كانوا اغنياء أو أعطوا ما يكفيهم من بيت المال فإن لم يعطوا شيئاً منه أو أعطوا منه ما لا يكفيهم وأضرهم الفقر، فإعطاؤهم أفضل من إعطاء غيرهم، وإن لم يصلوا إلى إباحة أكل الميتة خلافاً للباجي، صيانة لهم عن خدمة ذمي أو ظالم أو اكتساب حرام كمكس. (جـ ١ ص ٣٧٠).

وفي جواهر الإكليل على مختصر خليل مثله معللاً بـ (صيانة لهم عن تعاطي الأمور الخسيسة. ص ١٣٨).

ونص كلام الخطاب عند قول خليل أو حرمة الصدقتين عليه وعلى آله.

قال: وعلى آله بني هاشم فقط ولو من بعضهم لبعض، والمعتمد عدم حرمة التطوع على الآل، ومحل حرمة الفرض إن أعطوا من الفيء ما يستحقونه وإلا جاز إن أضر الفقر بهم، وإن لم يصلوا إلى حل أكل الميتة.

وليس معنى هذا أن يشجع آل البيت على البطالة، والتسكع والخمول، اعتماداً على ما يصلهم من الهدايا والصدقات التي هم أحق الناس بها، إكراماً لقرابتهم من رسول الله ﷺ، نعم هم أحق الناس بها، وإن كانت في الأصل محرمةً عليهم.. شرط أن يعمل القادر منهم على العمل، فما احتاج إليه ـ بعد الكد والكدح والجد ـ سدد له من الزكاة، إن لم يجد من أقربائه ومن أهل الفضل من يقوم له بذلك.

ومع ذلك فعلى المسلمين ألا يضطروا آل البيت للأكل من الزكاة، ولا للأكل من حرام.. لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[1] والمودة في القربى مثلها مثل الإيمان، يمكن أن يدعيها أي أحد، ولا يصدق هذه الدعوى إلا العمل، فالله تعالى إذا قال: ﴿ الذين آمنوا... ﴾ كثيراً ما يردفها بقوله تعالى ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ لأن الإيمان هو ما وقر في القلب، وما وقر في القلب لا يعلمه إلا الله، وإنما يصدقه العمل.. فكذب من يدعي مودة أهل البيت ثم يتقاعس عن نصرتهم، أو الإحسان إليهم، وبذل الوسع في تحقيق مطالبهم، بل وتقديم الصالحين منهم على نفسه وولده وكل عزيز لديه... فما بالك بمن يؤذيهم أو يغمطهم حقوقهم.

إذا كان في أكل المحتاج من آل البيت للزكاة أو الصدقة إثم، فإنما إثمه على الأغنياء الذين ينامون عن حقوق آل البيت التي دعا إليها القرآن في صريح آياته، وحث عليها رسول الله ﷺ في الثابت الصحيح من أحاديثه.

من هذا نرى أننا لا نطلق إباحة الزكاة لأهل البيت، وإنما نقيدها بما رأيت من القيود: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾، وقد يعود الإثم على من اضطره إلى ذلك.

والله يقول الحق.. وهو يهدي السبيل.

---

(١) الشورى ٢٣.

ماذا تفعل إذا أساء إليك أحد من آل البيت؟

نعم ماذا تفعل؟

هل هذا يعني أن هناك قوانين سماوية خاصة بالتعامل مع أهل البيت إذا ظلم واحد منهم غيره، ممن لا يدخل في زمرة آل البيت؟

إن الشرع واحد، والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، فهم جميعاً سواسية أمام الله عز وجل.. «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1]، هكذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ومن أحب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من فاطمة، ومن أقرب وأقوى شخصية من فاطمة البتول الطاهرة المطهرة، التي لو لم يلحقها نسبها بآل البيت، لألحقها بهم طهرها، وصفاؤها، وخلقها، وعملها الصالح، على الأقل مثل سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ومع ذلك يقول: (لقطعت يدها)، وهي فلذة كبده، وقرّة عينه بعد الصلاة، على والدها الأعظم الصلاة والسلام..

إن الناس في الشريعة الإسلامية لا يتفاضلون إلا بالتقوى، «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فمن أخل بالتقوى، وتعدى حدود الله، لم يفلت من طائلة القانون، مهما كانت مكانته، أو منزلته، أو حسبه أو نسبه، ولو كان فاطمة الزهراء.. رضوان الله عليها.

فآل البيت، على وجوب مودتنا لهم، وحبنا إياهم، إكراماً لرسوله ﷺ، وإطاعة لما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم

(١) رواه البخاري (٦٨٨٧) في الحدود، ومسلم (١٦٨٨) في الحدود، والترمذي (١٤٣٠) وأبو داود (٤٣٧٣)، والنسائي (٤١٨).

عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1]، فأهل البيت رضوان الله عليهم، رغم كل ذلك، لا تربطهم برسول الله ﷺ إلا رابطة الايمان والتقوى، ومُن أقرب الناس إلى النبي ﷺ من عمه أبي لهب، وقد تبّت يدا أبي لهب وتب، فليس في الاسلام عنصرية يختل بها ميزان العدالة ولا محسوبية يتذبذب بها القانون، ويتجه غير الوجهة التي أرادها الله الحق، والذي خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل الكتاب على رسوله ﷺ بالحق، وأمرنا تعالى أن: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾[2] وبين لنا: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3].

ولقد بين ذلك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، لكل من ربطتهم به رابطة الدم الطاهر الزكي، وحذرهم كل التحذير من أن يعتمدوا على النسب، فقال عليه الصلاة والسلام: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه». . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ حين نزل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[4] قال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[5].

وفي رواية:

دعا قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال: (يا بني كعب بن لؤي، انقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها. .)

وكما لعن الله إبليس وطرده من رحمته لأنه ظن أن الأصل الذي خلق

---

(١) الشورى ٢٣.
(٢) الرحمن ٩.
(٣) الحجرات ١٣.
(٤) الشعراء ٢١٤.
(٥) رواه الشيخان والترمذي.

منه وهو النار، أشرف من الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام، قال عليه الصلاة والسلام: «آل محمد كل تقي»، حتى لا ينخدع آله بالنسب، وكلهم من تراب، ولا يعتمدوا على القربى، فإن النسب الحقيقي عند الله إنما هو التقوى، هكذا علم سيدنا محمد ﷺ آله وقرابته، يؤيده الوحي المحفوظ: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح﴾[1] فأرجع تعالى البنوة الحقيقية إلى العمل الصالح، ولما قال الله تعالى لنبيه وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ إني جاعلك للناس إماماً ﴾ قال سيدنا إبراهيم ﴿ومن ذريتي﴾ قال تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[2]، وعلى ذلك كان هدى سيدنا محمد ﷺ لآله رضي الله عنهم، وللناس أجمعين ﴿ اولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده﴾[3].

ولكن مع ذلك فهناك وجهة نظر أخرى، لا تغير من هذا المبدأ العام أي شيء، ولكنها تدخل الفضل في حسابها والفضل لا يمنع الحق لمن طلب العدل.

وقديماً قيل ولأجل عين ألف عين تكرم. . .

بل إن الله تعالى ضرب لنا أمثلة لنسلك سبيل الفضل فيما لا يعطل حداً من حدود الله، ولا يؤدي إلى الإضرار بأحد من خلقه.

قال تبارك وتعالى: ﴿ وكان أبوهما صالحاً، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما﴾[4]. . أراد الله ذلك لا لشيء إلا لأن أباهما كان صالحاً، قيل ـ والله أعلم ـ: والأب المشار إليه في الآية الكريمة هو الجد السابع للغلامين اليتيمين المشار إليهما في الآية الشريفة. .

ويقول عز من قائل ﴿ والذين آمنوا، واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾[5] (وفي قراءة بالجمع ذرياتهم)، مبالغة في التفضل منه

---

(١) هود/ ٤٦.
(٢) البقرة/ ١٢٤.
(٣) الأنعام/ ٩٠.
(٤) الكهف/ ٨٢.
(٥) الطور/ ٢١.

عز وجل. قال ابن عباس رضي الله عنهما «إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقر بها عينه»، ولا غرابة فلأجل عينٍ ألف عين تكرم، ما دام هذا التكريم محض كرم إلهي، لا يعطل حداً، ولا يضيع لأحد حقاً.

بل إن الله تعالى رغّبنا في سلوك طريق الفضل قال تعالى: ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾[1] قال أهل البيان: في الآية إطناب لأن تعفوا وحدها، أو تصفحوا وحدها، أو تغفروا وحدها كانت تكفي، ولكن الله تعالى كرر هذه الأفعال ترغيباً لنا في الفضل وحثاً لنا عليه، مع أي أحد، كائناً من كان أصله أو نسبه.

وقال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى، ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[2] وهذه وإن نزلت في حق طائفة من المطلقات إلا أن العبرة ـ كما يقول الأصوليون ـ بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

وقال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

فإذا كان الله تعالى يرغب في العفو عن المسيء، كائناً من كان فما بالك بآل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ قرابته ﷺ، وعشيرته وعترته؟ ولو كان سيدنا محمد ﷺ مجرد رسول لم يقم إلا بالدور الذي يطلب من أي رسول أن يؤديه، لكان من الواجب علينا أن نكرم كل من ارتبط به سواء من ناحية النسب الجسمي أو من ناحية النسب الروحي، وذلك لما عانى، وما لقي، وما تحمل، من أجل تبليغ الرسالة إلينا، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، لم يقتصر على اداء الرسالة وحدها، وإنما كان ـ كما يقول الله عز وجل ـ ﴿عزيزٌ عليه ما عنتم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[4] ويقول: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ ـ[5]

---

(١) التغابن ١٤. (٢) البقرة ٢٣٧.
(٣) الشورى ٤٠. (٤) التوبة ١٢٨. (٥) الأحزاب ٦.

اقرأ الآية مرة أخرى. . أولى بالمؤمنين من أنفسهم. . تصور إلى أي حد بلغ به اهتمامه ﷺ بأمورنا، حتى بلغ درجة كان بها أولى بنا من أنفسنا، لم يقل أولى بنا من آبائنا، أو ابنائنا أو. . أو. . إنما أولى بنا منا. . بأبي وأمي أنت يا رسول الله.

بالله قل لي ماذا كنت تفعل أنت مع ابن شخص، ظلمك أو اساء إليك، ولكن أباه كانت له عليك أياد سابغة؟ ألا تذكر صنيع والده معك؟. . ألا تقدّر فضله عليك؟ أتعامله معاملة أي أحد اساء إليك، دون أن يكون لوالده سابق معرفة معك، ولا سابقة يد عليك؟ فكيف إذا كان أبوه، عزيزاً عليه أن تشقى أو يصيبك أذى، رؤوفاً بك رحيماً، بل كيف إذا كان أبـوه أو جده أولى بـك من نفسك: يضـر نفسه لينفعـك، كما قـال الشاعر:

ومن إذا ريب الـزمـان صـدعـك   شتت فيـك شمـله ليـجمـعـك

ماذا يكون موقفك من ابنه أو حفيده، أو قريبه الذي أساء إليك، وتعدى على حق من حقوقك. .

تستطيع أن تأخذ حقك منه، أو تثأر لنفسك، بأي طريق مشروع، لكن هل تعد نفسك من المحسنين إن فعلت ذلك. .؟

كذلك آل البيت رضوان الله عليهم يعظم حقهم علينا، بمقدار عظمة حق جدهم علينا، وحقه ﷺ لا يستطيع أحد أن يؤديه كائناً من كان، كيف تكافىء من هو أولى بك من نفسك؟ بأي وسيلة تؤدي حق من كان هذا شأنه، إنه ﷺ لم يطلب منك أكثر من المودة في القربى؟ وهل المودة في القربى أن نقابل الإساءة بالإساءة، وبأي وجه تقابله ﷺ وهو يشفع لك عند الله، رغم أن وفاءك له ﷺ لم يتسع لعفوك عن واحد من أحفاده، وهو لم يطلب منك شيئاً أكثر من المودة فيه؟.

انظر إلى سلفنا الصالح كيف كانوا يعاملون أهل البيت.

قال أبو الوليد الباجي: لما حج المنصور أقاد مالكاً من جعفر بن سليمان وأرسله إليه ليقتص منه.

قال الإمام مالك رضي الله عنه أعوذ بالله. (والله ما ارتفع سوط عن جسمي (يعني السياط التي ضربه بها جعفر بن سليمان هذا) إلا وأنا أجعله في حل منه في ذلك الوقت.. وما ذلك إلا لقرابته من رسول الله ﷺ).

وقال الفروي: (لما ضُرب مالك، ونيل منه، حمل مغشياً عليه، فدخل الناس عليه، فأفاقَ، فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حلّ - قال - فعدناه في اليوم الثاني، فإذا به قد تماثل فقلنا له ما سمعناه منه، وقلنا له قد نال منك؟.

فقال رضي الله عنه: (تخوفت أن أموت أمس، فألقى النبي ﷺ فأستحي منه أن يدخل بعض أهله النار بسببي).

هكذا تكون المودة لرسول الله ﷺ في قرابته، وهكذا يكون العفو، وتسمو الأخلاق، ويعلو الإيمان، وتكتمل الرجولة وإلا فلا!!

وفي الختام نقول: إذا أساء أحد من آل البيت إلى أحد، أو أخطأ مع أحد أو ظلم أحداً فإن لصاحب الحق أن يأخذ الحق كاملاً، وأن لا يفرط بشيء منه، ولكن الأولى أن يعفو عن المسيء، ويسامح عن الظلم، ويتجاوز عن الخطأ إكراماً لرسول الله ﷺ إذا استطاع ذلك، وعملاً بوصيته في آل بيته، والنصح والمسامحة أخلاق كريمة عظيمة يحث الإسلام عليها ويدعو للتعامل بها مع كل الناس، والتعامل بها مع آل البيت أولى.

ومن النصح للنبي ﷺ والإكرام له النصح لآل البيت وإكرامهم، والحرص على مصالحهم، وحسن معاملتهم وتوجيههم وتذكيرهم بشرف هذا النسب، وحقه عليهم من الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة، وأن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ليكون أدعى إلى قبول المناصحة، وتلافي التقصير، وتصحيح الخطأ، وفي الحث على هذه الخصال الكريمة قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

مسؤولية آل البيت

شرف ومسؤولية :

لا شك أنّ من حاز شرفَ الانتسابِ إلى أصل الدوحةِ النبويةِ الكريمةِ الطاهرة، دوحة سيد الخلق وأشرف الأنبياء والمرسلين، وخاتم النبيين محمدٍ صلى الله عليه وسلم فقد حاز الشرفَ الأعلى، وتبوأ المرتبة الكبرى، والمنزلة العالية الرفيعة، فهو بهذا النسب الكريم قد انتسب إلى أشرف بيت عرفته الأرض في تاريخها كله، بيت خير خلق الله أجمعين، وسيد ولد آدم عليه أفضلُ الصلوات وأتمّ التسليم، البيت الذي سيبقى منارة للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وفي عرصات يوم القيامة حيث يكون صلى الله عليه وسلم حامل لواء الحمد وصاحب الشفاعة العظمى، وصاحب الوسيلة، والفضيلة والمقام المحمود وصاحب الحوض الأهنى الذي نتمنى جميعا أن نرد عليه ونشرب بيديه الشريفتين منه.

وإن الانتساب إلى هذا البيتِ الكريم له تبعاتُه ومسؤولياتُه كما له ميزاتُه وحسناتُه، وبعد أن رأينا ما لهذا البيت من ميّزاتٍ وحسنات، وما لهذا النسب الكريم من تشريف وتعظيم نود أن نقفَ وقفة ناصح أمين، ووفاء عظيم يليق بمكانة هذه الذرية الطاهرة، لتعلم أنها صاحبةُ ميراث عظيم، ومسؤوليات كبرى، فلكل تشريف تكليف، ولكل نعمة شكر، ولكل تقصير مسؤولية، وأهم مسؤوليات هذه الذرية :

١ ـ الاعتزاز بهذا النسب وصيانته :

إن أولى مسؤوليات هذه الذرية أن يعلم كل شريف أنه مسؤول عن هذا النسب، ومن المهم جداً أن لا يدخل في هذا النسب ما ليس منه، ومن الخطورة أن يزور هذا النسب أو أن ينتحله أحد ليس له هذا الشرف حقيقة،

كما أنه من الخطأ الكبير أيضا أن يتنصل شريف من نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمْ مهما سولت له نفسه من الأعذار، ولا يصح أن يتخلى عنه أحد شرفه الله به من أجل هدف دنيوي فيكون كمن يبيع دينه بدنياه. وقد جاء في الأثر لعن الله الداخل فينا بغير نسب والخارج منا بغير سبب.

٢ ـ آل البيت هم الأسوة :

ومن أهم مسؤوليات هذه الذرية أن تعلم ما لهذا النبي من جليل القدر، ورفعة الذكر، وما حباه الله من سمو النفس، وطهارة القلب، وما تعهد به أزواجه وذريته من حسن التوجيه وكرامة التطهير ليكون بيتُه خيرَ بيوت الأرض أخلاقاً وأعمالاً وعلماً وأدباً، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين قدوة مباركة، واجبة الاتباع لكل من كان مؤمناً بالله ورسوله : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِرَ وذكر الله كثيرا﴾**(١).

وقد مر بنا طرفٌ من حياته وجهاده وخُلُقِه وإيثاره الآخرة على الأولى في عبادته وزهده وفي قيامه وذكره، وفي خشيته وبكائه حتى إذا سألته السيدة عائشة رضي الله عنها وقد قام من الليل حتى تفطرت قدماه: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً**»(٢).

وكيف رفض الاستجابة لمطالب أزواجه في توسعة النفقة عليهن إيثاراً للآخرة، وكيف أنزل الله تعالى في ذلك آيتي الخيار وما بعدهما من الآيات : ﴿يـا أيهـا النبي قل لأزواجك إن كنتنَّ تُردنَ الحياةَ الدنيا وزينتَها فتعالَيْنَ أمتعْكن وأسرحْكن سَراحا جميلا. وإن كنتن تُردنَ الله ورسولَه والدارَ الآخرةَ فإن الله أعد للمحسناتِ منكن أجرا عظيما﴾. وكيف رفض أن يعطي ابنتَه الأثيرةَ فاطمةَ رضي الله عنها جارية من السبي تتحمل عنها بعضَ ما تُكابدُ

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) متفق عليه.

من الأعمال، وعلمها أن تسبح الله قبل أن تنام وتحمده وتكبره ثلاثا وثلاثين مرة فإنها تصبح نشيطة مبرأة من التعب[1].

إن من أول واجبات هذه الذرية الطاهرة أن تعلم أنها مسؤولة عن هذه الأسوة الكريمة لأنها أولى الناس بها، انها أسوة به وبأزواجه الطاهرات، وبناتِه الكريمات وسيدتهن فاطمةَ الزهراء رضي الله عنها، وزوجها الكريم علي بن أبي طالب، وأولادهما الغر الميامين الحسنِ والحسينِ وزينبَ وأم كلثومٍ رضي الله عنهم أجمعين ثم البقية الذين هم سبطاه وأحفاده وذريته من بعده.

ولـذا فإن آل البيت مسؤولـون عن تربية أبنـائهم الـتربيةَ السليمـةَ، وتعليمهمِ مسؤوليةَ التصرف بصورةٍ تَليق بانتسابهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يعنى أنهم لا يخطئون، ولا يرتكبون أي إثم. . فهم بشر معـرضـون كغيرهم للأخطاء، ولكن لا ينبغى أن يتمادوا أو يتساهلوا فيسيئوا إلى هذه العترة الطاهرة، والدوحة المباركة.

وقد حمّل الله تعالى أزواجه رضي الله عنهن مزيد مسؤولية حين خاطبهن بقوله عز وجل: **﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبيِّنة يضاعَفْ لها العذابُ ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾**[2].

وما كانت هذه المسؤولية لولا أنها في مقابلة خصوصية كونهن أزواجا له ينزل الوحي في بيوتهن، ويعشن معه ويشاركنه تبعات هذا البيت الأسوة، ومسؤوليات هذا النبي القدوة، ويرين من حياته ما لا تراه عيون غيرهن من أصحابه في مأكله ومشربه وملبسه، وفي ذكره وخشيته، وفي صيامه وقيامه، وفي كثـرة بكـائه وتضرعه لله رب العالمين: **﴿ومن يقنُتْ منكن لله ورسوله وتعملْ صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما، يا نساءَ النبيّ لستُنّ**

---

(١) انظر كتاب: هكذا صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل: مع النبي في قيام رمضان.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٢.

كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعنَ بالقول فيطمعَ الذي في قلبه مرض وقلن قولا معـروفـا. . وقَرنَ في بيوتكن ولا تبرّجْنَ تبرُّجَ الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1].

لا شك أن هناك خصوصيةً لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أمهاتِ المؤمنين الطاهراتِ القانتات الصادقات الصابرات الخاشعات وهن يتحملن ما لم تتحمله النسـاء في عصرهن بل وسـائر العصور لأنهن القدوة والأسوة وعليهن وقعت المسؤولية الكبرى.

فإذا علمنـا هذا علمنـا أيَّ مسؤليات تقع على الذرية الطاهرة المرتبطة بوشائج الرحم والدماء الزكية التي تجرى في عروقها. . وقد أدركت الصفوة من سلالة هذا البيت عظم هذه المسؤوليات وتلك المزيات فيما روى لنا عن ساداتها في الزهد والورع والتقوى والصلاح والتضحية والبذل والتكرم والكرم والسخاء. . وقد رأينا أمثلة ذلك في حياة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضـاها، وحياة زوجها الإمام الراشد والخليفة العابد الزاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وحياة أولاده من الـزهـراء الحسن والحسين وزينب، ونخص بالذكر موقف الحسن رضي الله عنه يوم تنازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء المسلمين، وابتغاء اقرار عين جده المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) فحقق بذلك رجاءه عندما بلغه الحديث عن جده صلى الله عليه وسلم. وأطفئت نار الفتنـة بعـد طول اشتعـال. . وقـرت عيون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بتضحية السيد الجليل العظيم في سبيل الله ورسوله وصلاح أمر المسلمين في الدنيا والآخرة، وكان ذلك فضلاً من الله ونعمة.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

وقد روى عن علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال: (إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل في المسيء منا وزرين).

ويبينُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن آل البيت يحملون مسؤولية خاصة وأنهم أولى المسلمين أخذاً بكتاب الله تعالى وعملاً به، وأخذاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملاً بها، وأن ذلك متحقق بهم - إن شاء الله - إلى يوم القيامة فيما جاء عنه من الحديث الصحيح: «**إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» وزاد الإمام أحمد والنسائي والترمذي: «**فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

لذلك فإنني أهيب بآل البيت الطاهرين - وهم أحبتي وسادتي الكرام - أن يحرصوا على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تلاوة خاشعة، وتدبرا عميقا، وتجسيدا عمليا لما جاء فيهما من الأخلاق الكريمة ليكون لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، ومن الله تعالى الرضوان والفوز العظيم. ومن المسلمين التبجيل والتوقير والاحترام والمودة.

إنني أهيب بآل البيت الأماجد أن يكونوا مصابيح هداية للمسلمين علماً وعملاً، وأن يكونوا أكثر الأمة غيرة على دين الله أن يضيع، وعلى حرماته أن تنتهك، وعلى سنة نبيه أن تترك.. وأن يكون لهم بجدهم صلى الله عليه وسلم أسوة في إعراضه عن الدنيا واقباله على الآخرة، وأن يكونوا آمرين بالمعروف سابقين فيه، ناهين عن المنكر متجافينَ عنه.. فهذه هي التجارةُ الرابحة التي تَليقُ بشرف انتمائِهم، وهذا هو المَيدانُ الذي يُطلبُ منهم أن يكونوا السابقين فيه.

٣ - عدم الاتكال على النسب:

وإذا كانت الدنيا قد أقبلت على الناس بفتنتها وزينتها وحلاوتها وخضرتها، وأقبلوا عليها وانشغلوا بلذاتها وشهواتها، واغتروا بأموالها وسلطانها

فإن المأمول من آل البيت أن لا يغتروا بهذه الدنيا مهما آتاهم الله من خيراتها، وان يعلموا أنهم مسؤولون عن كسبها من الحلال الطيب، وإنفاقها في أوجه الاستحباب وفي المباح الطيب، فلا يقعون في فواحش التبذير والاسراف والبخل، وأن يؤدوا حقوق هذه النعم بأداء شكرها، وإعطاء كل ذي حق حقه منها، وأن يذكروا قول الله تعالى : **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبكَ من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تَبغِ الفساد في الأرض إن الله لا يُحب المفسدين﴾**. وأن يترفعوا عن الانغماس في شهواتها رجاء ما أعد الله لعباده من النعيم والرضوان. ولا شك أن هذه مسؤولية كل مسلم فضلاً عن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنني أُذكّر آل البيت الكرام بما قاله جدهم صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه قولُ الحق تبارك وتعالى : **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**. قال : «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار: يا معشر بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فانني والله لا أملك لكم من الله شيئا، ألا إن لكم رحماً سأبلُّها بِبَلالِها**»[1].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يا بني عبدالمطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا صفيةُ عمةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا، سلاني من مالي ما شئتما**».

لذلك فإنني أحذّر آل البيت ـ وهم أحبتي وسادتي ـ من أن يتكلوا على نسبهم الشريف بناء على ما مر من مبشرات لأصحاب هذا النسب، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أكرمه به الله من مغفرةِ ما تقدَّم من

(١) أي ساصلها بما أمر الله من صلتها.

ذنبـه وما تأخر أخشى خلقِ الله لله ، وأتقى خلقِ الله ، قال صلى الله عليه وسلم : «**أما والله إني اتقاكم لله وأخشاكم له ،**» ولا ينبغي لمسلم مهما بلغ في مقام النسب أو في مقام التقوى أن يتكل على ذلك ، بل إن المسلم العاقل هو الذي يعد نفسه ليوم عظيم : ﴿**يوم ترونها تَذهلُ كلُّ مُرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَمل حملَها وترى الناس سُكارى وما هم بُسكارى ولكن عذابَ الله شديد**﴾ . ويضع في حسابه أن آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي قولـه تعالى : ﴿**واتقوا يوما تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوفّى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[1] .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**لن يدخل أحد الجنة بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» . وأنه قال : «**من بطّأ به عملُه لم يسرع به نسبه**» .

وأن يعلموا كذلك أن الأبرار والمقربين هم أسرع الناس إلى رضوان الله ، وأشد الناس خشية من الله ، وأكثر الناس طاعة لله ، وأحرص الناس على ما أعد الله في دار كرامته من جنات النعيم تجري من تحتها الأنهار ، لذلك تراهم خاشعـين لله ، ذاكـرينَ له ، قائمـين بفـرائِضِـه ، مجتهدينَ في التقرّبِ إليه بالنوافل ، كما وصفهم الله تعالى في كتابه ، ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك مُحسنين ، كانوا قليلا من الليلِ ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ .

٤ ـ تطهيرهم وتزكيتهم :

إن أهل البيت هم أهل البر والتقوى ، وهم أحرى الناس أن يكونوا من المقـربـين الأبـرار ، والصـالحـين الأخيار ، وأن يتـذكـروا قولَ الله تعالى في خطابهم : ﴿**إنما يريدُ الله لِيذُهِبَ عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهركم**

---

(١) سورة البقرة آية ٨١ .

تطهيرا﴾[1] .

وقد طهرهم الله وأكرمهم وحرم عليهم الصدقة كما حرمها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، أي مطهرة لهم ، وهذا من باب التطهير الذي شرعه الله تعالى لهم ، ولهذا صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «**إن الصدقة لا تَحِلُّ لمحمد ولا لآل محمد**» . . وقد عوضهم الله عز وجل عن ذلك ففرض لهم نصيبا من الفيء فقال تعالى : **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾**[2] .

وانـه لحري بآل البيت أن يتـطهـروا من الأدنـاس المعنـوية والصفـات الخسيسة ، والأعمال القبيحة ، والمخالفات الشرعية صغيرها وكبيرها ، إرضاء لربهم ، وإقراراً لعين جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتراما وتوقيراً لانتسـابهم إليه وإلى الآبـاء والأمهات الطاهرين والطاهرات من آل بيته ،

وإن من تطهير الله تعالى لآل البيت أنه لما فرض الحجاب على النساء ، بدأ الخطاب بنساء النبي صلى الله عليه وسلم وثنى ببناته ثم ذكر بعد ذلك نساء المؤمنين فقال عز وجل : **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفورا رحيما﴾**[3] .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة في الزهد وأراد لآل بيته أن يكونوا كذلك . . وهذه عائشة رضي الله عنها تقول فيما رواه الشيخان (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٢) سورة الحشر آية ٦ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٩ .

حتى قبض).

كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض).

وفي هذا توجيه دائم وخاص بنساء آل البيت إلى يوم القيامة ينبغي أن يلاحظنه ويراعينه فيكن أشد النساء تمسكاً بالحجاب وحرصاً عليه لأنهن القدوة والأسوة لأخواتهن المؤمنات كما سبق وذكرنا.

٥ ـ حب الصحابة :

ومما ينبغي على آل البيت أن يعلموه أن الصحابة كلهم محبون لله ورسوله، محبون لآل البيت حباً صادقاً عميقاً، والشواهد على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

لذلك فإن عليهم أن يكونوا محبين لمن أحبهم من المهاجرين والأنصار الذين أثنى عليهم الله عز وجل بأحسن الثناء في مواطن كثيرة من كتابه المبين فقال سبحانه : **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**[1].

وقد وصف الله عز وجل في الآية التالية المسلمين إلى يوم القيامة بأنهم محبون للصحابة جميعا لما تحملوه في سبيل الله، ولما بلغوه من الدين عن رسول الله، وساحوا به في بلاد الله فانتشر بهم، وانتصر بدمائهم وأموالهم، ففضلهم عظيم، وحبهم واجب على الأمة، ولا يبغضهم إلا منافق، ولا يسبهم إلا زائغ العقيدة، والدعاء لهم مطلوب، وتنظيف القلوب من شنآنهم فرض فقال عز وجل: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا

(١) سورة الحشر آيتان ٨ ـ ٩.

ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[1].

وقد شهد الله تعالى للصحابة بالرضوان فقال فيهم في كثير من المواطن: (رضى الله عنهم ورضوا عنه..) وقال فيهم ثناء عليهم وشهادة بتقواهم: (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها).

ووصف الله تعالى الصحابة بهذه الأوصاف الكريمة الدالة على فضلهم ونبلهم كما وصفهم من قبل في التوراة والإنجيل والآية تحكي ذلك بكل وضوح، قال: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مَثَلُهم في التوراة ومثلُهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزُرّاع لِيَغيظَ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾**.

فأكرِمْ بها من أوصاف، وأنعِمْ بها من خصائص، وأعظِمْ به من وعد ويا ليتنا كنا معهم فنفوزَ فوزاً عظيماً، ونسأل الله أن يرزقنا حبَّهم واتباعَهم.

إن حبَّ الصحابة جميعا من المهاجرين والأنصار طاعة لله، وتصديق لكتابه في الثناء عليهم وثقة بعلمه سبحانه لما وقر في صدورهم من الإيمان به والتصديق بكتابه، والحب لرسوله وآل بيته.

ومن اللائق بالمسلمين عموماً أن يرضَوا بما وقع على أنه قدر لا يرد، وقضاء لا يغير، وحكم لا معقب عليه إلا الله وكفى بالله حسيبا (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون) (ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزرَ أخرى).

لقد كان الصحابةُ في العصر النبوي الأنور، وعصر الخلفاء الراشدين الأزهر مثلا أعلى في التحابّ والتناصر والتناصح، فقد كان أبو بكر رضي الله

(١) سورة الحشر آية ١٠.

عنه (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وكان صديقا وصاحبا حبيبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبا له، محبا لآل بيته، موقرا لهم، واصلاً لقرابتهم، ففي صحيح البخاري أن أبا بكر قال: (ارقبوا آل محمد في آل بيته) وقال لعلي رضي الله عنه: (والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ أن أصل من قرابتي) وكان الود متصلا بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان هذا وزير صدق له في خلافته، كما كان وزير صدق من بعده لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وبلغ الود بينهما أن عليا زوج ابنته أم كلثوم لعمر وما كان أحد أشد فرحا من عمر في هذا الشرف الذي حازه وقد رأينا كيف قال للناس على إثر ذلك: ألا تهنوني..

وكذلك كان عمر محبا لعلي وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما وقد رأينا كيف فرض لكل منهما خمسة آلاف ولولده عبدالله ألفا فلما راجعه في ذلك قال: (ويحك يا عبدالله، هل لك جد كجدهما، أو جدة كجدتهما، أو أم كأمهما، أو أب كأبيهما..) وكان فرح عمر بإسلام العباس رضي الله عنه عظيماً فقال له: (والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم لأن أسلامك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب).

وكذلك الحالُ مع عثمانَ رضي الله عنه في بره لآل البيت وإكرامه لهم، وقد أستأذنَ عليٌّ رضي الله عنه عثمان أيام الفتنة التي أودت بحياته استأذنه أن يدافعَ عنه ويقاتلَ دونهَ فلم يأذنْ، ولم يألُ علي جُهدا في الدفع عن عثمانَ، وكان ابناه السبطانِ الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما في طليعة المدافعين وحارسينَ على بابه، وقد تسور الظالمون الدارَ من ظهرها فنفذ فيه قضاءُ الله، وتحققت له البشارةُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجف أُحدٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان معه أبو بكر وعمرُ وعثمانُ فقال له: (اثبت أحد فإنما عليك نبيٌّ وصِدّيق وشهيدان..).

٦ ـ الحذر من المتسترين :

ومما ينبغي على آل البيت أن يعلموه أن يكونوا ناصحين لعموم المسلمين ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

ومن النصح للمسلمينَ البعدُ عن مواطن الاختلاف، والحذَرُ من تصديق أهل الأهواء وما يفترونه من أقوال كاذبة خاطئة في حق بعض أعلام آل البيت الطاهر، مما يتنافى مع صريح القرآن الكريم، وسنةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ويخالفُ المعقولَ والمنقولَ والثابتَ المعلومَ من الدين.. وما أجمعَ عليه ـلُ السنة والجماعة في كل العصور السالفة، وأن يعلموا كذلك أن هناك ـساً من الذين يتّخذون حبَّ آل البيت مطيةً لأهوائهم وخِداعهم وبثِّ آرائهم الباطنية، وعقائدهم الملحدة وهم أشد أعداءِ آل البيت، وإن صدورهم مشتعلة بالحقد على النبي صلى الله عليه وسلم الذي قضى بدينه على عقائدهم المنحرفة، وهم حاقدون على آل بيته الطيبين الطاهرين، وقد كانوا وراءَ كثير من الفِتَن والمِحن التى ابتُلِي بها المسلمون، وسالت بسببها كثير من الدماء الزكية الطاهرة.

٧ ـ المسلمون محبون لآل البيت :

ومن المهم أن يعلموا أيضاً أن المسلمين كلُّهم من أهل السنة والجماعة يُحبون آلَ البيت المحبةَ الصادقةَ النابعةَ من الاعتقاد الراسخ بوجوب حبِّهم على كل مسلم، المستند إلى الآيات الكريمة من القرآن الكريم والأحاديث الثابتة الصحيحة من أقوال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

قال ابنُ تيميةَ: (وقد ثبت في حديث صحيح أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكتهَ يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾. سأل الصحابة: كيف يصلون عليه؟ فقال قولوا اللهم صلِ على محمدٍ وأزواجِه وذرّيته وقد استنبط رحمه الله من قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كِنانةَ، واصطفى من

قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم أن آلَ البيت من أفضل الخلق، فلا ريب أن أعمالهم أفضلُ الأعمالِ واستنبط بعضُ العلماء الأجلّاء بأن حب آل البيت فرض للأحاديث الكثيرة وقد مر بنا منها الكثير.

بل إن الذي ينظر في الحديث الصحيح: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» يتأكد أن آل البيت هم قدوة المسلمين في علمهم واستقامتهم، وأنهم في نظر المسلمين أمثلةٌ حيةٌ للتمسك بالإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

لذلك فإن الجدير بآل البيت الكرام أن يكونوا على مستوى راق يليق بمكانتهم، وتطهير الله لهم، وأمره إياهم أن يتذكروا فضله عليهم، وما أنزل بشأنهم خاصة، وبالمسلمين عامة، وأن يتذكروا الصلة القوية التي تربطهم بكتاب الله وتحملهم مسؤوليات خاصة في الالتزام بأحكامه.

فهنيئاً لكم آلَ البيت بهذا النسبِ الكريم، ونسأل الله أن يعينَكم على حملِ هذه المسؤوليات، والقيام بهذه الواجباتِ، لتكونوا لله كما يحب وللرسول كما يرضى، وللمسلمين أسوة حسنةً.

وبالله التوفيق، والحمدلله رب العالمين.

رأس البيت الكريم
سيد الأولين والآخرين

محمد رسول الله ﷺ

هو سيدنا وسيد ولد آدم أجمعين: رسول الله، وحبيبه، ومصطفاه، ومختاره، ومجتباه، أصل الشرف ومعدن المجد ـ أكرم والد وأشرف مولود ـ وهدية الله ورحمته في هذا الوجود، الحبيب الأعظم، والنبي الأكرم ـ العبد الذي تشرف بكمال العبودية لمولاه ـ والبشر الذي قرّبه الله تعالى وأدناه، ورفع مقامه فوق خلقه أجمعين، وختم به النبيين والمرسلين ـ وبه شرف البيت وآله، ومن مقامه الرفيع عظمة هذا البيت وكماله، ومن أجله أذهب الله الرجس عن أهل بيته وطهّرهم تطهيراً، ولمكان عبوديته الكاملة من ربه العظيم، فرض علينا حبه وحبهم، وربط الله الإيمان بمودتهم وموالاتهم، ولا تقبل صلاة ولا يرفع دعاء حتى نصلي عليه وعليهم ـ وهو وهم ـ على هذا القدر الجليل ـ عباد مكرمون وبشر لا يعدون مقام البشرية، ولا يبلغون ـ ما عداه ﷺ ـ مقام الأنبياء والمرسلين، وهو منبع كرامتهم، وأساس مكانتهم، إنهم مع منّة الله عليهم بالانتساب إلى أشرف الخلق أجمعين ـ كانوا صادقين في عبوديتهم، مجدّين في طاعتهم، حريصين على سنّة نبيهم ﷺ، قائمين بالقسط والحق بين الناس، أعلام صدق وهدى، وأوعية علم وتقى، وروّاد جهاد وصبر، ودأب وصدق، لم يتواكلوا ـ ولم يقولوا نحن آل البيت لا بأس علينا ـ وإنما كانوا أصول الورع، وسادة العابدين المخبتين.

جمع الله لهم المنّة بالانتساب إلى حبيبه ﷺ، رحماً ونسباً، والتوفيق

إلى طاعته عملاً وأدباً، أحبوا ربهم وأطاعوه ـ فأحبهم المؤمنون ووقروهم، وبهر بهم قوم فغلوا فيهم ـ وهم من هذا الغلو براء ـ وحقد عليهم أهل الدنيا، وطلاب السلطان وضعاف النفوس ـ فما ضرّهم غلو الغالين ولا حقد الحاقدين، وظلوا في عيون الناس بهاء من رسول الله ﷺ يسعد بشهوده الصالحون ـ ورواء من عظمة الحق يتطلع إلى رؤيته المؤمنون، وعبيراً من دوحة النبوة يملأ صدور المحبين بالرضا واليقين، غامروا في العلم فسبقوا، وجدوا في العمل فأعجزوا ـ وجاهدوا في الله وصبروا وصدقوا ـ وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ـ واستشهدوا استشهاد الأبرار الصابرين، وأفاضوا إلى ربهم ليجزيهم بما علمه من صدق نياتهم، وسلامة صدورهم والله عنده حسن الثواب.

ونسبهم هو أشرف نسب، وحسبهم هو أكرم حسب ـ لأنهم إلى رسول الله ﷺ ينتمون وإلى معدنه الكريم ينتسبون، فهم بهذا ذرية الخيرة التي اختارها الله من ولد آدم أجمعين: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾[1].

وهم خلاصة آل إبراهيم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار»[2].

وهم نسبه الطاهر الذي إليه ينتهون، فهم آل سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، واسمه «شيبة» ـ بن هاشم ـ واسمه «عمرو» ـ بن عبد مناف. واسمه «المغيرة» ـ بن قصي ـ واسمه «زيد» ـ بن كلاب ـ واسمه

---

(١) آل عمران ٣٣ـ٣٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٦) في (الفضائل) باب (فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) (١٧٨٢/٤). والترمذي: برقم (٣٦٠٩، ٣٦١٢) في (المناقب) باب (ما جاء في فضل النبي ﷺ).

«حكيم» ـ بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ـ «وهو قريش» ـ بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ـ واسمه «عامر» بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من نسل إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام.

وأمه ﷺ هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الذي هو الجد الخامس لرسول الله ﷺ[1].

ولا نطيل هنا الحديث عن سيرة رسول الله ﷺ، مع أن الحديث عنه لا يمل ـ ولكن لهذه السيرة العطرة مكانها في كتب السيرة، وإنما نعمد في سطورنا هذه إلى الحديث عن فروع هذا البيت النبوي الكريم ـ وأصول أهل البيت الأطهار ـ وهدفنا بذلك تعريف الناس في عصرنا بهم ـ وتجديد ذكرى حياتهم ومعاملاتهم وفتح أعين الناشئة على نبلهم، وملء قلوبهم بحبهم، ليسيروا على دروبهم، ويتأسوا بسيرهم ليكونوا لهم قدوة ونبراساً ـ وليوفوا إليهم حقهم من الحب والتكريم.

وبالله التوفيق،

---

(١) راجع ما جاء في ذكر النسب الزكي:

صحيح البخاري: كتاب (مناقب الأنصار) باب (مبعث النبي ﷺ) (فتح الباري: ١٦٢/٧). سيرة ابن هشام (١/١) فما بعدها، دلائل النبوة للبيهقي (١٧/١) فما بعدها. الوفا بأصول المصطفى لابن الجوزي (٧٦/١). السيرة النبوية للذهبي (ص ١) فما بعدها. البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٥/٢) فما بعدها.

أم المؤمنين السيدة خديجة الكاملة الطاهرة(*)
رضي الله عنها

هي السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر... ومن مفاخر أبيها أنه نازع تبعاً ملك اليمن حين أراد أخذ الحجر الأسود.

أمها ـ فاطمة بنت زائدة بن الأصم (واسمه جندب) بن رواحة الهرم ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. كانت تدعى في الجاهلية (الطاهرة). واشتهرت رضي الله عنها بالعفّة والكرم والنبل والطهارة.

تجتمع مع رسول الله في النسب الشريف في قصي من جهة أبيها، وفي لؤي من جهة أمها ـ فهي قرشية أباً وأماً[1].

(*) راجع سيرة السيدة خديجة في:
طبقات ابن سعد (٥٢/٨)، سير أعلام النبلاء (١٠٩/٢)، صفة الصفوة (٧/٢)، الاستيعاب (٢٧٩/٤)، الإصابة (٢٨/٤)، أسد الغابة (٤٣٤/٥)، المعارف (٥٩، ٧٠، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٠، ٢١٩، ٣١١) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/٢/١) شذرات الذهب (١٤/١)، تاريخ الإسلام (٤١/١) تاريخ الفسوي. (٢٥٣/٣، ٢٥٧)، جامع الأصول (١٢٠/٩ ـ ١٢٥) المستدرك (١٨٢/٣ ـ ١٨٦)، كنز العمال (٦٩٠/١٣)، مجمع الزوائد (٢١٨/٩ ـ ٢٢٥).

(١) راجع نسب السيدة خديجة في:
سيرة ابن هشام (١٨٧/١ ـ ١٨٩)، الطبقات لابن سعد (١٤/٨)، المستدرك (١٨٢/٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٦٨/٢، ٢٨٢/٧) السير والمغازي لابن إسحاق (ص ٨٢).

وهي كريمة الأصل، شريفة المنبت، نبيلة الفعال، طيبة المعشر ذات رأي سديد، وفعل حميد، وعمل مجيد رضي الله عنها وأرضاها.

نشأت في بيت سيادة ومجد، وتزوجت مرتين قبله ﷺ [1] أحدهما مخزومي قرشي هو عتيق بن عابد[2] بن عبد الله المخزومي وولدت له بنتاً، والآخر تميمي وهو أبو هالة هند بن زرارة بن نباش التميمي وولدت له ابنها هنداً.

تأيّمت بعد زوجها الثاني وعاشت عقيلة قريش وأشرف نساء مكة تتطلع إليها نفوس السادة، وسادة القبائل، وتخطب ودها العظماء والكبراء الأمجاد، ولكنها رغبت عنهم، وأعرضت في سماحة أبية، وفي إباء سمح، لا يغض من قدر الخاطبين، ولكنه يقطع آمال المؤملين، وتخلّت عن اتخاذ الزوج إلى إدارة مالها الوافر، وتجارتها الواسعة ورعاية أسرتها، وقصرت صلتها برجال مكة على الذين يعملون في مالها، ويرتحلون بعيرها[3] وقوافلها.

وتمتلىء أندية مكة ودورها بحديث عطر عن فتى كريم أمين من بني عبد المطلب هو ابن الذبيح عبد الله بن عبد المطلب ـ سمح سهل مشغول بنفسه عن الناس. له جاه وهيبة، وعليه وقار وحشمة، يحفه التواضع، وتظهر عليه سمات الرفعة والجاه على قلة ماله ورقة حاله، كان أميناً جواداً،

---

(١) أخرج خبر زواجها قبل الرسول ﷺ:
البيهقي في «الدلائل» (٢٨٣/٧)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢٦٧/٣ ـ ٢٦٨)، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك» (١٦٠/٣ ـ ١٦١)، وابن إسحق في «السير» (ص ٢٤٥) والطبراني في «الكبير» وانظر «مجمع الزوائد» (٢٥٣/٩).

(٢) عابد: بالباء الموحدة والدال المهملة ـ كما ضبطه غير واحد من المحققين فقد قال الزبير بن بكار: من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ومن كان من ولد أخيه فعائذ، كما في «الإكمال» (١/٦)، و «تبصير المتنبه» (ص ٨٨٧) وقد تصحف في بعض الكتب التاريخ المطبوعة إلى «عائذ».

(٣) العير: القافلة.

حسن الطلعة، سمح المحيا، يألف الناس ويألفونه، ويحبهم ويحبونه، ويلقى الناس دائماً بوجه صبيح حسن، ويحدثهم بأعذب الحديث، وأطيب الكلم.

كان على شبابه لا يخالط اللاهين[1] ولا يشارك العابثين، ولا يرد حيث يعاتب أو يلام، يتكلم نزراً، وينطق فصلاً، ولا يقول هجراً ولا لغواً، ترعاه العيون بهاء وعزة، وتحوطه القلوب، إجلالاً ومودة، وتتمنى كل أم أن يكون لها ابناً، أو يكون لها مثله، وتود كل كريمة من كرائم مكة أن يكون لها حليلاً، وهو عن أصنامهم مشغول بفكر يتأمل، وعن أنصابهم وأزلامهم محجوب بقلب أبي، وعقل ذكي، وروح قوي، وقد عرفوا من صدقه وبره، ويمنه وفضله ما جعلهم يرجعون إليه في مهم أمرهم إذا التبست الآراء، ويقبلون حكمه على حداثة سنه إذا اختلفوا في أمر عظيم.

وتهيأت تجارة خديجة لرحلة تاريخية تقصد بصرى، وقد ذُكر غيرَ مجهول ـ محمدُ بنُ عبد الله الهاشمي ـ ليقوم في تجارتها فأثنت ورحّبت ووعدت وأضعفت، وأرسلت معه مولاها ميسرة خادماً ومعيناً، وأوصته أن يرصد لها حاله، ويعرف لها ما تحب أن تعرفه من شأنه فارتحلا بالقافلة.

وكل يوم يرى ميسرة عجباً، من صدقه وبره، وأمانته وكرامته، ويشهد الأعاجيب من بركة يده في المطاعم والمشارب، ويمن نقيبته في البيع والشراء، وتلك الغمامة التي تقفو أثره تظله إن انطلق، وتقف على رأسه إن جلس. وتلك الشجرة التي حنت عليه بجذعها، وانعطفت إليه بظلها،

---

(١) انظر ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعايبها في: «صحيح البخاري» مع شرحه «فتح الباري» (١/٤٧٤، ٣/٤٣٩، ١٠/١٤٥) «صحيح مسلم» (١/٢٦٧ ـ ٢٦٨). «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٤٣) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/٣٠ ـ ٤٢) «السنن الكبرى» له (٦/٣٦٦) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/٨٩)، سبل الهدى (٢/١٩٩ ـ ٢٠٠). سيرة ابن هشام (/١٨٣)، البداية والنهاية لابن كثير (٢/٢٨٧).

ودهشة الراهب الذي رأى ذلك فسأل ميسرة عن هذا المستظل الكريم - وقوله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي.

وتمضي أيام الرحلة يحسبها ميسرة خفافاً ندية، لا يضنيه سعيها، ولا يوحشه ليلها، لما يجد من الأنس برفقة هذا الفتى الذي سمّته مكة الصادق الأمين، ورآه هو ورأى منه ما ملك عليه قلبه وحير عقله، فهو لا يحلف باللات والعزى كما يحلفون، بل ولا يحلف في بيع ولا شراء حتى يروج تجارته، وكم رأى من التجار قبله من لجاجة وحلف وهو سمح في بيعه وشرائه واقتضائه، بشوش في نظرته ولقائه، محبب لدى كل من يجالسه أو يخالطه أو يبايعه.

يأخذ النفسَ منه جلالٌ هادىء، ووقار وسماحة، وكأن قوله خرزات من الدر سلكت في نظام - فلا تجد فيها هجراً ولا فحشاً ولا تطاولاً.

ويوم عادت القافلة سبق ميسرة إلى مولاته يبشرها فأطلت مع نسائها من علية لها فرأت محمداً على ناقته في قائم الظهيرة - ومن خلفه القافلة تتهادى.

أتراها سعيدة بعودة هذا الفتى الهاشمي النبيل سالماً غانماً، أم تراها محبورة بأنباء الربح المضاعف والمتجر الفاخر الذي عاد به.

وميسرة يقول ما عنده[1] ويحدّث بما رأى وما سمع وعن الربح والمال - والرحلة وعجائبها، ولكن قلب خديجة الطاهرة وعينها الساهمة لا

---

(١) انظر أحاديث خروجه ﷺ إلى الشام في تجارة خديجة وما كان من أمر الراهب وميسرة وتظليل الغمامة له ﷺ.

البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٦٦) عبد الرزاق في مصنفه (٥/٣٢٠)، وابن زبالة (ت ١٩٩ هـ) بسنده: «منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ ص (٢٤). «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/٥٤) سيرة ابن هشام (١/١٨٨)، «الروض الأنف» (٢/٢٣٦)، «تاريخ الطبري» (٢/٢٨٠)، «الطبقات» لابن سعد (١/١/٨٢)، الخصائص الكبرى (١/٩١) عيون الأثر (١/٦١ - ٦٢) نهاية الأرب (١٦/٨٥).

تجد في وجدانها ولا لمحاتها إلا شخص محمد يسعى على مهل حتى يحط في ساحة دارها ـ ويلتفت محيياً مغضياً. . وهي تلقاه في بهجة تفيض بها روحها وبِشْرٍ يسبق تحيتها وترحيبها ومباركتها بسلامة العودة، ويمن القفول، ويوجز لها في بشاشة أنباء سفرته وعائد تجارته، ويؤدي إليها ما استودعته من مالها وتجارتها ـ ثم يمضي مودعاً ـ غير مستأن. . ومن ورائه كل مشاعرها تصحب خطاه وظله، وتتمنى لو أطال المقام ولو قليلاً، وتود أن تدعوه إلى شيء من ذلك لولا الحياء، وخديجة من أسرة تهتم بالشرف، وفي رجالها من كان متحنفاً مطلعاً على ما في التوراة والإنجيل، يترقب ظهور نبي قد أظل زمانه، ويوشك أن تشرق أنواره، يبعثه الله من ولد إسماعيل.

ومن مآثر أبيها أنه تصدى لآخر ملوك تبع، ومنعه أن يأخذ الحجر الأسود يوم حاول تبع أن يأخذه إلى اليمن.

وكانت خديجة ذات تصون وحياء، وكانت تتحرج مما كانت عليه قريش وقبائل العرب من عبادة الأصنام والأوثان، التي عرفت من ابن عمها ورقة بن نوفل أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها تخالف ما في الحنيفية الأولى التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما تخالف ما ورد في التوراة والإنجيل من التوحيد الخالص للّه الواحد الأحد، فهي ترقب مع ابن عمها ورقة ظهور نبي آخر الزمان، الذي بشرت به التوراة والإنجيل.

وها هي ذي ترى أمامها محمداً الأمين الذي شغل أندية مكة بخلقه وصدقه وعظيم سجاياه، كما شغلها بما سمعته من أمره من أحاديث خديجة وغلامها ميسرة!!

إنه لا يسجد لصنم ولا يتقرب إلى وثن، ولا يعبد ما يعبدون من آلهة، ولا يحلف بما يحلفون، ولا يشاركهم في إثم، ولا يعاقر خمراً، ولا يقارف مجوناً ولا عبثاً. . وكانت تتساءل في سرها: أيكون محمد نبي آخر الزمان؟!!

فإن المتحنثين جميعاً يلهجون بعلامات مبعثه، ويتحدثون عن اقتراب ظهوره، فهل يكون هو!!

وتمر الأيام بطيئة ثقيلة، وخديجة في تساؤلاتها الملحة، وآمالها الباسمة، فلقد ساقت الأقدار إليها أعظم الرجال، وهي أشد ما تكون حاجة إلى الأنيس بعد سنوات من التأيم، والعيش بلا زوج تسكن إليه، وتجد فيه الحامي والنصير والمعين.. ولكن كيف السبيل إلى الظفر بهذا الزوج الكريم، وماذا تفعل، وماذا تقول، ولمن تبوح بسرها الذي تكتمه عن كل إنسان!!

وتلمح صديقتها نفيسة بنت منية شرودها ووجومها وحيرتها وما تخفيه من أمر نفسها فتسألها عما يدور في أعماقها..

وتحرجت خديجة أول الأمر أن تفصح عن خواطرها ـ ومشاعرها وراجعتها نفيسة في إشفاق وإلحاح ودود.. ودار الحديث حول محمد بن عبد الله ـ فيمَ عزوفه عن الزواج ـ ولماذا لم يتقدم لخطبتها كما فعل كل أشراف مكة.

فتقول نفيسة: أوَيرضيك أن يتقدم إليك محمد بن عبد الله خاطباً.. فتسكت خديجة.. ولكنه صمت أبلغ من الكلام.. فقد تكلمت حمرة الحياء في محياها تعبر عن أمنيتها الغالية.. وتقول نفيسة: يا ابنة العم سيكون لك ما تريدين[1].

وتنطلق نفيسة تطلب محمداً حتى وجدته ومعه عمار بن ياسر فحدثته

(١) انظر خبر رغبة خديجة ـ رضي الله عنها ـ في الزواج من رسول الله ﷺ في:
الطبقات لابن سعد (١/٣١٠)، «المستدرك» للحاكم (٣/١٨٢) «مسند الإمام أحمد» (١/٣١٢)، «المعجم الكبير» للطبراني (١٢/١٨٦) مصنف عبد الرزاق (٥/٣٢٠) «السير والمغازي» لابن إسحاق ص (٨١ ـ ٨٢)، «العرفة والتاريخ» ليعقوب بن سفيان (٣/٢٦٧)، «مجمع الزوائد» (٩/٢٢٠)، «سيرة ابن هشام» /١٨٩) «شرح المواهب» (١/٢٠٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/٩٠، ٢/٦٨). «منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» لابن زبالة (ت ١٩٩ هـ) (ص ٢٥) فما بعدها.

متسائلة عن انصرافه عن الزواج ـ وهو زين شباب مكة وابن سادتها الأمجاد من آل هاشم. . ويجيبها الفتى الكريم: ما عندي ما أتزوج به. . فتقول له نفيسة: فإذا كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والشرف فيقول لها. . ومن هذه. . فتقول له: خديجة بنت خويلد سيدة نساء قريش؟

إنها خديجة الشريفة التي عمل في تجارتها وعرف نبلها وفضلها، وتطلّع الكبراء من قريش إلى اتخاذها زوجة، ورغبتها عنهم، وردها لهم، تعرض نفسها عليه؟!

ويحدث أعمامه فيسرعون في تحقيق أمنيته ويلتقي حمزة والعباس وأبو طالب ويذهبون خاطبين إلى بيت خديجة ويقوم أبو طالب خطيباً. . فكان مما قال:

«الحمد للّه الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ[1] معد وعنصر مضر، وجعلنا حفظة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، محمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل»[2].

لقد كان لهذه السيدة الجليلة أكبر الفضل وأعظم الأثر في تهيئة الأجواء المناسبة لهذا النبي العظيم، والرسول الكريم، فلم تشغله بنفسها ولم تضايقه بمطالبها، ولم تتبرم من قلة إقامته إلى جوارها، وحملت عنه

---

(١) ضئضئ: المعدن والأصل.

(٢) راجع خبر زواجه ﷺ من خديجة في:
طبقات ابن سعد (١/٨٤)، السمط الثمين (١٦ ـ ٣٢) «مصنف عبد الرزاق» (٥/٣٢٠) «دلائل النبوة» للبيهقي (١/٤٢٤، ٢/٦٨) «مجمع الزوائد» ٩/٢٢١)، «عيون الأثر» (١/٦٢ ـ ٦٤) «منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (٢٥) فما بعدها. «سيرة ابن هشام (١/١٨٩ ـ ١٩٠) «السيرة النبوية» لابن كثير (١/٢٦٧).

مسئولية البيت وأغنته عن طلب المعاش حتى يكون مع ربه في خلوته وتحنثه، وكلما عاد إليها شجعته وزودته، بكل ما يحتاج إليه في صبر، وصدق وثقة، ووقفت إلى جانبه برقة مشاعرها وعواطفها الكريمة المتدفقة، حتى في لحظات الخوف وهو يتلقى أمر الله وكلماته، جاء موقفها العظيم وعونها الكبير فهدأت من روعه، وسكنت من خوفه، فقالت قولتها المشهورة:

«كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[١].

إنها كلمات عظيمة لامرأة عظيمة، وموقف شجاع لامرأة حكيمة عاقلة..

ولم تكتف بالتأييد والتثبيت للنبي ﷺ على ما رآه وسمعه، بل ذهبت به إلى ابن عمها ورقة، حتى إذا قصّ عليه ما كان قد فاجأه من أمر الملك حين جاءه في غار حراء، وما سمع وما رأى وما عانى من وطأة اللقاء الأول بين السماء والأرض على حين فترة من الرسل، قال ورقة:

«أبشر يا ابن أخي، هذا هو الملك الذي أنزله الله على موسى، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك من مكة» وكانت إجابة الرسول ﷺ في تعجب واستغراب: «أوَمخرجي هم»، فرد ورقة بن نوفل: «نعم لم يأت نبي قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[٢].

---

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه:
البخاري رقم (٣/٩٤٥٣، ٦٩٨٢) في كتاب (بدء الوحي) وكتاب (التفسير) في تفسير سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وكتاب (التعبير) باب (أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة). فتح الباري (١/٢٣، ٨/٧١٥، ١٢/٣٥١). ومسلم حديث رقم (١٦٠) في كتاب (الإيمان) باب (بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) (١/١٣٩ - ١٤١).

(٢) البخاري رقم: (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢) في كتاب (بدء الوحي) وكتاب (التفسير) وكتاب (التعبير). فتح الباري (١/٢٣، ٨/٧١٥، ١٢/٢٥١). مسلم رقم (١٦٠) في (الإيمان) =

وفي ذلك أيضاً تقول الدكتورة بنت الشاطىء: «هل كان لزوجة عداها أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء بمثل ما استقبلته هي به من حنان مستثار، وعطف فيّاض، وإيمان قوي، دون أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها في أن الله غير مخزيه أبداً؟ وهل كان في طاقة سيدة غير خديجة غنية مترفة منعمة أن تتخلى راضية عن كل ما ألفت من راحة ورخاء علي أفدح ألوان الأذى وضنوف الاضطهاد، في سبيل ما تؤمن بأنه الحق، كلا بل هي ـ وحدها ـ ولا امرأة غيرها التي أعدتها الأقدار لتملأ حياة الرجل الموعود بالنبوة، وتكون لليتيم أماً، وللبطل ملهمة، وللمجاهد ملاذاً وسكناً وللنبي المبعوث ثقة وطمأنينة وسلاماً».

يقول ابن إسحاق: «كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه، من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرّج عنه بخديجة رضي الله عنها إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عنه وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضي الله عنها»[1].

فقد كانت السيدة خديجة تروِّحُ عن قلبه الهموم، وتذهب عن صدره الأحزان[2] بما لها من كياسة وفطنة، وبما وهبها الله من رفق ولين على أنها رضي الله عنها لم تسلم من أذى الكفار ولم تنج من شرور المشركين بل لقد نالت من عنتهم حظها وأخذت من شرورهم نصيبها. دخلت مع المسلمين شعب أبي طالب، فقد أبى الكفار إلا أن يشعلوها حرباً حامية لا رحمة فيها: «إن على قريش أن تقاطع بني هاشم فلا يبيعون لهم ولا يشترون ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم ولا يتقدمون إليهم أبداً

= باب (بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) (١/١٣٩ ـ ١٤١) كما أخرجه أيضاً: الترمذي (٣٦٣٦) شرح السنة (٧/٢٦٩) سنن البيهقي (٧/٥١، ٩/٦). وأحمد في مسنده (٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وابن حبان في (الوحي) (١/١١٥ ـ ١١٧) والبيهقي في «الدلائل» (٢/١٣٥ (١/١٣٧) وابن هشام (١/٢٣٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٧١٩).

(١) فاطمة الزهراء ـ توفيق أبو علم.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٥٢).

بعون ولا مساعدة ولا يعرضون عليهم طعاماً ولا شراباً، حتى يموتوا جوعاً ويهلكوا ظمأً أو يسلموا محمداً للقتل والهلاك»، ولم يتأخر أحد من عظماء مكة عن الموافقة على هذه الصحيفة، بل لقد رضي بكل ما فيها كبراؤهم ووقع عليها سادتهم ورؤساؤهم ثم علقوها في جوف الكعبة مبالغة في الظلم وإسرافاً في الطغيان. وحوصر بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب وقاطعتهم قريش حتى أجهدهم الجوع، وأهلكهم الظمأ، واستولى عليهم اليأس والقنوط[1]، ولم يفت السيدة خديجة أن تشارك الرسول في محنته القاسية وأن تقاسمه في بلائه العظيم فوقفت إلى جواره في داخل الشعب تجوع كما يجوع المسلمون وتقاسي ما يقاسونه من الويل والعذاب والبؤس والشقاء مع أنها سليلة مجد وربيبة نعمة ولا عهد لها بهذا الشقاء ولا بتلك الخشونة،ولا يمكنها أن تصبر على هذا البلاء، أو تحمل هذا العناء، فقد قاربت على الستين من عمرها أو تزيد عليها قليلاً ولكنها أبت إلا أن تنصر محمداً نبياً وتؤازر زوجها رسولاً، مهما كانت التضحية والفداء، ولقد دام هذا الحصار ثلاث سنين، وكانت في أثنائها من أقوى الناس إيماناً، وأشدهم عزماً، وأكملهم يقيناً، وأقربهم إلى رضوان الله. وأقدرهم على التضحية وأصبرهم على البلاء.

والذي لا شك فيه أبداً أن السيدة خديجة كانت من أجل نعم الله على رسوله، فقد هيّأها الله عز وجل لتخفف عنه أعباء المهمة الصعبة والحمل الثقيل في دعوة العرب إلى الإسلام، فتثبته وتواسيه وتنصره، وتشد عزيمته، وتبعث الأمل والرجاء في صدره حتى أدى الرسالة وبلغ الأمانة.

ولقد امتن الله على نبيه بها، وواساه بأجمل المواساة حين ظن أن

(١) انظر خبر مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب في:
البخاري رقم (١٥٨٩، ١٥٩٠، ٣٨٨٢، ٤٢٨٤، ٤٢٨٥، ٧٤٧٩) في كتاب (الحج) وغيره باب (نزول النبي ﷺ مكة) فتح الباري (٣/٤٥٢). مسلم حديث رقم (١٣١٤) في (الحج) باب (استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به) (٢/٩٥٢). سيرة ابن هشام (١/٣٥٢ ـ ٣٥٣) الروض الأنف (٣/٢٨٣).

الوحي لن يعود إليه وقد أبطأ عنه، وأن الله عز وجل قد ودّعه وقلاه، فذكر في جملة ما ذكر من نعمه عليه فضل خديجة التي أغنته بمالها عن طلب المعاش، وهيأت له ظروف التفرغ للدعوة إلى الله حتى يبلغ رسالته: ﴿والضحى. والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى﴾.

وإذا كان الأمر على هذا فكيف لا تكون خديجة أحب أزواجه إليه، يذكرها بالحب والرضى، ويخصها بالمنزلة العالية، حتى غارت زوجاته منها وهي ميتة، إنها الزوجة التي عاصرت أشد الظروف قسوة على الرسول الكريم، وأصعب المواقف والأزمات، فنصرت الله ورسوله بمالها ونفسها، وصبرت على الأذى الشديد فما وهنت عزيمتها، ولا لانت قناتها، وظلت تبعث الأمل في قلب النبي ﷺ حتى آخر حياتها، وكان من أشد ما صبرت عليه حصار الشعب، وتطليق ابنتيها رقية وأم كلثوم حين أمر أبو لهب ابنيه بتطليقهما إمعاناً منه في الكيد للنبي ﷺ، والأذى له[1].

وقد جاء جبريل بالبشرى لها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب جزاء صبرها وجهادها، وإخلاصها لدينها:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه أدم أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. فأخبر الرسول السيدة خديجة بما قال جبريل فقالت: «الله هو السلام[2]

---

(١) روى الخبر الطبراني (٢٢/٤٣٤)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢١٦ - ٢١٧) عن قتادة ثم قال: «رواه الطبراني وفيه زهير ابن العلاء ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان، فالإسناد حسن».

(٢) قولها رضي الله عنها «الله هو السلام» يدل على وفور عقلها وكمال معرفتها بربها فلم تقل: =

ومنه السلام وعلى جبريل السلام»[1]. وكفى بذلك منزلة وتكريماً ولو أن الله مد في عمرها وبسط لها في أجلها لظهر من مكارمها ومن محامدها أضعاف ما عرفه الناس وسجله الخلود ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنها ماتت شهيدة الإسلام وضحية الجهاد إذ أنها لم تخرج من الشعب إلا وهي معتلة الجسم منهوكة القوى، ولم تزل بها علة تنال من جسمها وتهد كيانها وتوهن من عزمها حتى لقيت ربها طاهرة مطهرة وراضية مرضية، ففي رمضان من السنة العاشرة بعد البعثة فاضت روحها إلى بارئها تحفها الرحمة ويتنزل عليها الرضوان.

وكان النبي إلى جانبها ينظر إليها وهي تجود بنفسها وتودع بناتها، وكانت رقية يومئذ في الحبشة مع زوجها عثمان، وألقى ﷺ على وجهها السمح نظرة أخيرة، ودع فيها الأم الحنون، والزوجة البارة، والشريك الحبيب، وكأنما ودع بوداعها الحياة بكل ما فيها من هناء وصفاء، فبكى فراقها كثيراً ثم قام الرسول ﷺ بدفنها في الحجون ونزل معها في قبرها، ثم عاد إلى البيت ليشارك بناته الثلاث مرارة الحزن وحرارة الفراق[2].

هذه هي خديجة إذاً ـ رضي الله عنها ـ التي يودعها الآن في مثواها

= السلام على الله، بل قالت «الله هو السلام» لأن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين. لأن «السلام» اسم من أسمائه، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله، فجعلت مكان رد السلام عليه، الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: «وعلى جبريل السلام».

(١) راجع: البخاري رقم (٣٨٢١) في (مناقب الأنصار) باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ـ رضي الله عنها) فتح الباري (١٣٣/٧) وفي (التوحيد) باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله). ومسلم برقم: (٢٤٣٢، ٢٤٣٣) في (فضائل الصحابة) باب (فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها) (١٨٨٧/٤). والترمذي: عن عائشة رقم (٣٨٧٦) في (المناقب) باب (فضل خديجة رضي الله عنها (٦٥٩/٥) والنسائي في (فضائل الصحابة) عن أنس (ص ٧٥). وانظر الحديث بمختلف أسانيده ورواياته في: «السمط الثمين للطبري (٢٤، ٢٥) مسند أحمد (٢٠٥/١، ٢٣٠/٢، ٢٣١، ٣٥٥/٤) الطبراني (١١/١٣) «مجمع الزوائد» ٢٢٣/٩ ـ ٢٢٥) و «المستدرك» للحاكم (١٨٥/٣) كنز العمال (١٣٠/١٢، ١٣٢) وفضائل الصحابة للإمام أحمد (١٥٨٦).

(٢) السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ـ أحمد الشهاوي ـ سعد شرف الدين.

الأخير في حزن عميق، فقد كانت سنداً وعوناً في وجوه الطغاة الذين آذوه ﷺ، واستهزأوا به وسخروا منه فكان كلما ضاق بهم عاد إلى منزله، يجد هذه السيدة العظيمة هاشة باشة تستقبله في فرح وتلقاه في سرور وتحتضنه في حنان بالغ فتسري عنه، وتملؤه بالأمل وتشحذ من همته فيعود إلى جهاده من جديد وكلماتها الحلوة وعباراتها العذبة تتردد أصداؤها في أذنيه تشجعه وتسليه وتعزيه وتقوي من عزمه وتصبره على المكاره وتعينه على الثبات على الحق فكيف لا يكون الفراق صعباً وهو يودعها اليوم إلى مثواها الأخير.

وبكاها رسول الله ﷺ كما لم يبك أحداً أبداً، فهي الزوجة، وهي الحبيبة، وهي الصديقة، وهي الأم، وكان عاماً حزيناً سمي عام الحزن[1]، كانت له عوناً وسنداً، فقد صدقته يوم كذبه الناس، وأيدته يوم حاربه الناس وأعطته يوم حرمه الناس، وزملته ودثرته وعضدته رضي الله عنها، وظل وفياً لها، حتى أثار حبه ﷺ غيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي تزوجها ﷺ بعد موتها رضي الله عنها.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر من ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» وفي رواية لمسلم: «وكان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت فأغضبته يوماً فقلت: «خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رزقت حبها»[2].

---

(١) راجع «الدلائل» للبيهقي (٣٥٢/٢) «الحاكم» (١٨٢/٣) ابن إسحاق في السير (٢٤٣) «تاريخ الطبري» (٣٤٣/٢).

(٢) البخاري رقم (٣٨١٨) في «مناقب الأنصار» باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ـ رضي الله عنها) «فتح الباري» (١٣٣/٧)، مسلم رقم (٢٤٣٥) في (فضائل الصحابة) باب (فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ) (١٨٨٨/٤) الترمذي رقم (٣٨٧٥) في =

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها واستغفار، فذكرها ذات يوم فاحتملتني الغيرة، فقلت لقد عوضك الله من كبيرة السن. قالت فرأيت النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، وسقطت من جلدي، فقلت: «اللهم إنك إذا أذهبت غضب رسولك عني لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت». قالت فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت، قال: «كيف قلت؟؟: والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني» قالت ـ رضي الله عنها ـ فغدا وراح علي بها شهراً»[1].

وجاءت أخت السيدة خديجة وكان اسمها هالة، ففرح بها النبي ﷺ، فقد كان صوتها يشبه صوت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ، وأحست أم المؤمنين عائشة بغيرة، فقالت: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر بدلك الله خيراً منها».

وهنا يتمثل الوفاء الصادق، والود الخالص، فعلى الرغم من محبته ـ ﷺ ـ لأم المؤمنين عائشة، وهي زوجته البكر الصغيرة الحسيبة النسيبة، إلا أنه لم يقبل في السيدة الكريمة خديجة أية كلمة ولو مزاحاً، ولهذا فقد غضب ﷺ، وقال في وفاء لتلك المرأة العظيمة، وإعزاز:

«لا والله ما أبدلني الله خيراً منها..
لقد آمنت بي حين كفر بي الناس..
وصدقتني حين كذبني الناس..
وواستني حين حرمني الناس..
ورزقني الله منها ولداً، ولم يرزقني من سواها..»[2].

= (المناقب) باب (فضل خديجة ـ رضي الله عنها) (٥/٦٥٩).

(١) الطبراني (٢٣/١٣) وأحمد في المسند (٦/١١٧ ـ ١١٨) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٢٤) وأسانيده حسنة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني وإسناده حسن، كما قاله الهيثميّ «مجمع الزوائد» =

رحم الله خديجة أم المؤمنين الأولى، ورضي عنها وأرضاها، وأعلى في جنات الفردوس مأواها، وجمعنا يوم الحشر وإياها في منازل الأبرار مع سيد المتقين، وخاتم النبيين محمد ﷺ، ومع سائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. ورزقنا حبهم واتباعهم وموالاتهم، والتأسي بهم، وأن نترسم خطاهم لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس. وكفى بالله وكيلاً.

= (٩/٢٢٤) وأصله في صحيح البخاري عن عائشة رقم (٣٨٢١) في كتاب (مناقب الأنصار) باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ـ رضي الله عنها) فتح الباري (٧/١٣٤). وفي صحيح مسلم: رقم (٢٤٣٧) في فضائل الصحابة) باب (فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها) (٤/١٨٨٩).

السيدة فاطمة الزهراء
بنت رسول الله ﷺ(*)

إنها فاطمة الزهراء.. هي بنت محمد بن عبد الله، سيد ولد آدم، وخاتم الانبياء والمرسلين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. فتاريخ حياتها وكفاحها، وصبرها وحبها لرسول الله ﷺ ولأمها، وزوجها وأولادها، هو جزء هام من تاريخ هذه الأمة، ومن حقها علينا أن نعود إليه بين الوقت والآخر لنتذكر هذا التاريخ المجيد، ونشحذ النفوس ونزكيها بهذه السيرة العطرة لآل بيت رسول الله ﷺ.

إنها البتول ريحانة رسول الله ﷺ، وهي بنت السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وزوج الرسول الكريم، والنبي العظيم ﷺ.

كانت فاطمة الزهراء، آخر من بقي من أولاده على قيد الحياة فشهدت وفاته ﷺ، وكانت أول من لحق به ﷺ إنها فاطمة الزهراء، بنت النبي ﷺ وسيدة نساء المؤمنين، زوج سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ، جده عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولقد كان يوماً

(*) راجع سيرة السيدة فاطمة الزهراء في:
طبقات ابن سعد (١٩٣٨)، حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣) تهذيب الكمال (١٦٩٠)، أسد الغابة (٧/ ٢٢٠)، العبر (١/ ١٣)، شذرات الذهب (١/ ٩، ١٠، ١٥)، تاريخ الإسلام (١/ ٣٦٠)، المعارف (١٤١، ١٤٢)، خلاصةتهذيب الكمال (٤٩٤)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، المستدرك (٣/ ١٥١ ـ ١٦١)، جامع الأصول (٩/ ١٢٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٠١ ـ ٢١٢)، كنز العمال (١٣/ ٦٧٤).

خاصاً عند رسول الله ﷺ يوم جاءه سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يخطب السيدة فاطمة الزهراء.

الإمام علي يخطب فاطمة الزهراء:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ: «إنها صغيرة» فخطبها علي فزوجها منه[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي»[2].

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: قال نفر من الأنصار لعلي بن أبي طالب: عندك فاطمة[3]. فأتى رسول الله ﷺ فسلّم عليه، فقال ﷺ: «ما حاجة علي بن أبي طالب»؟؟.

قال يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - فقال ﷺ: «مرحباً وأهلاً» ولم يزد عليها.

فخرج علي على اولئك الرهط من الأنصار وكانوا ينتظرونه، قالوا: ما وراءك؟ قال ما أدري غير أنه قال لي: «مرحباً وأهلاً» قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ أحدهما أعطاك الأهل، وأعطاك المرحب[4].

---

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات، وعبد الله بن بريدة قد سمع من أبيه كما صرح هو بذلك في غير هذا الحديث، وفي هذا رد لما زعم أنه لم يسمع من أبيه، ويؤيد سماعه من أبيه أن البخاري ومسلماً قد أخرجا حديثاً من طريق عبد الله بن بريدة كما في مقدمة (فتح الباري) (ص ٤١٣). والحديث أخرجه: النسائي (٦٢/٦) وابن حبان (٥٤٩ - موارد) والحاكم (١٦٧/٢) وصححه، والقطيعي في «زوائد الفضائل» (١٠٥١) وابن المؤيد الجويني في «فرائد السمطين» (٨٨/١). ومن طريق آخر أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٩/٨) والبزار (٣٧٦ - مختصر زوائد مسنده).

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود - رضي الله عنه - «مجمع الزوائد» (٢٠٢/٩) وأورده صاحب كنز العمال برقم (٣٧٧٥٢) من حديث أنس وعزاه إلى الخطيب وابن عساكر.

(٣) أي اخطبها لنفسك.

(٤) جزء من حديث عبد الله بن بريدة يأتي تمامه بعد هذا، أخرجه الطبراني (٤/٢) والبزار =

زفاف الزهراء إلى بيت سيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ:

جهز علي رضي الله عنه بيتاً ليستقبل فيه عروسه، وفرح بنو عبد المطلب فرحاً شديداً كما عم السرور جميع المسلمين من الأنصار والمهاجرين. وقال النبي ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ «يا علي لا بد للعروس من وليمة» فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً من ذرة. فلما كان ليلة البناء قال ﷺ لعلي: «لا تحدثن شيئاً حتى تلقاني»([1]).

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي وقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»[2].

وعن أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: «يا أم أيمن ادعي لي أخي» قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك.. قال ﷺ: «نعم يا أم أيمن».

قالت وسمعن النساء[3] صوت النبي ـ ﷺ ـ فتخبين ـ وفي رواية فتنحين ـ واختبيت أنا في ناحية، فجاء علي فنضح النبي ﷺ عليه من

= (الكشف: ٤٠٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٥٨) وابن السني (٦٠٧) وابن سعد (٢١/٨) وأحمد في المسند) (٣٥٩/٥) وفي (فضائل الصحابة) (١١٧٨) والطحاوي في (مشكل الآثار) (١٤٤/٤ـ ١٤٥).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٩/٩) عن بريدة ثم قال رواه الطبراني والبزار لنحوه إلا أنه قال: قال نفر من الأنصار لعلي رضي الله عنه «لو خطبت فاطمة....) ورجالهما رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سليط ووثقه ابن حبان.

(١) رواه الحافظ في (الإصابة) (٣٧٨/٤) ٩ وأخرجه الدولابي في «الذرية الطاهرة» بسند جيد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه..» وذكر آخر في هذا الحديث.

(٢) هذا تمام حديث عبد الله بن بريدة المتقدم وجاء في لفظ عند الطبراني والبزار «اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في شبليهما» «مجمع الزوائد» (٢٠٩/٩).

(٣) هكذا وردت في لفظ الحديث وهي على لغة (أكلوني البراغيث) وهي أن يكون للفعل فاعلان، والفاعلان في الجملة هما: نون النسرة: ضمير في محل رفع فاعل، والنساء: فاعل ثانٍ.

الماء ودعا له. ثم قال ﷺ «ادعوا لي فاطمة» فجاءت خَرِقة[1] من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ «اسكني فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي». ثم نضح النبي ﷺ عليها من الماء ودعا لها.

قالت - أي أسماء - ثم رجع رسول الله - ﷺ - فرأى سواداً بين يديه، فقال ﷺ «من هذا» قلت أنا. قال ﷺ «أسماء بنت عميس؟» فقلت نعم. قال ﷺ «جئت من زفاف بنت رسول الله ﷺ تكرمينه»؟ قلت نعم. قالت: «فدعا لي»[3].

وهكذا يتم الزواج بأقل كلفة، وأدنى مؤونة، وبكل سماحة ويسر وبركة، ويكفيه بركة مباركة رسول الله ﷺ له، وأن العروس فاطمة ابنته، وقطعة منه، وأحب الناس إليه، وهي التي بشرها قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام بأنها سيدة نساء المؤمنين[4] في الدنيا والآخرة، رضي الله عنها.

---

(١) خرقة: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء أي: «خجلة مدهوشة».

(٢) «النهاية» (٢/٢٦).

(٣) إسناده جيد، وأخرجه: الطبراني في الكبير (٢٤/١٣٦، ١٣٧) وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/٤٨٥) (والحاكم في «المستدرك» (٣/١٥٩) والنسائي في «خصائص الإمام علي» رقم (١٢٤) وابن سعد في الطبقات (٨/٢٣) وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (١٥٧٤) وأخرج أحمد نحوه في «الفضائل» (٩٥٨). ورجال إسناده ثقات ولكن في مكانه خطأ لأن أسماء بنت عميس لم تكن بالمدينة وقت زواج فاطمة - رضي الله عنها بل كانت بالحبشة مرض زوجها جعفر، ولم يرجعا إلى المدينة إلا في السنة السابعة - فلعل ذلك كان لأختها سلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبد المطلب.

قال الذهبي في «تلخيصه» صالح من شيوخ مسلم ولكن الحديث غلط لأن أسماء كانت ليلة زفاف فاطمة بالحبشة وقال الحافظ بن حجر في المطالب العالية، بعد أن ذكر حديث إسحاق بن راهوية: «رجاله ثقات لكن أسماء بنت عميس كانت في هذا الوقت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر لا خلاف في ذلك، فلعل ذلك كان لأختها سلمى بنت عميس وهي امرأة حمزة بن عبد المطلب».

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٠٩ - ٢١٠) من طريقين عن أسماء بنت عميس وقال: «رواه كله الطبراني ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح».

(٤) من حديث متفق عليه، وسيرد في هذا الفصل بتمامه. (ص ٧٧).

جهازها رضي الله عنها:

انظروا واسمعوا كيف كان جهاز (أم أبيها)[1] الزهراء بنت سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين فعن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال:

«جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[2] وقربة ووسادة حشوها إذخر»[3].

وفي رواية أخرى عنه كرّم الله وجهه: «أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أدم[4] حشوها ليف ورحيين وسقاءٍ وجرتين»[5].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي كان فيما أهدى معها سريراً مشروطاً[6] ووسادة من أدم حشوها ليف، وقربة، قال: وجاؤوا ببطحاء الرمل فبسطوه في البيت. . » الحديث.

فهل رأيت عرساً أحسن من هذا؟؟ كل شيء فيه تم في سماحة ويسر. . وفي خير وبركة. . فاطمة بنت محمد. . رسول الله ﷺ. . تدخل إلى بيتها مفروشاً بالرمل وبه وسادة من جلد حشوها الليف!!

(١) في أسد الغابة (٧/٢٥) وكانت تكنى أم أبيها.

(٢) الخميل: القطيفة.

(٣) الإذخر: نوع من الحشائش رطب طيب الرائحة.

(٤) الأدم: الجلد.

(٥) إسناده صحيح: وأخرجه أحمد في المسند (١/١٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/١٦١).

(٦) وفي رواية «مشرطاً» والشريط: خوص مفتول مشرط به السرير ونحوه. القاموس (٢/٣٦٨).

والحديث فيه سعيد أبي عروبة، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٢٤) والنسائي في «خصائص علي ـ رضي الله عنه ـ (١٣٨) والحاكم في «المستدرك» (٣/١٥٧) وصححه وقال الذهبي مرسل.

حياتها رضي الله عنها في بيت زوجها:

كان الإمام علي كرّم الله وجهه فقيراً لا يملك شيئاً، وكانت حياته وحياة السيدة فاطمة رضي الله عنها صعبة في كثير من الوجوه، فقد كانت ضعيفة البنية لما قاسته في حصار الشعب من جوع وحرمان، وبعد أن انفكوا من الحصار وعادوا إلى حياة مكة المكرمة بدأت في تحمل المشقة والتعب ومشاركته ﷺ في تحمل أذى قريش، ووصلت إلى المدينة المنورة دامية القدمين، ثم عاشت مع أبيها النبي الكريم الذي آثر الآخرة، وما أهمته دنياه في شيء، وكان يهتم بشئون المسلمين ويعنى بأهل بيته، ثم انتقلت إلى زوجها العالم الورع المجاهد الذي كان لا يضمن إذا اضطر أن يتناول غداء أو عشاء فشاركته الزهراء هذه الحياة راضية مرضية، وجاء في الأثر أن الإمام علياً رضي الله عنه وأرضاه كان يساعدها ما أمكنه ذلك لأنه لم يكن في إمكانه أن يستأجر لها من يخدمها، وكان يرى آثار الرحى في يديها اللطيفتين فيتأثر: «عن علي رضي الله عنه ـ أنه قال لابن أم عبد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ وكانت أحب أهله إليه ـ «كانت عندي فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثّرت في نحرها، وقمت[1] البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها ـ وفي رواية وخبزت حتى تغير وجهها ـ فأصابها من ذلك ضرر»[2].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: «لقد مجلت[3] يداي من الرحى أطحن مرة وأعجن مرة. . .»[4] الحديث.

---

(١) قمت البيت: أي كنسته، ودكنت ثيابها: أي اتسخت واغبر لونها (النهاية: ٢/١٢٨).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٥٠٦٤) في كتاب (الأدب) باب (في التسبيح عند النوم) (٥/٣٠٩)، وأبو نعيم (٢/٤١) من طريق عبد الله بن أحمد وحسنه أحمد شاكر ـ رحمه الله في تعليقه على المسند (٢/٣٢٩)، وذكر الهيثمي في «المجمع» (٥/٢١ ـ ٢٢)، وانظر فتح الباري (١١/١١٩).

(٣) أي ثخن جلدها وتعجر، النهاية (٤/٣٠٠).

(٤) رواه الدولابي في «الذرية الطاهرة» (ص١٠٣) وإسناده حسن، وأحمد في المسند =

وذكر الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال: قال علي لأمه: (اكفي فاطمة الخدمة خارجاً وتكفيك هي العمل في البيت، والعجن والخبز والطحن)[1].

وقال كرّم الله وجهه ـ لفاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ذات مرة وقد وصل إلى النبي ﷺ سبي من غزوة من الغزوات الظافرة: اذهبي فاطلبي واحدة تعينك على ما أنت فيه، ولا أظنه يردك لمكانتك عنده، واستجابت الزهراء لأمر زوجها الحبيب، وذهبت إلى أبيها ﷺ، فسألها: ما بك يا بنية؟ فقالت إنما جئت لأسلم عليك، ومنعها الحياء من أن تطلب شيئاً من أبيها، وعادت إلى بيتها كما جاءت، ولما عرف علي ما كان من أمرها أخذها وذهب إلى رسول الله ﷺ، وتكلم هو هذه المرة، وأوضح له أنها استحيت أن تطلب منه امرأة من السبي الذي وصله مع غنائم الغزو لتعينها على العمل لأنها لم تعد قادرة بمفردها على إنجازه. فأجابهما رسول الله ﷺ: «لا والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم». وجاء من طريق أبي أمامة عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «اصبري يا فاطمة إن خير النساء التي نفعت أهلها»[2].

وعادت الزهراء وبعلها راضيين بما سمعاه فمن غيرهما يعرف أهداف رسول الله ﷺ، وأكثر من هذا أنهما كانا يعلمان أنه لا يقول إلا حقاً ولا يفعل إلا حقاً. لقد مس طلبهما من أبيها شغاف قلبه، وفي المساء ذهب إليهما في بيتهما وفتح عليهما الباب وقد انكمشا في غطائهما مقرورين[3] إذا غطيا رأسيهما انكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما انكشف رأساهما،

= (٢٩٨/٦) والترمذي رقم (٣٤٠٩) في (الدعوات) باب (ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد) (٤٤٥/٥). ومعنى (مجلت يداي) ظهر في كفيها بقع صغيرة منتفخة صفراء تحتها ماء.

(١) سير أعلام النبلاء (١٢٥/٢) وارجع أيضاً ذخائر العقبى للطبري (ص ٥١).

(٢) من هـذا الطريق أخرجه الطبري في كتابه «التهذيب» كما قاله روايةابن حجر في «الفتح» (١٢١/١١).

(٣) مقرورين: يلسعهما البرد.

فهبا للقاء الحبيب، فقال لهما: مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فأجابا بلى يا رسول الله، فقال لهما: كلمات علمنيهن جبريل: «تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران ثلاثاً وثلاثين ثم ودعهما وانصرف[1].

وظل الإمام علي يردد هذه الكلمات طيلة حياته ويقول: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فقال له أحد الصحابة: ولا ليلة صفين؟ فقال ولا ليلة صفين.

وجاء في رواية: «إلا ليلة صفين فإني ذكرتها من آخر الليل فقلتها»[2].

صدقت يا سيدي يا رسول الله: «ليست الدنيا لمحمد ولا لآل محمد» فقد عاشت ابنتك الحبيبة فاطمة الزهراء في شظف عيش دائم، لأن زوجها كان لا يملك غير ما زوّده الله به من شجاعة وعلم وإيمان وجهاد مستمر في سبيل الله.

---

(١) روى الحديث مطولاً ومختصراً، وبروايات عدة وألفاظ مختلفة، راجع: (البخاري: رقم (٣١١٣، ٣٧٠٥، ٥٣٦٢، ٦٣١٨) وفي (فرض الخمس) باب (الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمسكين) وفي (فضائل الصحابة) باب (مناقب علي بن أبي طالب) وفي (النفقات) باب (عمل المرأة في بيت زوجها) وفي (الدعوات) باب (التكبير والتسبيح عند المنام) فتح الباري: (٧/٧١، ٩/٥٠٦، ١١/١١٩).

ومسلم رقم: (٢٧٢٧، ٢٧٢٨) في (الذكر) باب (التسبيح عند النوم) (٥/٣٠٩).

والترمذي رقم (٣٤٠٨) في (الدعوات) باب (ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام) (٥/٤٤٤). والنسائي في (الكبرى) في كتاب (عشرة النساء) باب (الخادم للمرأة) وفي (عمل اليوم والليلة) (ص ١٦). وأحمد في (المسند) (١/٨٠، ٦/٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٣، ٦/٢٩٨). وفي الفضائل حديث رقم (١٢٠٧). والدارمي في كتاب (الاستئذان) باب (التسبيح قبل النوم) (٢/٢٩١) والحميدي برقم (٤٣)، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/٤١/)، وفي (ذخائر العقبي للطبري (٤٩) فما بعدها. (مجمع الزوائد) (٥/٢١ - ٢٢).

(٢) انظر المراجع السابقة.

طحنت رضي الله عنها بالرحى حتى تورمت كفاها، واستقت بالقربة حتى اسود صدرها من أثر حملها وكنست بيدها حتى اغبرت ثيابها.

هكذا كانت حياة بنت نبي الأمة. . وزوج فارسها وعالمها، وهكذا سما بها رسول الله ﷺ من هموم العيش ومتاعب البيت إلى أفق أعلى وأسمى حيث الدرجات العلى. وإنها لفي مقام سيدة نساء الأمة ـ رضي الله عنها ـ.

وخير ما توصف به حياة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنها كانت حياة جادة وحازمة، حياة كلها حنان ورعاية من أبوين كريمين أصلاً، وخلقاً، وحسباً، ونسباً، كانا يحسنان إلى الناس فكيف يكون إحسانهما لابنائهما، كانا يعطفان على الناس فكيف بابنائهما، بيت كريم، وأهل كرام، وبيئة كريمة.

وتعلمت الزهراء في دار أبويها ما لم تتعلمه طفلة غيرها في مكة: آياتٍ من القرآن، وعاداتٍ لا يطيق حملها من حولهم العابدون وغير العابدين ولكنها قد تعلمت كذلك كل ما يتعلمه غيرها من البنات في حاضرة الجزيرة العربية فلا عجب أن نسمع عنها بعد ذلك أنها كانت تضمد جراح أبيها في غزوة أحد، وأنها كانت تقوم وحدها بصنيع بيتها، ولا يعينها عليه أحد من النساء في أكثر أيامها.

ويبدو أن هذه السيدة الفاضلة التي نشأت وترعرعت في هذا البيت الطاهر كانت على علم وفضل وصلة بعلوم القرآن ومعاني القرآن ومضامينه، وكل الحوادث والأحداث التي نطالعها تدلل على ذلك الفضل للسيدة فاطمة وخيرة أهل الكساء وبضعة رسول الله ﷺ.

لقد نشأت نشأة جد واعتكاف، نشأة وقار واكتفاء، وعلمت مع السنين أنها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حواء فيمن تراه، فوثقت بكفاية هذا الشرف الذي لا يدانى، وشبّت بين انطوائها على نفسها واكتفائها بشرفها كأنها في عزلة بين ابناء آدم وحواء.

سكنت هذه النفس القوية جثماناً يضيق بروحها، وقلّما رزق الراحة من اجتمع له النفس القوية والجثمان الضعيف، فإنهما مزيج متعب للنفس والجسم معاً، لا قوام له بغير راحة واحدة: هي راحة الإيمان، وهذا هو التوفيق الأكبر في نشأة الزهراء، فإنها نشأت في جهد الإيمان إذ هو ألزم ما يكون لها بين قوة نفسها ونحول جثمانها، في أخلاق السيدة فاطمة مدد صلح للثبات على الحق الذي يعتقده صاحبه أو يذادُ عنه فلا ينكص عنه على رغم.

كانت شديدة الاعتزاز بانتسابها إلى أبيها وكانت مفطورة على يقين التدين، وكانت ذات إرادة لا تهمل في حساب شأن من شئونها فظهر منها في المواقف القليلة التي نقلت عنها أنها كانت ذات إرادة قوية وعزيمة شديدة ونفس كريمة.

كان من اعتزازها بالانتساب إلى أبيها أنها كانت تسر بمشابهة أبنائها لأبيها، وكانت تذكر ذلك حين تدللهم وتلاعبهم فلم يكن أحب إليها من أن يقال لها إن أسباط رسول الله ﷺ يشبهون رسول الله.

وكانت فطرة التدين فيها فطرة ورثتها من أبوين كريمين، وحسبها ما ورثته عن خاتم الانبياء وما تعلمته منه بالتربية والمجاورة، ولكنها أضافت إليه ما ورثته من أمها السيدة خديجةَ بنتِ خويلد، وجدها خويلد هو الذي تصدى لملك اليمن من قوم تبع الذي حاول الاعتداء على الكعبة، وكان ذلك التصدي بسبب غيرة والد السيدة على الكعبة، وهي كذلك ابنة عم ورقة بن نوفل الذي اشتهر بتحنفه، وصرف جل وقته في التعرف على التوراة والإنجيل وما فيهما من بشارات ببعثة آخر الأنبياء، وهو الذي بشّر النبي ﷺ بالنبوة حين جاءه مع زوجه خديجة وقصّ عليه ما رأى حين جاءه الوحي أول مرة في غار حراء.

ومن عمق التدين، وصدق الإيمان في هذه السيدة العظيمة، أنها كانت شديدة التحرج فيما اعتقدته من أوامر الدين حتى أنها لتحتاط وتعمل بالأحوط في كل شيء. وكانت أشبه الناس بأبيها في مشيتها وحديثها

وكلامها، وقد وصفتها السيدة عائشة فقالت «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»[1] واستغربت مرة أن تكون فاطمة كسائر النساء حين رأتها تبكي ثم تضحك إلى جوار رسول الله في مرض وفاته ثم علمت أنها ضحكت لأنها سمعت من أبيها أنها أول من سيلحق به من أهله[2] وكانت رضي الله عنها ذات إرادة قوية لا تلين فقد بدا ذلك من زواجها وفي محاجتها لأبي بكر وعمر.

وقد يكون دلائل الإرادة في المرأة خاصة أنها تلزم الصمت ولا تكثر الكلام، وقد كان من عادة الزهراء أنها لا تتكلم حتى تُسأل، وأنها لا تعجل إلى الحديث فيما تعلم فضلاً عما لا تعلم، ولهذا انحصرت أحاديثها عن أبيها فيما كانت تسمعه منه بين البيت والمسجد، ولم تزد عليه. ولا ننسى أن الزهراء قد اختضرت وهي في الثلاثين، فإذا ظهر منها هذا الجد، وهذا اليقين، وهذه العزة، وهذه الإرادة وهي في تلك السن المبكرة فذاك ولا شك دليل على قوة كامنة يرجع إليها حين يفسر المفسرون خلائق بنيها وما كانوا قد استمدوه من هذا الميراث المكين)[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى ورجالهما في «الصحيح» مجمع الزوائد (٩/٢٠١).

(٢) راجع حديث عائشة رقم (٣٦٢٣، ٣٦/٢٥، ٣٧١٠، ٤٤٣٣، ٦٢٨٥) في (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) وفي (فضائل أصحاب النبي ﷺ) باب (مناقب قرابة رسول الله ﷺ ووفاته) وفي (الاستئذان) باب (من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به) (٦/٦٢٧).

ومسلم رقم (٢٤٥٠) في (فضائل الصحابة) باب (فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ) (٤/١٩٠٤). والترمذي رقم (٣٨٧٢) في (المناقب) باب (مناقب فاطمة بنت محمد ﷺ) وأبو داود رقم (٥٢١٧) في (الأدب) باب (ما جاء في القيام) وابن ماجه رقم (١٦٢١)، والنسائي في (فضائل الصحابة) (ص ٧٧) وابن سعد في (الطبقات) (٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨) (٨/٢٦)، والحاكم (٢/١٥٦)، البيهقي في (دلائل) (٧/١٦٤)، وأحمد في (المسند) (٦/٧٧، ٢٤٠، ٢٨٢) وفي (الفضائل) (١٣٢٢)، الطبراني في (المعجم الكبير) (٢٩/٤١٨) الطحاوي في (المشكل) (١/٤٨)، أبو نعيم في (الحلية) (٢/٣٩) والبغوي في (شرح السنة) (١٤/١٦٠).

(٣) فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد.

سماتها الشخصية رضي الله عنها وأرضاها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: «لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي وفاطمة»[1].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله منها في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله»[2].

وقالت أيضاً عنها: «كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها»[3].

منزلتها رضي الله عنها عند أبيها ﷺ:

عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة[4] مني، فمن أغضبها فقد أغضبني» (رواه البخاري)[5].

---

(١) أخرج حديث «أنس» أحمد في «المسند» (٣/١٦٤) بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري دون ذكر فاطمة، برقم (٣٧٥٢) من (فضائل الصحابة) باب (مناقب الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما) فتح الباري (٧/٩٩). والترمذي رقم (٣٧٧٦) في (المناقب) باب (مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما) (٥/٦١٧).

(٢)، (٣) حديث عائشة هذا قطعة من حديث طويل روته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين وأخرجه:

الترمذي وحسنه رقم (٣٨٧٢) في (المناقب) باب (فضل فاطمة بنت محمد ﷺ) (٥/٦٥٧). أبو داود في (الأدب) باب (ما جاء في القيام) رقم (٥٢١٧) والنسائي في كتابه (فضائل الصحابة) عند ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ) حديث رقم (٢٦٥) (ص ٧٨) وأيضاً النسائي في (الكبرى) في (المناقب) باب (مناقب فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بنت محمد رسول الله ﷺ) وفي (عشرة النساء) باب (قبلة ذي محرم).

والسمت، والدل، والهدى ألفاظ متقاربة المعاني، ومعناها: الهيئة، والطريقة، وحسن المعاملة.

(٤) البضعة: بفتح الباء ـ وقد تكسر ـ القطعة من اللحم: أي أنها جزء منه كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم (النهاية لابن الأثير) (١/١٣٣).

(٥) البخاري رقم (٣٧٦٧) في (فضائل الصحابة) باب (مناقب فاطمة رضي الله عنها) (فتح الباري) (٧/١٠٥) بهذا اللفظ.

وعن زيد ابن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم» (رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححاه)[1].

السيدة فاطمة سيدة نساء المؤمنين:

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط[2] مرحل[3] من شعر أسود، فجاءه الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت السيدة فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[4].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كن أزواج النبي ﷺ عنده ولم يغادر منهن واحدة فأقبلت السيدة فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحّب بها فقال: «مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى

---

(١) الترمذي (٣٨٧٠) في (المناقب) باب (فضل فاطمة بنت محمد ﷺ) (٦٥٦/٥) وابن ماجه في (المقدمة) باب (فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم) وأحمد في (المسند) (٤٤٢/٢، ٤٦٢/٣). والحاكم في المستدرك (١٤٩/٣).

(٢) مرط: كساء من خز أو من صوف أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة، والجمع مروط (النهاية) (٣١٩/٤).

(٣) مرحل: المرحل هو: الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل، (النهاية) (٢١٠/٢) شرح السنة للبغوي (١١٦/١٤).

(٤) سورة الأحزاب ٣٣، وروى حديث عائشة فأخرجه:

مسلم: رقم (٢٤٢٤) في (فضائل الصحابة) باب (فضائل أهل بيت النبي ﷺ) والحاكم (٤٧/٣).

وأما حديث أم سلمة فأخرجه/ أحمد (٢٩٢/٦، ٢٩٨، ٣٠٤) والترمذي رقم (٣٢٠٥) والحاكم (٤١٦/٢) والطبري (٧/٢٢) وأما حديث واثلة، فأخرجه: أحمد (١٠٧/٤) والحاكم (٤١٦/٢، ١٤٧/٣) والطبري (٧١٦/٢٢). وفي الباب عن غير هؤلاء راجع تفسير ابن كثير (٤٨٣/٣، ٤٨٥) والدّر المنثور) ١٩٨/٥، ١٩٩).

جزعها سارها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين أهله بالسر، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عندك من الحق لما حدثتني فقالت: أما الآن فنعم. أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه الآن مرتين وأني لا أرى الأجل إلا قد اقترب: فاتقي الله واصبري فإني نعم السلف أنا لك، قالت فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال يا فاطمة: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت ضحكي الذي رأيت» (متفق عليه واللفظ لمسلم).

منزلتها رضي الله عنها عند ربها:

عن حذيفة: سألتني أمي متى عهدك بالنبي ﷺ فقلت ما لي به عهد منذ كذا.. وكذا ونالت(*) مني فقلت دعيني آتي رسول الله ﷺ فأصلي معه المغرب، واسأله أن يستغفر لي ولك فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم انتقل فتبعته فبينما نحن في طريقنا عرض للنبي عارض فناجاه، ثم ذهب فتبعته أيضاً فسمع مشيتي خلفه فالتفت إلي وقال: «من هذا؟ حذيفة بن اليمان؟ ما لك يا حذيفة؟» فحدثته بحديث أمي.. فقال ﷺ: «غفر الله لك ولأمك، ثم قال لي: «أما رأيت العارض الذي عرض لي؟» فقلت نعم يا رسول الله فقال: «ذلك ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، وقد استأذن ربي في أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين»[1].

وقال ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2].

(*) نالت مني: شتمتني وأغلظت لي.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٧٨١) في (المناقب) باب (مناقب الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما) (٦١٩/٥). وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل.

وأحمد في المسند (٣٩٠/٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٧/١٢) وابن حبان (٥٥١ ـ الموارد) وابن خزيمة (٢٠٦/٢) والنسائي في كتابه (فضائل الصحابة) (ص: ٧٦) والحاكم في (المستدرك) (٣٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي وفيه أن الملك هو جبريل.

(٢) هذه رواية من حديث أبي موسى الأشعري، وهي عند البخاري رقم (٣٤١١) في كتاب (الأنبياء) باب (قول الله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك﴾ (فتح الباري) (٤٤٦/٦).

ومسلم: رقم (٢٤٣١) في (فضائل الصحابة) باب (فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها) (١٨٨٦/٤) وانظر (جامع الأصول) (١٢٤/٩).

هذه إذاً السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ التي حملت بها السيدة خديجة رضي الله عنها وقد قاربت يومها الخمسين من عمرها، وكانت السيدة فاطمة هي البنت الرابعة بين أخواتها، ولقد فرح بها رسول الله ﷺ، وقد كانت ولادتها بشير خير وفألاً حسناً يوم أتمت قريش بناء البيت الحرام وأراد كل سيد أن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وشجر الأمر فيما بينهم وكادوا يقتتلون ثم أجمعوا على تحكيم أول من يدخل عليهم المسجد، فكان الداخل محمداً فقالوا: هذا محمد الأمين قد رضينا به حكماً، وحين علم سبب اختلافهم قال: ضعوا الحجر على هذا الثوب ـ وبسط رداءه ـ ففعلوا فقال: ليأخذ كل رئيس قبيلة بطرف من الرداء ولترفعوه جميعاً ففعلوا، فأخذه حين رفعوه فوضعه مكانه، ولم ينازعوه في ذلك، وانطفأت الفتنة[1]، وعاد ﷺ إلى بيته فوجد خديجة قد ولدت فاطمة، وبشّر بها ففرح فرحاً عظيماً، وتفاءل بمولدها المبارك الميمون، وتهلل وجهه الشريف بالرضى والسرور، إنهما حدثان عظيمان في يوم واحد، وسماها فاطمة تفاؤلاً بأن تصير أماً وتفطم أولادها واحداً بعد آخر، وهكذا كان[2].

ومما لا شك فيه أن للسيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ دوراً كبيراً في حياة النبي ﷺ، وأثراً بعيداً في تاريخ الدعوة إلى الله عز وجل، فقد اختار الله أباها محمداً ﷺ للرسالة وهي في الخامسة من عمرها فنشأت في ظلال الدعوة وآمنت بالله ورسوله، ووقفت إلى جانبه تشد أزره، وتتقصى أخباره، وما كانت تواجهه به قريش من صد وإعراض وأذى، وكان ذلك يؤلمها ويحزنها ويملأ قلبها إشفاقاً ورحمة على أبيها الكريم، فلا تألو جهداً في شد أزره، والصبر معه، والدفاع عنه، واشتد أثرها وكبر دورها مع

(١) انظر خبر بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر: سيرة ابن هشام (١/١٩٢)، طبقات ابن سعد (١/٩٣ ـ ٩٥).

(٢) ذكر خبر ولادتها وقريش تبني الكعبة: ابن سعد في (الطبقات) (٨/٢٦).

مرور السنين، فلما ماتت أمها خديجة رضي الله عنها تضاعفت أعباؤها أكثر فأكثر، ولهذا سميت بأم أبيها.

ومَنْ مِنَ المسلمين يجهل موقفها من عقبة بن أبي معيط حين تجرأ هذا الكافر العنيد على وضع سلا الجزور على رأس النبي ﷺ وهو ساجد في ظل الكعبة، فأسرعت وأزاحته عن رأسه الشريف، ساخرة بعقبة، متحدية غلظته وجبروته، وكل من كان معه يؤيده، في الكيد والأذى للنبي عليه الصلاة والسلام[1].

هذه السيدة العظيمة الجليلة يتمثل فيها جزء كبير من تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد عاصرت أحداث الرسالة، وعاشت فصولها، وأحست بضخامة الأعباء التي كان يتحملها النبي ﷺ، ويصبر على شدائدها، وقد كانت قريبة تسمع وتدرك كل ما تعنيه كلماته يوم وقف على الصفا ينادي بأعلى صوته: (يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة)[2].

وكانت الزهراء بجواره يوم جاء يصلي في المسجد الحرام ويطوف

---

(١) راجع ذلك في:

البخاري رقم: (٢٤٠، ٢٩٣٤، ٣١٨٥) في كتاب (الوضوء) باب (إذا ألقى على ظهر المصلي قذر وجيفة لم تفسد عليه صلاته) وفي (الصلاة) باب (المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى) وفي (الجهاد) باب (الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة) وفي (الجزية والموادعة) باب (طرح جيف المشركين في البئر) (فتح الباري) (١/٣٤٩، ٦/١٠٦، ٦/٢٨٢). مسلم رقم (١٧٩٤) في كتاب (الجهاد والسير) باب (ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) (٣/١٤١٩).

(٢) البخاري رقم (٤٧٧٠، ٤٧٧١، ٤٩٧١) في كتاب (التفسير) تفسير قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وتفسير سورة: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾. فتح الباري (٨/٥٠١، ٧٣٦، ٧٣٧).

مسلم رقم (٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨) في (الإيمان) باب قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (١/١٩٣ ـ ١٩٤) والترمذي رقم (٣٣٦٠) في (التفسير) وأحمد في (المسند) و (١/٣٠٧).

بالبيت فانتظره عدو الله عقبة بن أبي معيط حتى سجد رسول الله ﷺ فقام هذا الخبيث فوطىء بقدمه عنق النبي الكريم ورأى أبوبكر الصديق ذلك فدفعه عنه وقال قولته المشهورة: «ويحكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله»[1].

وكانت الزهراء رضي الله عنها ترفع الأذى الذي يضعونه على رأسه ﷺ، وكم تألمت الزهراء وهي ترى أعداء الله يؤذون والدها الرسول الكريم وصاحبه أبا بكر الصديق لأنه يقف مع رسول الله ويدافع عنه فضربوه وشتموه وأدموا جسمه وانتزعوا شعره رضي الله عنه.

وكانت هي بجواره رضي الله عنها تتألم لمصابه، ووقفت هذه السيدة الكريمة بجوار رسول الله ﷺ في كل المحن التي ألمّت به وكانت تبكي مما أصاب أباها الكريم الذي وقف صابراً محتسباً يهدىء من روعها ويسري عنها ويبشرها بأن نصر الله قريب، وعاشت هذه الزهراء المباركة حصار الشعب الذي آلمها وآذاها وعمق الأسى في نفسها خصوصاً وهي ترى عداوة هؤلاء القوم دون ما ذنب ولا جريرة.

ومرضت السيدة فاطمة رضي الله عنها داخل الشعب، وكانت أسرة الرسول ﷺ كلها تعاني من قسوة قريش وظلمهم، وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها خائفة على هذه الطفلة الصغيرة خصوصاً بعد أن تمكن من السيدة خديجة المرض، واشتدت عليها العلة، وأحست بدنو الأجل، فلما توفيت خديجة حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وأحس بمرارة الفراق، وعمق الوحشة، وهول المصيبة، فقد ودّع بها امرأة عظيمة طالما أيّدته وشجعته وواسته، وكانت خلال حياتها معه ينبوع عطف ورحمة وحنان.

---

(١) البخاري رقم (٣٦٧٨ ، ٣٨٥٦ ، ٤٨١٥) في (فضائل الصحابة) باب (قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً) وفي كتاب (مناقب الأنصار) باب (ما لقي النبي ﷺ وأصحابه بمكة) وفي (التفسير) (تفسير سورة المؤمن). فتح الباري (٧/٢٢، ١٦٥، ٨/٥٥٣). وراجع أيضاً: (دلائل النبوة) للبيهقي (٢/٢٧٤) فما بعدها و (مجمع الزوائد) (٨/٢٢٨).

حقاً إن السيدة فاطمة رضي الله عنها قد شاركت في تحمل أعباء الدعوة مشاركة فعّالة، وأصابها من همومها وآلامها قسط غير قليل، فهل أتاك نبأ أُحدٍ العظيم؟ فقد أشيع يومها أن محمداً قد قتل، وبلغ النبأ السيدة فاطمة ونساء المؤمنين في المدينة فاهتزت المدينة للنبأ، وأسرعت السيدة فاطمة تنظر ماذا جرى، وتستكشف حقيقة الأمر، فلما رأت أباها والدم ينزف من وجهه الشريف أسرعت إليه تسعفه، وحاولت إيقاف الدم بيديها فلم تستطع، وكان علي بن أبي طالب ـ زوجها ـ يسكب الماء بالمجن على وجه الرسول ﷺ فلما رأت أن الماء لا يزيد الجرح إلا نزيفاً أسرعت إلى قطعة من حصير قديم فأحرقته حتى إذا صار رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم وسكن»[1].

من مناقب الزهراء رضي الله عنها:

ومن مناقبها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحبها ويكرمها ويسر إليها، وكانت أحب الناس إليه ﷺ وأقربهم إلى قلبه، وأكثرهم التصاقاً به، وأسرعهم إلى فهمه وإجابة مطالبه وتلبية حاجته.

روى الترمذي أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ سئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟. قالت: فاطمة. قيل من الرجال؟. قالت: زوجها إن كان ـ ما علمت ـ صواماً قواماً»[2].

وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي»[3].

---

(١) البخاري رقم (١١ : ٢) في كتاب (الجهاد) باب (لبس البيضة) وفي المغازي باب (ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد (فتح الباري) (٦/٩٧، ٣٧٢/٧). مسلم رقم (١٧٩٠) في (الجهاد والسير) باب (غزوة أحد) (١٤١٦/٣) وابن ماجه (٣٤٦٤) في (الطب) باب (دواء الجراحة (١١٤٧/٢) والإمام أحمد في (مسنده) (٢٣٠/٥ ـ ٥٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٨٧٤) باب (مناقب فاطمة بنت محمد ﷺ وقال هذا حديث حسن غريب. والحاكم في المستدرك (١٥٧/٣) وصححه ولم يتعقبه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٨٦٨) في (المناقب) باب (مناقب فاطمة بنت محمد ﷺ) =

وكانت رضي الله عنها أصدق الناس لهجة: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمةإلا أن يكون الذي ولدها»[1].

وقد ورد الكثير من الأحاديث الشريفة في سيادتها وفضلها: منها: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[2].

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ـ أو سيدة نساء هذه الأمة»[3].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة»[4].

وكان النبي ﷺ لا يصبر عن رؤيتها، ولا يبطىء عن زيارتها ولا يطيق بعدها عنه، فكثيراً ما كان يذهب إليها ويجلس عندها ويطيل الجلوس وكان يشاركها شؤونها، ويحمل عنها أولادها ويسألها عن مكنون سرها ودخيلة أمرها وعما عسى أن يؤلمها ويؤذيها.

= والحاكم في (المستدرك) (٣/١٥٥) وصححه ووافقه الذهبي).

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك) (٣/١٦٠، ١٦١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٨٧٨) في (المناقب) باب (مناقب خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وقال: هذا حديث صحيح (٥/٦٦٠). والحاكم في (المستدرك) وصححه ووافقه الذهبي (٣/١٥٧) ورواه أيضاً أحمد في (المسند) (٣/١٣٥) وابن حبان رقم (٢٢٢ ـ موارد).

(٣) جزء من حديث طويل رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة عن فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ وقد سبق تخريجه

(٤) رواه أحمد في (المسند) (١/٢٩٣). والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٤) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في (المجمع) (٩/٢٢٣) وزاد نسبته إلى أبي يعلى والطبراني وقال: ورجالهم رجال الصحيح.

ويحدثنا أبو هريرة فيما رواه ـ الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث أسامة بن زيد ـ قال رضي الله عنه: جئت إلى بيت النبي ﷺ فقيل لي: إنه عند السيدة فاطمة فأتيته فلما طرقت الباب خرج لي رسول الله ﷺ وهو متدثر بعباءته. ورأيته يحمل شيئاً داخلها بينها وبين صدره فقلت له ماذا يا رسول الله؟.

فابتسم وقال: «هذان ابنايَ الحسن والحسين اللهم فأحبهما وأحب من يحبهما»[1]. فكان النبي ﷺ إذا أراد الحج أو الغزو لا يخرج من المدينة حتى يكون آخر عهده بها رؤية السيدة فاطمة فإذا عاد من سفره بدأ بالمسجد فصلى به ركعتين ثم يأتي السيدة فاطمة بعد ذلك ثم يخرج من عندها إلى بيت أزواجه أمهات المؤمنين وربما عتبت عليه بعض أزواجه في ذلك فيقول لها: «إن فاطمة الزهراء أحب أهل بيتي إلي»[2].

ومن مناقبها رضي الله عنها أن الله حفظ ذرية نبيه في ذريتها وأبقى عقبه في عقبها فهي وحدها دون بناته وبنيه أم السلالة الطاهرة والعترة الخيرة من عباد الله لأن أبناء النبي الذكور لم يكبروا فقد مات القاسم وعبد الله وإبراهيم وهم جميعاً أطفال صغار لم يشبوا عن الطوق ولم يبلغوا الحلم، وأما بناته عليه الصلاة والسلام فكن أربعاً: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء.

---

(١) انظر:

الترمذي: رقم (٣٧٦٩) في (المناقب) باب (مناقب الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ) (٦١٤/٥) وقال) (حسن غريب) وأحمد في (المسند) (٤٤٦/٢)، وفي (الفضائل) (١٣٧١) وابن أبي شيبة في (مصنفه) (١٩٧/١٢)، والبخاري في (التاريخ الكبير) (٢٨٦/٢) وابن حبان (٥٥/٢ ـ موارد) والطبراني في (المعجم الصغير) (١٩٩/١) والمزي في (تهذيب الكمال) (٢٥١/١)، والبزار (٢٢٦/٣ ـ كشف الأستار) وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٨٠/٩) وقال: رواه البزار وإسناده حسن ورواه أحمد عن عطاء بن يسار وقال في (المجمع) (١٧٩/٩) رجاله رجال الصحيح. وعن ابن مسعود وقال في (المجمع) (١٨٠/٩) (وإسناده جيد).

(٢) راجع في ذلك: ـ المسند (١٥٥/١)، (ذخائر العقبى) للطبري (٣٧).

ولم يبق من بناته الطاهرات إلا الزهراء البتول وقد رزقها الله بالسبطين الكريمين والحفيدين النيرين الحسن والحسين كما رزقها البطلة المجاهدة والعقيلة الخالدة والبارة الطاهرة صاحبة المواقف المشهورة وشجرة الفضائل المحمودة السيدة زينب رضي الله عنهم أجمعين.

ومن ذرية الزهراء كان جميع أهل البيت الشرفاء والأمجاد الأعزاء، ومن مناقبها رضي الله عنها كثرة ورود اسمها على لسان النبي ﷺ ولعلنا لا ننسى حديث المرأة المخزومية التي سرقت وكانت من أشرف القبائل ومن أنبلها ولما خاف أهلها ما سيلحق بهم من معرة قطع يدها بإقامة الحد عليها وسطوا أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه ليشفع فيها عند رسول الله ﷺ حتى لا يقطع يدها، ولما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ قال قولته الخالدة: «يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟.. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها!!»[1].

القدوة الحسنة:

وكان النبي - ﷺ - كثيراً ما يأخذها بأدب أهل البيت ليجعل من أهل بيته مثلاً أعلى في الزهد في متاع الحياة الدنيا.

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة

---

(١) البخاري (٦٨٨٧) في (الحدود) باب (إقامة الحدود على الشريف والوضع وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان) وباب (توبة السارق) (وفي الشهادات) باب (شهادة القاذف والسارق والزاني) وفي (الأنبياء) باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) وفي (فضائل أصحاب النبي ﷺ) باب (ذكر أسامة بن زيد) وفي (المغازي) باب (مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح). فتح الباري (٨٦/١٢). ومسلم رقم (١٦٨٨) في (الحدود) باب (قطع السارق الشريف وغيره) وفي (الترمذي) رقم (١٤٣٠) في (الحدود) باب (ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود) وأبو داود رقم (٤٣٧٣، ٤٣٧٤) في (الحدود) باب (في الحد يشفع فيه) والنسائي (٤١٨، ٧٥).

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ما في الحديث من فوائد حتى قال: ... «وفيه ما يدل على أن فاطمة رضي الله عنها عند أبيها في أعظم المنازل.

وأنا معه، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت: هذه أهداها لي أبو حسن. فقال ﷺ: «يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس: هذه فاطمة بنت محمد وفي جيدها سلسلة من نار».

ثم خرج ـ ﷺ ـ فاشترت بالسلسلة غلاماً فأعتقته.. فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي نجّى فاطمة من النار»[1].

هذه السيدة فاطمة الزهراء.. وهي أكرم من أن تدل عليها السرود. يكفيها إطراء كونها ابنة سيدنا محمد ﷺ وزوجة سيدنا علي، وأم سيدينا العظيمين الحسن والحسين، وسيدة نساء العالمين، وأحب الناس إلى أبيها سيدنا محمد ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ واكرب أبتاه.

فقال ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.. فلما دفن قالت فاطمة: «أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب»[2].

وفاة السيدة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ:

ومما يروى عنها ـ رضي الله عنها ـ أنها حين حضرتها الوفاة، قالت لاسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت، فلا تحمليني على سرير ظاهر وفي رواية عبد الله بن بريدة أنها قالت لأسماء:

«إني لأستحيي أن أخرج غمداً على الرجال من خلاله جسمي» وفي

---

(١) أخرجه النسائي: (١٥٨/٨)، في (الزينة) وأحمد في (المسند) (٢٧٨/٥)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٥٤/٢) والحاكم في (المستدرك) (١٥٢/٣، ١٥٣) وصححه ووافقه الذهبي وصححه أيضاً الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) (٥٥٧/١) وأعله بعضهم بالانقطاع لرواية يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام.

(٢) البخاري: حديث رقم (٤٤٦٢) في (المغازي) باب (آخر ما تكلم به النبي ﷺ) فتح الباري (١١٣/٨).

رواية أم جعفر: «إني أستقبح ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها»[1].

فقالت لها اسماء: لا لعمري يا ابنة رسول الله ﷺ ولكن أصنع نعشاً كما رأيته يصنع بالحبشة.

فقالت فاطمة: «فأرينيه».. فدعت اسماء بجرائد رطبة فحنتها، ثم جعلت على السرير نعشاً.. فلما رأته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ تبسمت وما رئيت متبسمة[2] إلا يومئذ، وقالت لاسماء: «ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل، سترك الله كما سترتني، إذا مت فغسليني أنت وعلي، ولا يدخلن أحد علي»[3].

توفيت رضي الله عنها يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلاً وصلى عليها سيدنا علي رضي الله عنه وقيل صلى عليها العباس رضي الله تعالى عنه ونزل في قبرها هو وسيدنا علي والفضل بن عباس[4] وفي كتاب الذرية الطاهرة للدولابي[5] قال لبثت السيدة فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ ثلاثة أشهر.

وأصح الروايات رواية الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: مكثت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر[6].

---

(١) أي يظهر حجم أعضائها.

(٢) أي من بعد وفاة النبي ﷺ).

(٣) راجع في ذلك:
الطبقات لابن سعد (٢٨/٨)، سنن الدارقطني (١٩٤/١)، سنن البيهقي (٣٩٦/٣ - ٣٩٧)، مسند الإمام الشافعي (ص: ٣٦١)، الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي (٢٨٠). الحلية (٤٣/٢)، تلخيص الحبير (١٤٣/٢).

(٤) انظر الطبقات لابن سعد (٢٨/٨، ٢٩) «المستدرك» (١٦٢/٣).

(٥) «الذرية الطاهرة» للدولابي (ص ١٠٩).

(٦) واصل هذه الرواية في الصحيح. من حديث طويل عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وقد انتقلت هذه السيدة إلى جوار ربها وأسلمت روحها الطاهرة وهي ما تزال في ربيع شبابها وريعان صباها.. فقد توفيت وهي ابنة ثمانية وعشرين ربيعاً وحزن المسلمون لوفاتها بعد رسول الله ﷺ.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فسلام الله على الزهراء في الخالدين وسلام الله عليها في الأبرار الطاهرين وسلام الله عليها في الملأ الأعلى إلى يوم الدين وسلام الله عليها في فراديس الجنان مع النبيين والصديقين.

(وأما أولادها) رضي الله عنها وعنهم.. فالحسن والحسين ومحسن وقد مات هذا صغيراً وأم كلثوم وزينب، وزاد الليث بن سعد (رقية) وماتت صغيرة لم تبلغ. ولم يتزوج علي رضي الله عنه على السيدة فاطمة رضي الله عنها حتى ماتت[1].

= في البخاري: رقم (٤٢٤٠، ٤٢٤١) في (٦٤) كتاب (المغازي).

(٣٨) باب (غزوة خيبر)، (٣٢) كتاب (الجهاد) (١٦) باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» (٣/١٣٨٠).

وراجع أيضاً: الطبقات لابن سعد (٨/٨)، الطبراني (٢٢/٣٩٨) «الحلية» (٢/٤٢، ٤٣)، «مجمع الزوائد» (٩/١١). المستدرك (٣/١٦٢).

(١) نور الأبصار.

الإمام علي كرّم الله وجهه(*)

قد يعرف التاريخ أبطالاً للمعارك يقاس مجدهم ويرتفع شأنهم بمقدار ما أحرزوا من نصر، وما أبرزوا فيه من معارك ولا شيء وراء ذلك.

وقد يعرف التاريخ زعماء تجمع حولهم الأتباع وتعصبت لهم الأهواء، ويذكرون في التاريخ تنويهاً بقدرهم عند اتباعهم، وذكراً لمكانتهم عند محبيهم، ولا ذكر لهم إلا بذلك.

وقد يعرف التاريخ حكاماً، وملوكاً وأمراء ـ ساسوا في الناس أو بعضهم فيذكرُ لهم عصرَهم في الملك ودورَهم في السلطة ولا حديث عنهم بعد حديث الملك والسلطان.

وقد يعرف التاريخ علماء وفقهاء وقضاة ومفكرين يذكر لكل منهم

(*) راجع ترجمته رضي الله عنه في:

«فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل (٥٢٨/١) فما بعدها. «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه» للنسائي «فضائل الصحابة للنسائي أيضاً»، «حلية الأولياء»، لأبي نعيم (٦١/١) و «معرفة الصحابة» لأبي نعيم أيضاً (٢٧٦/١) فما بعدها، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٩/٣) «الطبقات لخليفة بن خياط» ص: (٤).

«تاريخ الطبري» (٤٢٧/٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣٤٤/١/١) «أسد الغابة «لابن الأثير (١٩/٤)، «جامع الأصول» (٦٤٨/٨) «وتجريد أسماء الصحابة» للذهبي (٣٩٢/١، / /)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٥٢/٢) «تهذيب التهذيب» (٣٣٤/٧)، «الاستيعاب» (٢٦/٣)، «الإصابة» (٥٠٧/٢)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (١٦٦)، ذخائر العقبى «للمحب الطبري» (٥٥).

دوره فيما تفوق فيه مقارناً بسابق أو لاحق أو ند ونظير ثم لا يعرف له مكان في غير تخصصه وفنه.

ولكن فتى كالإمام علي تجده في كل هؤلاء ـ ولا تجده من بينهم، لأنه سبقهم فلم يدركوه، وفاتهم فلم يلحقوه، وتفرد عنهم بأنك تجده في كل ذلك رأساً ـ لا تالياً ـ وتجد كل هذه العبقريات عنده، وهي تكاد تتناقض إلا في نفس هذا الإنسان الفذ العجيب.

فهو بطل حرب، ولكن حربه يحكمها الفقه، ويحركها العلم، ويصونها العفاف.

وهو زعيم متبوع، ولكنها زعامة أساسها الورع، وعمادها الخضوع، ولا تعرف إلى التطاول سبيلاً.

وهو خليفة رائد، وأمير حاكم، ولكن في تواضع الزهاد، وضبط العلماء، وعدل القضاة، ويقين العرفان بالله.

وهو عالم ذو فهم، وفقيه ذو رأي، وقائد ذو بصيرة لم يفسد علمه بالإمرة، ولا مال فقهه بالسلطة، ولا جار قضاؤه لرضى الأتباع.

هذه هي شخصية الإمام الورع، الفارس التقي، العالم النقي، القاضي الذكي، شيخ المهاجرين والأنصار، أمير المؤمنين: أبي الحسن أخي رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء المؤمنين، أحد الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.. وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المعدودين، والخطباء والفصحاء المعروفين، والزهاد المذكورين، والسابقين إلى الإسلام.

الحامل للواء النبي ﷺ في أكثر حروبه. شهد المشاهد كلها إلا تبوكاً فقد استخلفه الرسول على المدينة، وكان الرسول ﷺ إذا لم يغز بنفسه أعطاه سلاحه.

وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأقرب العشرة المبشرين بالجنة إلى الرسول نسباً، وأحد الستة أهل الشورى. .

وهو الفتى الذي لم يفارق رسول الله ﷺ منذ أن نشأ في حجره ﷺ إلى أن توفاه الله.

وهو يعرف هذا الشرف ويعتز به حيث يقول: «تعلمون موضعي من رسول الله ﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره ﷺ، وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني فراشه، ويمسني جسمه ويشمني عرقه، وما وجد لي من كذبة في قول، ولا خطلاً في فعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من صفاته علماً ويأمرني بهذا الاقتداء».

هذا علي بن أبي طالب زوج فاطمة ذات المجد واليقين، بنت خير المرسلين كرّم الله وجهه، لم ينحن لصنم أبداً، وهو أول من أسلم من الفتيان، وأول من صلّى خلف رسول الله ﷺ.

كان نبيلاً في السلم، ونبيلاً في الحرب، ومن تكريم الله له أنه لم يقع بصره على عورة قط.

ويكفيه شرفاً أن نزلت فيه الآية الكريمة: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ [الآية ٣٣/ الأحزاب) فقد دعا رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين وألقى عليهم برده قائلاً: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»[١].

وقال عنه يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي الجزء الأول منه برقم (٣٧١٣) في (المناقب) (مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -) (٥٩١/٥) وقال حسن صحيح. والحاكم في «المستدرك» «مطولاً، =

وقال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه». . وكان ذلك في غزوة خيبر، ثم أعطاها لعلي رضي الله عنه.

روى البخاري ومسلم وغيرهما: أن علياً - رضي الله عنه - كان قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله - ﷺ - فخرج فلحق بالنبي ﷺ.

فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها. قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه - يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله».

= وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي والنسائي في فضائل الصحابة» برقم (٤٥) وفي «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه» ص (٨٤) فما بعدها، «وأحمد في المسند» وفي «الفضائل» والبزار، والطبراني، وأبو يعلى، وغيرهم. قال الشوكاني في «در السحابة» ص (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) أخرجه أحمد البزار بإسناد رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة - وقال - أيضاً - وأخرجه رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة - وقال - أيضاً - وأخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد رجال ثقات من حديث حبشي بن جنادة.

وقد روى الحديث من طرق كثيرة، وأسانيده عديدة، وروايات مختلفة فراجع:

«المسند للإمام أحمد» (٨٤/١، ٨٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٦٨/٤، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٤٧/٥، ٣٦٦، ٣٧٠، ٤١٩) و «فضائل الصحابة» له رقم (٩٥٩، ٩٩٢، ١١٦٧، ١١٧٧) و «المعجم الكبير» للطبراني: (٢٠/٤، ٢٠٧، ١٩٦/٥، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣١) وابن حبان (٢٢٠٥ -موارد) والبزار (١٨٨/٣، ١٨٩، ١٩٠ - كشف الأستار، «مشكل الآثار» (٣٠٧/٢ - ٣٠٩) كنز العمال (٦٠٨/١١ - ٦١٠، ١٣٤/١٣).

وقد عقد الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٣/٩) (باب قوله ﷺ «من كنت مولاه فعلي مولاه» وذكر فيه طرقاً كثيرة جداً.

وقال ابن حجر: هذا الحديث كثير الطرق جداً استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد منها صحاح ومنها حسان. فتح الباري (٧٤/٧). وذكر البيهقي في «مناقب الشافعي» (٣٣٧/١) بإسناده عن الشافعي يقول في معنى قول النبي ﷺ «من كنت مولاه» يعني بذلك ولاء الإسلام.

فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . قال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت[2] لها رجاء أن أدعى لها.

فقال ﷺ : «أين علي بن أبي طالب».

فقيل له: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال ﷺ : «فأرسلوا إليه» فأتي به فتفل رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال ﷺ : «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». ففتح الله على يديه.

وجاء في رواية: فما لحق به آخر أصحابه حتى فتح على أولهم. وفي أخرى: «فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح لأولهم»[3].

---

(١) أي يخوضون ويتحدثون في ذلك. النووي على مسلم (١٥/١٧٨).

(٢) أي تطلعت لها، وحرصت عليها، وتطاولت وأظهرت وجهي ليراني رسول الله ﷺ فيتذكرني.

وإنما حرص عليها عمر ـ رضي الله عنه ـ لما دلت عليه الإمارة من محبته لله ولرسوله ومحبتهما له والفتح على يديه، النووي على مسلم: (١٥/١٧٦).

(٣) البخاري رقم (٢٩٤٢، ٢٩٧٥، ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٣٧٠٢) في (الجهاد) باب (دعاء النبي ﷺ) وباب (فضل من أسلم على يديه رجل) وفي (فضائل الصحابة) باب (مناقب علي ـ رضي الله عنه ـ) وفي (المغازي) باب (غزوة خيبر).

ومسلم: رقم (٢٤٠٦، ٢٤٠٧) في (فضائل الصحابة) باب (من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ) ٤/١٨٧١). وابن ماجه في (المقدمة) (١١٧) باب (فضل علي بن أبي طالب). وأحمد في «المسند» (١/٩٩، ٥/٣٥٣) وفي (الفضائل) (٩٨٧، ٩٨٨، ١٠٣٦، ١٠٣٧) وأبو نعيم في الحلية (١/٦٢) وفي «معرفة الصحابة» (١/٢٩٧) فما =

وقال ﷺ لفاطمة يوم زواجها من علي:

«أنكحتك أحب أهل بيتي»[1].

وأخبره ﷺ أنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.

عن زر بن حبيش قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «والذي خلق الحبة[2]، وبرأ النسمة[3]، إنه لعهد النبي الأمي إلي إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق[4].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: إن كنا لنعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم علي بن أبي طالب[5].

= بعدها، «والبغوي في شرح السنـة» (١١١/١٤ - ١١٢) والبيهقي في «دلائل النبـوة» (٢٠٥/٤).

أما عن الحديث فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (١١/٣) وهذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين يتبرأون منه ولا يتولونه ولا يحبونه - كالخوارج - فإن النبي ﷺ شهد له بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي شقها للإنبات.

(٣) النسمة: كل شيء فيه روح، وبرأها: خلقها.

(٤) راجع: مسلم رقم (٧/١) في (الإيمان) باب (الدليل على أن حب الأنصار وعلي - رضي الله عنهم - من الإيمان) (٨٦/٦)، الترمذي برقم (٣٧٣٦) في (المناقب) باب (مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه) (٦٠١/٥) والنسائي في الإيمان) باب (علامة الإيمان) وباب (علامة النفاق) (١١٦/٨ - ١١٧) وابن ماجه (١١٤) وأحمد في (المسند) (٨٤/١، ٩٥، ١٢٨) وفي (الفضائل) (٩٤٨) وابن أبي شيبة في (مصنفه) (٥٦/١٢) وابن منده في (الإيمان) (٢٦١) والبغوي في شرح السنة) (١١٣/١٤ - ١١٤).

أما عن الحديث فقال القرطبي في (المفهم): «وأما الحروب الواقعة بين الصحابة، فإن وقع من بعضهم لبعض بغض فإن ذلك من غير هذه الجهة بل للأمر الطارىء الذي اقتضى المخالفة، ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام» - فتح الباري - (٦٣/٧).

(٥) الترمذي رقم (٣٧١٧) في (المناقب) باب (مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -) =

وكذلك عندما نزلت آية المباهلة: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾[1].

فجمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وأولادها وقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ ذكر علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، فقال سعد: «والله لأن تكون لي إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس. وفي رواية ـ أحب إلي من حمر النعم: سمعت رسول الله ﷺ ـ يقول له ـ وقد خلفه في بعض مغازيه ـ فقال له علي: «يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». قال فتطاولنا لها، فقال ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم﴾[2] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[3].

= (٥/٥٩٣) وروى نحوه أحمد في (الفضائل) عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ برقم (٩٧٩، ١٠٨٦) والطبراني كما في (مجمع الزوائد) (٩/١٣٢) وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب) والطبري في الرياض النضرة (٣/٢٤٢) (الذخائر) (ص ٩١).

(١) آل عمران/٦١.

(٢) آل عمران/٦١.

(٣) مسلم برقم (٢٤٠٤) في (فضائل الصحابة) باب (من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) (٤/١٨٧١). والترمذي رقم (٣٧٢٤) في (المناقب) باب (مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) (٥/٥٩٦) وأحمد في المسند) والحاكم (٣/١٨٠) وابن المؤيد الجويني في (فرائد السمطين) (١/٣٧٧) والبزار في مسنده، والطبراني في (الكبير) (١/١٠٨) وابن حبان (٥٤٣ ـ موارد) والنسائي في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي =

قال أبو العباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وأعجمي صلى مع محمد ﷺ، وهو الذي كان لواء الرسول إليه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره.

أما الحسن البصري فقد سأله رجل عن علي بن أبي طالب فقال: «كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، وكان رباني هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ. وأعطي القرآن عن عزائمه ففاز منه برياض موفقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي الحق أنه شهد منذ صباه نزول القرآن الكريم منذ كان في حجر النبوة، وتفقه في أسباب النزول والتفسير، وعايش أغلب السنة الشريفة عملاً وقولاً فتفقه فيها جميعاً.

وقال الإمام أحمد بن حنبل، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه.

على أن هذا الفارس الذي حمل راية رسول الله ﷺ في بدر وهو ابن عشرين عاماً، والذي ما بارز أحداً إلا قتله، هذا الفارس الشجاع ذو القوة البدنية الخارقة، كان يتمتع بقوة ذهنية خارقة أيضاً.

وكان ذا هيبة خاصة تجعل الناس يتحرزون أمامه من الخطأ.

عندما علمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمصرع الإمام علي كرّم الله وجهه، قالت: «فلتصنع العرب ما شاءت فليس أحد ينهاها».

لقد كان يملك الطاقة الخارقة على الصبر والعفو كما تعلَّم منذ طفولته في حجر النبوة، فعندما تخلف بعض الناس عن بيعته أبى أن يذلهم واكتفى

= طالب رضي الله عنه) رقم (١١) وزاد البزار والحاكم والنسائي - (والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة).

بقوله عنهم: «اولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل، تخلفوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل».

على أن لكل صفة من هذه الصفات شأناً عظيماً فيما سيستقبله كرم الله وجهه من أيام حياته.

من هذه الصفات ما روي عن رسول الله ﷺ، كما أثبته الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم والبزار والطبراني بسند جيد عن علي: «قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك؟.. قال: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم»[1].

كان ﷺ حريصاً عليه، وكان به حفياً، ولكنه لم يوصِ به خليفة له، ولم يوص بأحد خليفة، بل ترك الأمر للمسلمين على نحو ما جاء في الحديث السابق، يختارون حاكمهم بمحض إرادتهم الحرة، وإن كان أشار إشارات إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فقد أمره ﷺ أن يصلي مكانه في مرضه الأخير. وقال ﷺ: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[2] والنصوص التي تحتوي الإشارات كثيرة.

كان علي كرّم الله وجهه على ما عرف به من حياء ـ جسوراً في الحق، لا يتهيب في سبيل تحري الحقيقة شيئاً، لا يستحي من البحث والتقصي، فلا يظلم أحداً. وهذه هي طبيعة القاضي ركبت فيه إلى جوار طبيعته الزاهدة.

(١) رواه أحمد في المسند(١٠٨/١) وفي (الفضائل) رقم (٢٨٤) وأبو نعيم في (الحلية) (٦٤/١) والبزار (كشف الأستار) (٢٥٥/٢) والطبراني في الأوسط.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٥ رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات ويبقى الحديث محل نظر.

(٢) أبو داود رقم (٤٦٦٠، ٤٦٦١) في (السنة) باب (استخلاف أبي بكر ـ رضي الله عنه) وأحمد في (الفضائل) برقم (٥٨٩).

منذ مطلع عمره تعوّد علي كرّم الله وجهه أن يقتحم الضباب على الريب ليجلو الحقيقة، ويزيل الريبة. وهذا النهج في علاج الأمور وتقصي الحقيقة فيما وراء المظاهر سيعين على إقامة العدل في عهد عمر، حين يغدو علي صاحب الشورى في أمور الفقه والقضاء.

عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن[1].

مناقبه ـ رضي الله عنه:

تعداد مناقبه وخصائصه أكثر من أن يحاط بها. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «أحوال علي ـ رضي الله عنه ـ وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة».

وقد اهتم العلماء بذكرها منذ القدم، فلخص الزمخشري شيئاً منها فيما صنفه عن مناقب العشرة المبشرين بالجنة، وأفرد لها الإمام النسائي مصنفاً خاصاً سماه: (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) وكذا ابن المغازلي في كتابه: (مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه).. وغيرهم.

ويجدر بنا أن نذكر بعض ما ذكروه من تلك الخصائص على سبيل ضرب المثال أما الحصر فمحال.

المنقبة الأولى:

أنه أول من أسلم من الصبيان، وأول من صلّى مع رسول الله ﷺ.

عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: «أول من صلّى مع رسول الله ﷺ علي»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في كتابه (فضائل الصحابة) برقم (١١٠٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣٦٨/٤، ٣٧١) وفي (الفضائل) برقم (١٠٠٤) والقطيعي في «زوائد الفضائل» (١٠٤٠) وابن المغازلي في «مناقب علي رضي الله عنه» برقم (١٤)، =

المنقبة الثانية:

أنه المتخلف على الودائع من قبل رسول الله ﷺ في وقت الهجرة، وبقي بمكة ثلاث ليال بأيامها حتى رد ما كان عند رسول الله ﷺ من ودائع لأصحابها.

ثم خلَّفه الرسولُ ﷺ على العيال والنساء بالمدينة في وقت الخروج إلى غزوة تبوك حتى بكى رضي الله عنه ـ وقال: «يا رسول الله إن قريشاً تقول أن رسول الله استثقله فتركه». فقال النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا إنه لا نبي بعدي»(1).

المنقبة الثالثة:

ان النبي ﷺ لما آخى بين المهاجرين والأنصار جعل علياً أخا نفسه الكريمة.

المنقبة الرابعة:

اختصاصه رضي الله عنه أنه كان شجاعاً مقداماً ضحى بنفسه من أجل سلامة رسول الله ﷺ يوم الهجرة عندما نام في فراشه.. وكذلك من خصائصه رضي الله عنه أنه أول من بارز في يوم بدر.

المنقبة الخامسة:

أنه ـ رضي الله عنه ـ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل رسول الله ﷺ على تنزيله.

= والطبراني في «الكبير» (١٩٨/٥)، «والبيهقي» في «السنن الكبرى» (٢٠٦/٦) والترمذي (٦٠٠/٥) وقال: حسن صحيح.

والحديث رجاله ثقات من رجال الشيخين سوى أبي حمزة واسمه طلحة بن يزيد فهو من رجال البخاري.

(1) متفق عليه: البخاري رقم (٣٧٠٦، ٤٤١٦) في (المغازي) باب (غزوة تبوك) وفي (فضائل الصحابة) باب (مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه) فتح الباري (٧١/٧، ١١٢/٨).

مسلم رقم (٢٤٠٤) في (فضائل أصحاب النبي ﷺ) باب (مناقب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ) (٥٩٨/٥).

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه ، قال فقمنا بعده فانقطعت نعله، فتخلف علي يخصفها، ومضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال ﷺ: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا لها، وفينا أبو بكر وعمر، فقال أبو بكر: «أنا هو يا رسول الله؟ فقال ﷺ «لا». فقال عمر: «أنا هو يا رسول الله». فقال ـ ﷺ ـ «لا» ولكنه خاصف النعل».

قال أبو سعيد فجئنا نبشره، قال: فلم يرفع به رأساً فكأنه قد سمعه من رسول الله ﷺ»[1].

المنقبة السادسة:

إنه أقضى الصحابة.. روى البخاري عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «اقرؤنا أبي، وأقضانا علي..»[2].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨٢/٣) وفي (الفضائل) برقم (١٠٨٣) وقال الشوكاني في «در السحابة» (ص ٢٢٥) أخرجه أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح-فطر بن خليفة وهو ثقة. وأخرجه الحاكم في (المستدرك) (١٢٣/٣) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. كا أخرجه ابن أبي شيبة (٦٤/١٢) والبغوي في «شرح السنة» (٣٣/١٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦٧/١) وابن المؤيد في فرائد السمطين (١٥٩/١، ١٦٠، ١٦١، ٢٨٠) وابن عدي (٢٦٦٦/٧) والقطيعي في «زوائد الفضائل» (١٠٧١) وابن حبان (٥٤٤ ـ موارد).

والحديث علم من أعلام النبوة، وفيه منقبة عظيمة لعلي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فقد أخبر ﷺ بقتال علي للخوارج قبل وقوعه، كما ترجم ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٠٥/٧) بهذا وأورد الحديث.

(٢) البخاري: حديث رقم (٤٤٨١) في كتاب (التفسير) باب قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ فتح الباري (١٦٧/٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٥/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يتعقبه =

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: « لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: (وأنا رجل حديث السن، وليس لي علم بكثير من القضاء؟؟.)

قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري وقال: « اذهب فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك» قال «فما أعياني قضاء بين اثنين»[1].

المنقبة السابعة:

إنه محبوب المؤمنين ومبغوض المنافقين.وأن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.

المنقبة الثامنة:

اختصاصه ـ رضي الله عنه ـ بمناجاة الرسول ﷺ يوم الطائف. عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه[3]. فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه. فقال ﷺ: « ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه».

وقال ومعنى قوله: «ولكن الله انتجاه» أي أن الله أمرني أن أنتجي معه[4].

= الذهبي.. قال السخاوي: مثل هذه الصيغة حكمها الرفع على الصحيح.

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٥٨٢) في (الأحكام) باب (كيف القضاء) (١١/٤) وابن ماجة رقم (٢٣١٠) في (الأحكام) (٧٧٤/٢) وأحمد في (المسند) (٨٣/١، ٨٨، ١١١، ١٥٦) وفي (الفضائل) رقم (١١٩٥) والبيهقي (٧٦/١٠) ووكيع في (أخبار القضاة) (٨٤/١، ٨٥) (وأبو يعلى) رقم (٢٨٨) وأبو نعيم في (الحلية) (٣٨١/٤) والترمذي مختصراً برقم (١٣٣١) في (الأحكام) وحسنه، والحاكم في المستدرك (١٣٥/٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. والحديث روي من عدة طرق.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) (ناجاه وانتجاه): أي حادثه وساره. جامع الأصول لابن الأثير (٦٥٩/٨).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٦٤٣٨) عن الطبراني بأن النبي ﷺ بقي مع علي يوم الطائف ملياً ثم مر فقال له أبو بكر يا رسول الله لقد أطلت مناجاتك علياً منذ اليوم. فقال الحديث.

المنقبة التاسعة:

إنه رضي الله عنه كان عالماً فقيهاً ورعاً شهد الصحابة رضوان الله عليهم بعلمه وفقهه حتى قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (ليس المقام ببلد ليس فيه أبو الحسن) دلالة على فقهه وعلمه.

المنقبة العاشرة:

إنه ذو الأذن الواعية. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾[1]. قال رسول الله ﷺ: «سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي» قال علي: «فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنسى»[2].

وشرح الزمخشري عبارة (أذن واعية) في تفسيره المعروف باسم الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: «أذن واعية من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل، وكل ما حفظته من نفسك فقد وعيته ومن غير نفسك فقد أوعيته».

المنقبة الحادية عشرة:

إنه جمع الكثير من المفاخر فقد زوجه رسول الله ﷺ ابنته، وولدت له الحسن والحسين ومحَسِّناً وزينب، ثم إنه رضي الله عنه أول من أسلم من الصبيان كما سبق ذكره.

---

(١) الحاقة /١٢.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيرة (٣٥/٢٩) فذكر نحوه وزاد أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٠٦/١ - ٣٠٧) وابن المغازلي في (مناقب علي - رضي الله عنه) رواه عن مكحول مرسلاً ص (٢٦٥) وله بإسنادين آخرين ص (٣١٩) وابن المؤيد في (فرائد السمطين) (١٩٨/١، ٢٠٠).

قال الحافظ ابن حجر في كتابه «الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف» أخرجه سعيد بن منصور والطبري من رواية مكحول به مرسلاً بتمامه نحوه وأخرجه الثعلبي من طريق أبي حمزة الثمالي: حديث عبد الله بن حسين قال حين نزلت فذكر الحديث بلفظ المصنف. وراجع أيضاً /«الدر المنثور». (٢٦٠/٦).

المنقبة الثانية عشرة:

اختصاصه ـ رضي الله عنه ـ بالتبليغ عن النبي ﷺ.. عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ بعث أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فأقبلنا معه، حتى إذا كنا بالعَرْج[1] ثوب[2] بالصبح، ثم استوى ليكبر، فسمع الرغوة[3] خلف ظهره فوقف عن التكبير، فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ لقد بدَا لرسول الله ﷺ في الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه، فإذا علي عليها. فقال أبو بكر: أمير أم رسول؟؟. فقال علي: لا بل رسول أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة اقرؤها على الناس في مواقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب في الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم خرجنا معه، حتى إذا كان يوم عرفة، قام أبو بكر فخطب في الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي، فقرأ على الناس سورة البراءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر فأفضنا، فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم، وعن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان يوم النفر الأول، قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون، وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها[4].

---

(١) العرج: بفتح العين وسكون الراء: اسم موضع بين الحرمين على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة ـ مسيرة يومين وبعض الثالث (المغانم المطابة) ص (٢٥١).

(٢) المراد بالتثويب هنا: الإقامة للصلاة. النهاية (١/٢٢٦).

(٣) الرغوة: صوت الناقة. جامع الأصول لابن الأثير (٨/٦٦١).

(٤) أخرجه النسائي في (خصائص الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ)، وفي السنن (٥/٢٤٧) والدارمي (٢/٦٦) والبيهقي (٥/١١١). ورجاله رجال مسلم، إلا موسى بن طارق فهو ثقة، وفيه عنعنة أبي الزبير وهو مدلس ولكن مسلم احتج بعنعنته عن جابر في أحاديث كثيرة.

وأخرجه أيضاً: الترمذي عن ابن عباس (٥/٢٥٦) وحسنه، وأبو زرعة الدمشقي في =

وجاء في حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي» فدعا علياً فأعطاه إياه[1].

المنقبة الثالثة عشرة:

قول النبي ﷺ علي مني وأنا منه. روى البخاري وغيره عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك»[2].

المنقبة الرابعة عشرة:

أنه رضي الله عنه أول من يجثو بين يدي الرحمٰن يوم القيامة للخصومة.

روى البخاري عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمٰن يوم القيامة» قال قيس بن عباد فيمَ نزلت: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾[3] وقال هم الذين تبارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[4].

= تاريخه (٥٨٩/١١/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٩/٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٠/١١) والخوارزمي في «المناقب» والحاكم في (المستدرك) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي في (التفسير) باب (ومن سورة التوبة) وقال هذا حديث حسن غريب من حديث أنس (٢٥٦/٥).

(٢) البخاري رقم (٢٦٩٨، ٤٢٥١) في (الصلح) باب (كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، فلان بن فلان) وفي
(المغازي) باب (عمرة القضاء)، فتح الباري (٣٠٣/٥ ـ ٣٠٤، ٤٩٩/٧).
والترمذي رقم (٣٧١٩) في (المناقب) باب (مناقب علي رضي الله عنه) (٥٩٤/٥) وأحمد (٢٩٨/٤)، وعبد الرزاق (٢٠٣٩٤)، والبيهقي في (السنن الكبرى) (٥/٨) وفي (دلائل النبوة) ٣٣٧/٤) والبغوي في (شرح السنة) (١٤٠/١٤).

(٣) الحج /١٩.

(٤) البخاري رقم (٤٧٤٤) في (التفسير) تفسير سورة الحج وفي (المغازي) باب (دعاء النبي ﷺ على كفار قريش).

المنقبة الخامسة عشرة:

شفقة النبي ﷺ عليه: عن أم عطية ـ رضي الله عنها ـ قالت: بعث النبي ﷺ جيشا منهم علي، قالت فسمعت النبي ﷺ وهو رافع يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى تريني علياً»[1].

المنقبة السادسة عشرة:

أن النبي ﷺ أشركه في هديه في حجة الوداع، فقدم مائة بدنة، نحر منها بيديه ثلاثاً وستين، وأناب علياً في نحر ما زاد من المائة.

المنقبة السابعة عشرة:

قول الرسول ﷺ فيه إنه كنفسه: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لينتهين بنو وليعة[2] أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي ينفذ فيهم أمري فيقتل فيهم المقاتلة ويسبي الذرية».

قال أبو ذر: فما راعني إلا وكف عمر في حجزتي[3] من خلفي قال: من يعني؟؟ فقلت ما إياك يعني، ولا صاحبك. قال فمن يعني؟؟.. قلت: خاصف النعل، قال وعلي يخصف نعلاً[4].

المنقبة الثامنة عشرة:

إنه كان آخر الرجال عهداً برسول الله ﷺ قبل موته. عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: والذي تحلف به أم سلمة إن كان أقرب

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٧٣٧) في (المناقب) باب (مناقب علي بن أبي طالب) (٥/٦٠١) وحسنه.

(٢) بنو وليعة: هم ملوك حضرموت: (حمدة، ومخوس، ومشرح وأبضعة). انظر طبقات ابن سعد (٣٤٩/١).

(٣) الحجزة موضع شد الإزار. النهاية (٣٤٤/١).

(٤) رواه النسائي في (الخصائص) ورجاله رجال مسلم سوى الدوري وهو ثقة. وأخرجه أحمد في الفضائل برقم (٩٦٦) مرسلاً وله شاهد بمعناه عن عبد الرحمٰن بن عوف في محاصرة الطائف. وأخرجه من طريق آخر: عبد الرزاق (٢٢٦/١١) وعنه أحمد في الفضائل برقم (١٠٠٨) والخوارزمي في (المناقب) (٨١) ورجاله ثقات.).

الناس عهداً برسول الله ﷺ علي. قالت لما كان غداة قبض رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ وكان أرسله في حاجة أظنه بعثه، فجعل يقول «جاء علي»؟ ثلاث مرات. قالت فجاء قبل طلوع الشمس فلما جاء عرفنا أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنا عدنا رسول الله ﷺ يومئذ في بيت عائشة، فكنت آخر من خرج من البيت، ثم جلست أدناهن من الباب، فأكب عليه علي، فكان آخر الناس به عهداً جعل يساره ويناجيه»[1].

هذا وخصائصه - رضي الله عنه - وفضائله لا تدخل تحت حصر، والمحب من اكتفي بأقل قدر. وقصارى ما يقال في فضائل علي كرّم الله وجهه أنه تعلمها من الرسول ﷺ منذ نشأ في حجره، وترعرع في أحضان النبوة.

الرسول ﷺ هو الذي سماه..

وهو الذي كنّاه..

هذا هو علي رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصهر النبي المصطفى، الذي اجتمع فيه الفضل إلى الفضل، والخير إلى الخير، والنبل إلى النبل، والطهر إلى الطهر، وهو سيد

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٣٠٠) وفي (الفضائل) (١١٧١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٧/١٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٥٠/٢) وأبو يعلى، والطبراني والحاكم في (المستدرك) (١٣٨/٣). وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الشوكاني في (در السحابة) (٢١٣) نـقلاً عن (مجمع الزوائد): أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد رجاله ثقات. ولا تعارض بين هذا الحديث، وحديث عائشة في الصحيحين: «قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري» إذ من الممكن الجمع بينهما: بأن تكون عائشة آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ على الإطلاق، وعلي آخر الرجال عهداً به ﷺ وتكون خصوصية مقيدة. قال ابن حجر: «.. في حديث أم سلمة قالت: علي آخرهم عهداً برسول الله ﷺ، وحديث عائشة أثبت من هذا، ولعلها أرادت آخر الرجال عهداً» (فتح الباري) (١٣٩/٨).

كريم من سادة أهل البيت الطيبين الطاهرين، وعلم من أعلامهم، وقد وصفهم الله عز وجل بأكرم الأوصاف فقال فيهم: ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً. ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾[1].

(١) سورة الإنسان /٧، ٨، ٩.

الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه
سيد المسلمين

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

(رواه البخاري)

«أحب أهل بيتي الحسن والحسين»

(رواه الترمذي)

وقال ﷺ عن الحسن:
«اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه»

(رواه مسلم)

تمهيد

لم يجمع الله خلال الكمال البشري كلها إلا لحبيبه المصطفى ﷺ ومهما يكن من عظمة لغيره فإنها كنسبة الجزء إلى الكل.

ولا شك أنه لم يحدث أن استطاع صديق ولا ولي ولا شهيد ولا تقي أن يحظى بخصال رسول الله ﷺ جميعاً وإنما له بقدر كماله وقربه وتقواه وحبه نصيب يقل أو يكثر، والأمة أخيارها ـ على مواريث الهدى من رسول الله ﷺ يقبسها الأبرار من كل جيل موزعة فيهم، بعد أن كانت مجموعة فيه ﷺ ليكون مثالاً للعبد الكامل، والتقي الأمثل، ومهما قيل في أبي بكر من خلال الخير فلن يكون أبداً كرسول الله، مع أنه أفضل الأمة بعد نبيها، ولكل صحابي من نبيه ميراث، فهذا صديق وذلك فاروق وهذا أمين وذلك حواري، وآخر الصادق لهجة، وغيره سابق الفرس أو سابق الروم، وهكذا.

وإذا كانت هذه المواريث مواريث الاتباع والحب والاقتداء، فإنها إذا جمع معها ميراث الرحم والنسب كانت أوضح وأقرب إلى الكمال والفطرة، وأولى الناس بذلك من رسول الله أهل بيته ـ وأولى أهل بيته بذلك بنوه الأكرمون من ولد فاطمة البتول وابن عمه علي رضي الله عنهما.

وعندما نعرض للسبطين الكريمين، الحسن والحسين سنجد مواريث النبوة تتألق بالسنا البهي في حياتهما، نرى من أمرهما ما كان يدفع كل من يرونهما ويعجبون لعظيم خلقهما، وروائع مواقفهما أن يقولوا: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» فقد كانت مواريث النبوة فيهما أروع من أن تنكر، وأوضح من أن تخفى، ولا يذهل عنها إلا من كان في قلبه مرض، وفي بصيرته عمى!!

الإمام الحسن(*)

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه البتول الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. فهو سبط النبي وولد سيدة نساء العالمين، وحفيد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وريحانة المصطفى، وأشبه الناس به، وسيد شباب الجنة وخامس أهل الكساء.

ولد رضي الله عنه في منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة[1] وكان من المبشرات قبل ميلاده أن رأت أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، زوج العباس وثانية النساء إسلاماً بعد السيدة خديجة وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين، رأت رؤيا قصّتها على النبي ﷺ قالت: «يا رسول الله رأيت كأن عضواً من اعضائك في بيتي . .» فقال لها

(*) انظر سيرته في:

نسب قريش (٤٦)، تاريخ بغداد (١/١٣٨)، تاريخ الطبري (٥/١٥٨)، التاريخ الكبير (٢/٢٨٦)، الحلية (٢/٣٥) صفة الصفوة (١/) مروج الذهب (٣/١٨١) أسد الغابة (٢/٩)، جامع الأصول (٩/٢٧ ـ ٣٦) الجرح والتعديل (٣/١٩)، الاستيعاب (١/٣٨٣) الكامل (٣/٤٦٠) وفيات الأعيان (٢/٦٥) الوافي بالوفيات (١٢/١٠٧) مرآة الجنان (١/١٢٢) سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٥) تهذيب ابن عساكر (٤/٢٠٢)، الإصابة (١/٣٢٨) تهذيب التهذيب (٢/٢٩٥)، البداية والنهاية (٨/١٤، ٢٣، ٤٥) شذرات الذهب (١/٥٥، ٥٦).

(١) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/١٤٠) (سير أعلام النبلاء للذهبي) (٣/٢٤٦، ٢٤٨).

الرسول: «رأيت خيراً تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن قثم» فولدت الزهراء الحسن فأرضعته أم الفضل بلبن ابنها قثم»[1] وبهذا يصبح قثم بن العباس ابن عم الرسول وأخا سبطه الحسن من الرضاع.

وأراد علي لحبه للحرب أن يسميه حرباً، ولكن جاء الرسول فقال: «أروني ابني، ما سميتموه» فقال علي: «سميته حرباً» فقال النبي ﷺ: «بل هو حسن» وتكرر ذلك في ميلاد الحسين ثم محسن بعد ذلك[2] وأذَّنَ الرسول في أذنه»[3].

ونلحظ أنه لم يعرف أحد في الجاهلية سمي بهذا الاسم، وأمر الرسول بحلق شعره والتصدق بوزنه فضة[4]. وكناه «أبا محمد» وعق عنه بذبح كبشين تصدق بلحومهما[5].

---

(١) حديث رؤيا أم الفضل:
رواه الدولابي في (الذرية الطاهرة) (ص ٧٢) وإسناده حسن.

(٢) حديث تسمية الرسول: الحسن والحسين ومحسن:
أخرجه أحمد في المسند (١/٩٨، ١١٨) وفي (الفضائل) (١٣٦٥)، والطبراني (٢٧٧٧) والبزار كما في (كشف الأستار) (١٩٩٧، ١٩٩٨) والطيالسي (٢٠٢٤) وابن حبان (٢٢٢٧ ـ موارد) والحاكم (٣/١٦٥، ١٦٨). وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٨/٥٢) عن علي ثم قال: «رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير هاني ابن هاني وهو ثقة».

(٣) الترمذي حديث رقم (١٥١٤) في (الأضاحي) باب: (الاذان في أذن المولود) (٤/٨٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود رقم (٥١٠٥) في (الأدب) باب: (الصبي يولد فيؤذن له في أذنه)، والطبراني (٧٩٨٦) والبيهقي (٩/٣٠٥) وعبد الرزاق في مصنفه (٧٩٨٦) وانظر تحفة المودود لابن القيم (ص ٣١).

(٤) الترمذي رقم (١٥١٩) في (الأضاحي) باب (العقيقة بشاة) (٤/٨٤) من حديث علي بن أبي طالب، وحسنه. وعن أبي رافع وأحمد في (المسند) (٦/٣٩٠، ٣٩٢) والطبراني (٩١٧، ٢٥٧٦) وذكره الهيثمي في (المجمع) (٤/٥٧) وقال حديث حسن، راجع تحفة المودود لابن القيم (٩٧، ٩٩).

(٥) النسائي (٧/١٦٥، ١٦٦) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ «عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما بكبشين» وإسناده قوي. وعن أنس ابن حبان في =

وكان الحسن أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية، أشبه الناس برسول الله ﷺ ، ولهذا كانت ترقصه أمه الزهراء وتلاعبه وتقول: «بأبي شبه النبي وليس شبهاً بعلي»[1].

ويروي ابن الأعرابي عن المفضل قال: «إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين».

ولا تسأل عن بشرى رسول الله ﷺ بهذا الوليد السبط، وشغفه به، يحمله ويداعبه ويلاعبه، ويدعوه ليتسلق صدره وهو ينشد له: «حزقة حزقة ترق عين بقة» حتى يصل بقدميه إلى صدر الرسول الكريم ﷺ ، وذلك شأنه مع ولد فاطمة جميعاً[2].

= صحيحه (١٠٦١) والبيهقي (٢٩٩/٩) بلفظ «عق عن حسن وحسين بكبشين» وإسناده صحيح.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨٣/٦) عن طريق ابن أبي مليكة قال كانت فاطمة تنقز الحسن ابن علي وتقول: «بأبي شبه النبي وليس شبهاً بعلي». والصحيح ـ كما سيأتي ـ أن هذا جاء عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كما رواه البخاري ـ وغيره ـ عن عقبة بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ قال: صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي ومعه علي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه، وقال: بأبي شبيه بالنبي، وليس شبيهاً بعلي. وعلي رضي الله عنه يضحك. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩٦/٧) بعد أن ذكر حديث فاطمة «وفيه إرسال، فإن كان محفوظاً فلعلها تواردت في ذلك مع أبي بكر، أو تلقى ذلك أحدهما من الآخر» أهـ. وانظر كلام الحافظ في «الفتح» حول جملة «وليس شبيهاً» حيث جاءت هكذا بالرفع والوجه النصب.

(٢) الطبراني (٤٢/٣ ، ٤٣) والحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» (ص ٨٩) والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص ١٣٢) وذكر صاحب «كنز العمال» برقم (٣٧٦٤٢، ٣٧٦٩٨، ٤٥٤٢١، ٤٥٤٣٠) و«تهذيب ابن عساكر» (٢٠٥/٤).

وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٩) وقال: «وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه وبقية رجاله رجال الصحيح.

وحزقه: قال الحاكم في «معرفة علوم الحديث»: سألت الأدباء عن معني هذا الحديث فقالوا لي: أن الحزقة: المقارب الخطو، والقصير الذي يقرب خطاه، وعين بقة أشار إلى البقة التي تطير، ولا شيء أصغر من عينها لصغرها، وأخبرني بعض الأدباء أن =

ويروي أسامة بن زيد أنه قال: «طرقت باب النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج إلي وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه، فكشف فإذا الحسن والحسين على وركه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي.. اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»[1].

وبينما رسول الله ـ ﷺ ـ على منبره يخطب الناس فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله» إنما أموالكم وأولادكم فتنة»[2] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ما رأيت حسناً قط إلا دمعت عيني، جلس النبي ﷺ في المسجد وأنا معه فقال: «ادعوا لي لكع»[4]، أو «أين لكع؟» فجاء الحسن يشتد حتى أدخل يده في لحية النبي ﷺ

= النبي ﷺ أراد بالبقة فاطمة، فقال للحسن ـ أو الحسين ـ يا قرة عين بقة ترق ـ والله أعلم ـ».

وراجع في معنى الحديث أيضاً النهاية (١/٣٧٨).

(١) سبق تخريجه.

(٢) التغابن/١٥.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١١٠٩) في «الصلاة» باب «قطع الخطبة للأمر يحدث» (١/٦٦٤) والترمذي رقم (٣٧٧٦) في (المناقب) باب (مناقب الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما). والنسائي (٣/١٠٨) في (الجمعة) باب (نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة. ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه (٢٢٣١ ـ موارد) وأحمد في المسند (٥/٣٥٤) وفي (الفضائل) برقم (١٣٥٨).

وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) يراد به الصغير، يقال للصغير «لكع» فإن أطلق على الكبير: أريد به الصغير العلم (النهاية (٢٦٨، ٢٦٩).

فوضع النبي ﷺ فمه على فمه، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[1].

ويقول عنه جده ﷺ: «حسن سبط من الأسباط» وكان إلى جانب تدليله يأخذه بما يليق بسليل بيت النبوة، من أدب وعلم وخلق وسلوك.

يروي أبو الحوراء يقول: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ. قال: أذكر من رسول الله أني أخذت تمرة من تمر الصدقة فجعلتها في فمي فنزعها بلعابها وجعلها في تمر الصدقة. فقيل يا رسول الله، ما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبي؟.. قال: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة». وكان يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة.

ويروي عنه أيضاً قوله: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت»[2].

ذلك التوجه إلى الله بالرجاء والدعاء مع الحب والتدليل، وتخرج الحسن وأخوه في كنف النبي ﷺ فنشأ على سجايا الخير وأخلاق النبوة، حتى شب وفيه مخايل جده، محياه الوسيم، وخلقه العظيم، وعلمه الواسع الجاد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٣٢/٢) وفي (الفضائل) (١٤٠٧) واللفظ له. وأصله في الصحيحين: البخاري رقم (٢١٢٢، ٥٨٨٤) فتح الباري (٣٣٩/٤، ٣٣٢/١٠) ومسلم رقم (٢٤٢١) (١٨٨٢/٤).

(٢) أحمد في (المسند) (٢٠٠/١)، (الدارمي) (٣٧٣/١)، (والبيهقي) (٢٠٩/٢، ٤٩٨)، الدولابي في «الذرية الطاهرة» (٨١)، وأبو داود رقم (١٤٢٥)، الترمذي رقم (٤٦٤) وحسنه. النسائي (٢٤٨/٣) وابن ماجة (١١٧٨)، الطيالسي (١١٧٩). عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٨٤). الطبراني (٢٧٠١ ـ ٢٧١٢) وابن حبان (٥١٢) وصححه. والحاكم في «المستدرك» (١٧٢/٣) وصححه، وسكت عنه الذهبي. وقد أطال الكلام عليه الحافظ بن حجر في «التلخيص الحبير» (٩٤/١ ـ ٩٥).

نشأ ذا حشمة وسكينة، محبباً إلى الناس، عف اللسان لم يسمع منه فحش قط، فصيحاً بليغاً طلق اللسان، ورث البلاغة والفصاحة عن جده وعن أمه وأبيه.

وكان كثير الزواج والطلاق من كثرة ما يعرض عليه الناس المصاهرة رغبة منهم في أن يتصل نسبهم بنسب رسول الله ﷺ حتى لقد صعد أبوه إلى المنبر في الكوفة يوماً وقال: «يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق». فقام رجل من همدان وقال: «والله لنزوجنه فمن رضي أمسك ومن كره طلق»[1].

«وكان في تكرمه لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجة حتى لا يرى قاضياً، وكان يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يغفل عن إخوانه، ولا يستأثر بشيء دونهم، ولا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله، وإذا ابتدأه أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه».

ويكفيه قول رسول الله ﷺ فقد روى أبو بكرة. قال: فيما أخرجه البخاري: (رأيت النبي ﷺ على المنبر والحسن بن علي معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[2] وقال فلما ولي لم يهرق في خلافته محجمة من دم).

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٢١٩/٤)، (البداية والنهاية) (٣٨/٨) (سير أعلام النبلاء) (٢٥٣/٣، ٢٦٢).

(٢) البخاري رقم (٣٧٤٦) في (فضائل الصحابة) باب (مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما) وفي (الصلح) باب (قول النبي ﷺ: ابني هذا سيد) وقوله عز وجل: ﴿فأصلحوا بينهما﴾. فتح الباري (٩٤/٧). والترمذي رقم (٣٧٧٣) في (المناقب) باب: مناقب الحسن والحسين) (٦١٦/٥) وأبو داود رقم (٤٦٦٢) في (السنة) باب (ما يدل على ترك الكلام في الفتنة) والنسائي (١٠٧/٣) في (الجمعة) باب (مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر) والطبراني (٢٥٨٨، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣)، وأحمد (٣٨/٥، ٤٤، ٤٩، ٥١).

وقد تجلت فيه وفي أخيه الحسين مواريث الفصاحة، ونفاذ البصيرة، والحلم والكرم عن جدهما وأبيهما وأمهما، وقد تلقيا عن أبيهما العلم والقرآن والتأويل، وكذلك اغترفا من علم الصحابة الذين عاصروهما.

وأحاديث جود الإمام الحسن وسخائه أكثر من أن تحصى، ونذكر منها[1]: «سمع مرة رجلاً يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه».

وسأله رجل صدقة ولم يكن معه شيء، فاستحيى أن يرده بلا عطاء فقال له ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر؟ قال بلى فما هو؟. قال: اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزه بقولك له: «الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها وما هتكها بجلوسها على قبرك».

فذهب الرجل وفعل مثل ما أمره، فسرى عن الخليفة حزنه، وأمر له بجائزة، وقال له: أكلامك هذا. فقال بل كلام الحسن، قال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى»[2].

وجاء رجل يشكو إليه ضيق الحال، فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها، فقال لوكيله: هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم، ثم قال ماذا فعلت بالخمسمائة دينار التي معك؟ قال عندي؟ قال فأحضرها، فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى السائل واعتذر له.

وخرج الإمام الحسن ومعه أخوه الإمام الحسين ومعهما ابن عمهما

---

(١) راجع ما جاء في جوده وسخائه في: صفة الصفوة (١/ ٧٦٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣، ٣٦٠) ملتقى الأصفياء (٣٨).

(٢) كان في استطاعة الحسن ـ رضي الله عنه ـ أن يعتذر للسائل بأن ليس لديه شيء يعطيه، ويكون عذره وقتئذٍ مقبولاً، لكنه رضي الله تعالى عنه التمس له طريقة يفرج بها كربة السائل، فأشار عليه بما تقدم فنال ما نال.

عبد الله بن جعفر قاصدين الحج، ففاتتهم أثقالهم ببعض الطريق، وقد أحسوا الجوع والظمأ، فرأوا خباء فمالوا نحوه، فوجدوا امرأة عجوزاً فسألوها: هل من شراب. فقالت: نعم، فحطوا رحالهم، فلم يكن عندها إلا شاة فقالت أحلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا فقالوا: هل من طعام؟. فقالت: هذه الشوية، دونكم ما عندي غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم الحطب، فاشووها وكلوا، ففعلوا. ولما انقضت الظهيرة وأبردوا وارتحلوا من عندها، قالوا لها: يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذه الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى. ومضوا لشأنهم. فلما أقبل زوجها وعلم ما فعلته غضب وقال لها: ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش.

وبعد حين جاءت سنة مجدبة، فاضطرت المرأة وزوجها أن يدخلا المدينة يلتقطان البعر، فبينما هي في بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر ـ والحسن يومئذ جالس على باب داره. فنظر إليها، فعرفها، فناداها: يا أمة الله هل تعرفينني؟ فقالت: لا. فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في مكان كذا. فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك. فقال لها فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك. ثم أمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها معها ألف دينار، ثم أرسلها مع غلامه إلى أخيه الحسين، فلما دخلت عليه عرفها، وسأل الغلام بكم وصلها أخي الحسن؟ فأخبره. فأمر لها بمثل ما أعطاها الحسن، ثم بعث بها إلى ابن عمهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، فلما دخلت عليه عرفها، ولما أخبره الغلام بصلة الحسن والحسين لها، قال والله لو بدأت بي لاتعبتهما. ثم أمر لها بألفي شاة وألفي دينار. فعادت وقد أخذت بشاتها أربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار.

وسألوه مرة قالوا له: لماذا نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة؟ فأجابهم: إني للّه سائل وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد

سائلاً، وإن الله تعالى عوّدني عادة، عوّدني أن يفيض نعمه علي، وعودته أن أفيض على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة ثم أنشدهم:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحبا ... بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل ... وأفضل أيام الفتى حين يسأل[1]

وقد كثر زواجه لرغبة الناس فيه كما أسلفنا.

وجملة أولاده أحد عشر استشهد منهم مع عمهم الحسين خمسة هم: زيد، والحسن بن الحسن، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله.

وبقي منهم ستة هم: عمرو بن الحسن، وعبد الرحمٰن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل[2].

ولم تكن كثرة زواجه رضي الله عنه عن مزاج شهواني، أو انغماس في اللذائذ ومتاع الدنيا. وإنما كما أسلفنا، كان الحسن بكر فاطمة بنت الرسول، وأشبه الناس بجده المصطفى، وقمة الشرف في قريش خاصة، والمسلمين عامة، فأحب الناس أن يتشرفوا بالصهر إليه رجاء أن يكونوا إخوان بعض أبنائه الذين هم سلالة النبي وامتداد آل بيته. بل إن تبتل هذا الإمام العظيم جعله يسعى إلى الحج ماشياً والنجائب تقاد بين يديه حتى عدوا له خمس عشرة حجة ماشياً وبعضهم بلغ بها العشرين عدداً، وكان يقول في ذلك:

«إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته» وكان معروفاً بصيام النهار وقيام الليل. وخرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات، وكان إلى عبادته ونسكه وسخائه وبذله شجاعاً كمياً وبطلاً صنديداً، فكم من يوم له عُرِفَ فيه بأسُه[3].

(١) راجع: ملتقى الأصفياء (٣٩).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٧٩)، ملتقى الأصفياء (٤٤).
(٣) راجع خبر حجه ماشياً في: صفة الصفوة (١/٧٦٠)، تهذيب ابن عساكر (٤/٢١٦، =

ولن تنسى صفحات التاريخ قيامه مع أخيه ومواليهما على باب عثمان بن عفان رضي الله عنه يصدون الجموع الثائرة ويدفعون عنه الخوارج عليه، حتى لم يصلوا إليه إلا بتسور داره من ظهرها حيث لا يراهم الحسن وأخوه ورجالهما.

وقد كان للحسن رأي أيام فتنة عثمان، فقد أشار على أبيه أن يعتزل الناس، بل وأن يترك المدينة، ويعتكف في مال له بينبع، حتى تنتهي الفتنة، وكذلك لما قتل عثمان رأى أن يغادر أبوه المدينة ولا يقبل البيعة، ويدع الخلافة لغيره حتى تستقر الأمور، ولكنه مع هذا لازم أباه، وشهد معه معاركه كلها، حتى إنه بكى عندما رأى ركاب أبيه تتجه إلى العراق[1].

وحينما استشهد علي رضي الله عنه، بايع الناس ابنه الحسن خليفة للمسلمين، وقام أهل الكوفة يدّعون الرغبة في القتال، ولكنه ذكر انتشار أمرهم واختلافهم بين يديه، وخلافهم على أبيه من قبل فرضي بالصلح. وترك الأمر لمعاوية الذي عرض أن تكون ولاية العهد للحسن من بعد معاوية، ولكن الحسن كتب في الشرط أنه لا يحق لمعاوية أن يعهد لأحد بعده بل يكون الأمر شورى[2].

وحين التقيا بالكوفة، قام الحسن خطيباً، فكان مما قال: «أيها الناس، إن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، إن هذا الأمر سلمته لمعاوية، إما أن يكون حق رجل كان أحق به مني فأخذ حقه، وإما أن يكون حقي فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها، فالحمد للّه الذي أكرم بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم»[3].

= ٢١٧)، حلية الأولياء (٢/ ٣٧)، البداية والنهاية (٨/ ٣٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣، ٢٦٧) وعلق البخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والنجائب تقاد بين يديه.

(١) ذكر ذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٦١) نقلاً عن الواقدي.

(٢) راجع في ذلك «تهذيب ابن عساكر» (٤/ ٢٢٢ - ٢٢٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

(٣) راجع في ذلك: المستدرك للحاكم ٣/ ١٧٥، مصنف عبدالرزاق ١١/ ٤٥٢ فضائل

وكان ذلك في منتصف جمادى الأولى عام ٤١ من الهجرة، وتحققت بذلك نبوءة النبي ﷺ يوم قال عن الإمام الحسن: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[١].

وبتنازله انتهت مدة الخلافة الراشدة التي ذكر النبي أنها ثلاثون سنة. ولما عوتب على تنازله قال لمعاتبيه: «كرهت أن ألقى الله عز وجل وإذا سبعون ألفاً أو أكثر تشخب أوداجهم دماً يقول كل منهم: يا ربي فيمَ قتلت»[٢].

وأقام الحسن - رضي الله عنه - في المدينة بعد ذلك، وكان عذب الروح حلو الحديث، كريم المعاشرة، حسن الألفة، محبباً إلى الناس يحبه الناس لسهولة أخلاقه، ولمكانته من النبي ﷺ، ولسخائه وجوده.

وكان إذا صلى الصبح وانتشر النهار، ألمّ ببيوت أمهات المؤمنين يزورهن ويبرهن، ويهدي إليهن، وإذا صلّى الظهر جلس للناس يعلمهم، ويسمع من شيوخ الصحابة ما علموه من سنّة رسول الله ﷺ.

ومن أقواله رضي الله عنه:

سأله أبوه يوماً قائلاً: يا بني ما السداد؟ فقال: دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة. قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء ماله، وبذل عرضه، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو، قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعز الناس. قال: فما الذل؟

= الصحابة للإمام أحمد رقم (١٣٥٥)، سير أعلام النبلاء (٢٧١/٣). «ملتقى الأصفياء» (٤٠).

(١) سبق تخريجه

(٢) الحاكم في «المستدرك» (١٧٥/٣).

قال: الفزع عند الصدمة. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم. قال: فما السؤدد؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناءة ومحبة الغواية. قال: فما الغفلة؟ قال: ترك المسجد وطاعة المفسد».

وكان يقول: «هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لُعِنَ إبليسُ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل».

وفي عام خمسين من الهجرة توفي الحسن -رضي الله عنه- ورحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته في النصح لهذه الأمة، وحقن دمائها، والعفة عن عرض الدنيا رجاء ما عند الله[1].

(١) راجع وفاته في: صفة الصفوة (١/٧٦٢)، سير أعلام النبلاء (٣/٢٧٧) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/٣٧٤).

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما
من سادة الشهداء

حسين مني وأنا من حسين
أحب الله من أحب حسيناً
حسين سبط من الأسباط

(رواه الترمذي)

الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا
(رواه أحمد وابن عدي وابن عساكر والترمذي)

من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى حسين.
(أخرجه أبو يعلى)

أما الحسن فله هيبتي وسؤددي
وأما الحسين فله جرأتي وجودي
(رواه ابن منده والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر)

الحسين بن علي(*)

ثاني السبطين، وأحد الريحانتين ـ أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب زينة بني هاشم ـ وفتى قريش.

أمه الزهراء الطاهرة الكريمة، بضعة رسول الله وأحب ذريته إليه ولد بالمدينة لخمس خلون من شهر شعبان في العام الرابع من الهجرة[1] وفعل به رسول الله ﷺ ما فعل بأخيه الحسن من قبل وعق عنه يوم سابعه. وحلق شعره وتصدق بزنته فضة.

وله ألقاب من أشهرها.. الزكي، الرشيد، الطيب، الوفي، السيد، المبارك، التابع لمرضاة الله، السبط.

(*) راجع سيرته في:
تاريخ بغداد (١٤١/١)، أسد الغابة (١٨/٢) نسب قريش: (٥٧).
الكامل (٦٤/٤)، الاستيعاب (٣٩٢/١) مرآة الجنان (١٣١/١).
البداية والنهاية (١٤٩/٨)، الإصابة (٣٣٢/١)، تهذيب التهذيب (٣٤٥/٢).
شذرات الذهب (٦٦/١)، تهذيب ابن عساكر (٣١٤/٤)، سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٣)، مروج الذهب (٢٤٨/٢)، تاريخ الطبري (٣٤٧/٥، ٣٨١، ٤٠٠) حلية الأولياء (٣٩/٢). التاريخ الكبير (٣٨١/٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٦٢/١/١) ملتقى الأصفياء (من ٤٤). الوافي بالوفيات (٤٢٣/١٢) صفة الصفوة (٧٦٢/١).

(١) تاريخ بغداد (١٤١/١) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٩٤/٩) ثم قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وكان النبي ﷺ يعوذه وأخاه الحسن بقوله: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة[١] وكل عين لامة[٢]»[٣]. وكذلك يقول:

«اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم». وكانت أمه أيضاً ترقصه كما كانت تفعل بأخيه الحسن وتقول له:

إن بني شبه النبي.. وليس شبيهاً بعلي[٤]

وقد رووا أن الحسن كان أشبه الناس بالنبي ﷺ ما بين الصدر والرأس، وكان الحسين أشبه به ﷺ فيما بين نحره وأخمصه[٥].

وكان الحسين رضي الله عنه ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير كشأن جده ﷺ أبيض اللون مشرباً بحمرة - واسع الجبين كث اللحية[٦] - واسع الصدر - عظيم المنكبين[٧] - ضخم الكراديس[٨] - رحب الكفين[٩] كبير

---

(١) واحدة الهوام، والهوام: الحيات، وكل ذي سم يقتل.

(٢) وهي العين التي تصيب الإنسان.

(٣) البخاري رقم (٣٣٧١) في (الأنبياء) فتح الباري (٦/٤٠٨) وأبو داود رقم (٤٧٣٧) في (السنة) باب (في القرآن) (٥/١٠٤) والترمذي رقم (٢٠٦٠) في (الطب) باب (ما جاء في الرقية والعين) (٤/٣٤٦) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص ٢٩١)، وابن ماجة في (الطب) باب (ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به)، وأحمد (١/٢٣٦).

(٤) سبق تخريجه

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٣٧٧٩) في المناقب باب (مناقب الحسن والحسين - رضي الله عنهما) (٥/٦١٨) وحسنه.

وابن حبان (٢٢٣٥) وصححه. والإمام أحمد في «المسند» (١/٩٩، ١٠٨) وفي (الفضائل) رقم (١٣٦٦).

وأورد الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/١٧٦) عن علي وقال: رواه الطبراني وإسناده جيد.

(٦) كث اللحية: غزير شعرها.

(٧) في رواية للبراء بن عازب «بعيد ما بين المنكبين»، المراد عريض أعلى الظهر.

(٨) الكراديس: كل عظمين التقيا في مفصلين، مثل المنكبين، والركبتين والوركين.

(٩) في رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه «شثن الكفين والقدمين» وهي بنفس المعنى.

القدمين ـ رجل الشعر[1] متماسك البدن ـ جميل الصوت في صوته غنّة وحنّة.

وكان في خلقه ـ رضياً ـ عابداً كثير الصوم والصلاة.. نشأ في حجر النبوة وارتضع بلبانها ـ تفتحت مداركه على عظمة جده وعلم أبيه ـ وتبتل أمه ـ وطهارتها وفضلها.. وكان هو وأخوه الحسن أحب أهل البيت إلى جدهما النبي الكريم، وأقربهم إلى قلبه، آثرهم عنده واسمع معي قول الرسول ﷺ في ذلك:

«أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين»[2]

وأخرج ابن ماجه عن يعلى بن مرة أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دعوا له فإذا حسين يلعب في السكة قال فتقدم النبي ﷺ أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفر ههنا وههنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبّله وقال حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً ـ حسين سبط من الأسباط[3].

وكان ﷺ لا يصبر عنهما إذا غابا عنه فيأمر بإحضارهما إليه أو يذهب هو إليهما.. فيضمهما ويشمهما.

وكم من مرة ركب الحسين وأخوه الحسن ظهر النبي في مرحهما معه بل وأحياناً وهو ساجد في صلاته فيثبت ساجداً ـ حتى ينزل الراكب منهما ـ

---

(١) رجل الشعر، بفتح الراء وكسر الجيم وتفتح، المراد أن شعره كان فيه تكسر قليل (أي بين الجعد إلى المستوي، وبين السبط (بفتح وكسر أو بفتحتين، ومعناه المسترسل.

(٢) الترمذي رقم (٣٧٧٢) في (المناقب) (مناقب الحسن والحسين) (٦١٥/٥) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث أنس.

(٣) الترمذي رقم (٣٧٧٥) في (المناقب) باب (مناقب الحسن والحسين) (٦١٧/٥) وحسنه.
وابن ماجة رقم (١٤٤) في (المقدمة) باب (في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ «فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ». قال في «الزوائد» إسناده حسن رجاله ثقات، والحاكم في «المستدرك» (١٧٧/٣) وصححه ووافقه الذهبي.
وابن حبان (٢٢٤٠ ـ موارد) وصححه.

ويسأله الصحابة عن إطالته السجدة فيقول لهم: «ارتحلني ابني فكرهت أن أعجله»(١).

وفي ذلك يقول الشاعر:

من في الوجود ينال ظهر محمد   مثل الحسين ينالـه محمـودا

ولقد كان من إعزاز رسول الله ﷺ لهما أن قبل بيعتهما على صغرهما ومعهما عبد الله بن جعفر.. ولم يبايع صغيراً غيرهما.

ولقد دخلت عليه الزهراء ﷺ في مرضه الأخير ومعها ابناها الحسن والحسين وقالت له: يا رسول الله.. هذان ابناك فورثهما، فقال عليه الصلاة والسلام: «أما الحسن فله سخائي وهيبتي وأما الحسين فله شجاعتي وسؤددي»(٢).

فحسب الحسن ميراثاً جود النبي وهيبته التي كانت تجعل العيون تغضي فلا تحد النظر إليه.. وحسب الحسين ميراثاً شجاعة النبي وقد كان أشجع الناس، وأعظمهم سؤددا.. وكان سيد ولد آدم.

ولقد رأينا ذلك حقاً في حياتهما ـ وأخبار صلات الحسن للوافدين إليه تملأ الكتب ـ وقد ذكرنا شيئاً منها، ومكانه وتوقيره في نفوس المسلمين أعرف من أن يعرف.

أما الحسين فمن فتى يقف مثل مواقفه.. ويخوض الأهوال.. رابط الجأش.. قوي النفس مثله.

ومن في الناس ساد حياً وشهيداً حتى امتلأت النفوس بحبه والقلوب بتعظيمه.. والمحافل بتكريمه مثل أبي عبد الله الحسين.

---

(١) النسائي (٢/٢٢٩، ٢٣٠) في (افتتاح الصلاة) باب (هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة).

وأحمد في «المسند» (٣/٤٩٤) والحاكم في «المستدرك» (٣/١٦٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه: الطبراني، وابن منده، وابن عساكر، كما في كنز العمال (٣٤٢٧٢). وقال الهيثمي في «المجمع» وفي إسناده من لا يعرف. (٩/١٨٥).

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم.. يعرفون له ولأخيه مكانهما من رسول الله ﷺ.. فهذا أبو بكر يلقى أحدهما في الطريق فيحمله على عاتقه وهو خليفة ويقبله ويدلله قائلاً:

وا بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يمشي بجواره سعيداً ضاحكاً[1].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يؤثرهما على أولاده.. حتى في العطاء ففرض لكل منهما مثل عطاء أهل بدر.

ويوم أن أعطى لكل واحد منهما خمسة آلاف وأعطى ابنه عبد الله ألفاً فقط.. عاتبه ابنه قائلاً: لقد علمت سبقي في الإسلام وهجرتي.. أتعطي كلاً منهما خمسة آلاف وتعطيني ألفاً ـ وهما ما زالا صبيين يلعبان في طرقات المدينة ـ فقال له أبوه عمر:

(ويحك يا عبد الله ـ هل لك جد كجدهما أو جدة كجدتهما أو أم كأمهما ـ أو أب كأبيهما)[2].

وكان الحسين رضي الله عنه يأنس من نفسه السؤدد صبياً، ويعرف مكانه من رسول الله ﷺ رغم صغره.

دخل المسجد مرة وهو صبي صغير فرأى عمر بن الخطاب وهو يومئذ خليفة يخطب على منبر رسول الله ـ فصعد إليه الحسين الصبي ـ وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك. فقال له عمر (لم يكن لأبي منبر) وأخذه وأجلسه معه على المنبر.. فلما نزل من على المنبر أخذ الحسين معه إلى بيته وسأله من علّمك هذا ـ فقال له الحسين والله ما علمنيه أحد، فقال عمر: بني.. لو جعلت تغشانا.. فيحكي بعد ذلك فيقول: فأتيته يوماً وهو في خلوة بمعاوية ـ وكان ابن عمر جالساً بالباب فلما رأى أباه مختلياً

(١) سبق تخريجه

(٢) ذكر ذلك الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٥٩ و٢٨٥) نقلاً عن الواقدي.

بمعاوية رجع ورجعت معه. . فلقيني عمر بعد ذلك فقال: لم أرك؟ فقلت يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خال بمعاوية فرجعت مع ابنك عبد الله ـ فقال أنت أحق من ابن عمرفأنتم من أنبت ما في رؤوسنا **وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم!)**[1].

ولما جاء سبي فارس وفيه بنات كسرى واشتراهن الإمام علي في خلافة عمر وأعطى إحداهن للحسين. . وأعطى أختها لعبد الله بن عمر جاء عمر يهنىء الحسين قائلاً له: لتلدن لك خير أهل الأرض. . وقد تحققت فراسة عمر فولدت خير الناس في عصره الإمام زين العابدين رضي الله عنه.

ولقد شارك الحسين وكذلك أخوه الحسن في الجهاد أيام خلافة عثمان رضي الله عنه. . وكانا بين الجيوش التي حاربت الروم في إفريقية وفتحت طرابلس واتجهت إلى المغرب الأقصى.

وكذلك شاركا في عام ثلاثين من الهجرة مع جيش سعد بن أبي وقاص في معارك آسيا وفتح طبرستان. . وكان السبطان الكريمان أسبق الشباب الهاشمي في الدفاع عن الخليفة عثمان رضي الله عنه حين حاصره الثوار الخارجون وذلك بأمر من أبيهما الإمام علي رضي الله عنه حتى تخضّبا بالدماء دفاعاً عنه.

ولما أحرق الثوار باب عثمان ليقتحموا الدار تصدى لهم البطلان الإمامان الحسن والحسين فرداهما عن اقتحام الدار. . ولثبات البطلين السبطين في الدفاع لم يستطع الثوار الدخول إلا بتسور الدار من الخلف بينما الحسنان يدافعان لدى الباب[2].

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/١٤١)، والذهبي «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٨٥) وقال: إسناده صحيح. وذكره الحافظ في «الإصابة» (١/٣٣٣).

والعبارة كناية عن عز الخلافة والسلطان، وأن ذلك بفضل الله، ثم بفضل رسوله ﷺ الذي أسس الإسلام، ثم اتخذ الناس بعده خليفة.

(٢) تأمل هذا الإخلاص وهذه التضحية دفاعا عن الخليفة العظيم عثمان من آل البيت، وقارن ذلك بما يقوله الشانئون عن عثمان وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

ولما بويع أبوهما الإمام الفارس الزاهد علي بن أبي طالب بالخلافة كانا له نعم العون، وزيرين ومشيرين، وفارسين مجالدين، وشهدا معه معاركه كلها، وإن كان أبوهما يضن بهما ويقدم بين يديهما أخاهما محمد بن الحنفية.. ولما سأل الناس محمد بن الحنفية لمَ كان أبوك يزج بك في المعارك بينما يضن بالحسن والحسين قال لهم: «كانا عينيه وكنت يده والمرء يقي عينيه بيده»[1].

ولتعلم منهاج التربية التي نشأ عليها، اسمع معي وصية أبيهم لهم بعد أن أصابه عدو الله وأشقى الآخرين (ابن ملجم):

«أوصيكم بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام.. الله الله في القرآن لا يسبقنكم إلى العمل سابق.. الله الله في الفقراء والمساكين.. أشركوهم في معاشكم، لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، لا تدعوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله.. عليكم بالتواصل، وإياكم والتدابر، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».

ثم خاطب ولده ابن الحنفية محمداً فقال:

«أوصيك بتوقير أخويك الحسن والحسين لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما» ثم قال للحسن والحسين:

«أوصيكما به فإنه ابن أبيكما وقد علمتم أن أباكما كان يحبه.. أستودعكم الله.. واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

ولما استُخلفَ الإمامُ الحسنُ رضي الله عنه بعد أبيه الإمام علي

---

(١) راجع سير أعلام النبلاء (١١٥/٤، ١١٧)، تاريخ الإسلام (٢٩٦/٣). وانظر هذا الأدب والتوقير الأخوي الرفيع.

رضي الله عنه ثم رأى الصواب في ترك الحرب وحقن الدماء، وكان من رأي الحسين أن الحسن أحق بالخلافة وأرعى للمسلمين وأولى بإقامة الحق من معاوية، ولكن الحسن كره أن يراق بسببه دم فأصر على التنازل فقال له الحسين: «أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع». . ونزل عند رأيه[1].

ولقد كان شأن الإمامين العظيمين الحسن والحسين جليلاً في عيون معاصريهما من الصحابة والتابعين. . هذا ابن عم أبيهما عبد الله بن عباس وهو أسن منهما مع علمه وتوقير الناس له كان يمسك الركاب لأحدهما إذا ركب ويسوي له ثيابه. وقد سأله الناس عن فعله هذا فقال للسائل:

أوَتدري من هذان. . هذان ابنا رسول الله ﷺ، أوَليس مما أنعم الله به علي أن أمسك لهما الركاب وأسوي عليهما الثياب.

ولقد شيع الحسين رضي الله عنه جنازة فاغبرت قدماه ـ فقام أبو هريرة رضي الله عنه ينفض عنهما التراب فقال له الحسين رضي الله عنه ـ أتفعل هذا؟. . فقال أبو هريرة. . دعني فوالله لو علم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم[2].

ولقد كان كثير من الصحابة يوصون إلى الحسنين الكريمين من أموالهم إذا حضرهم الموت، ومعلوم أن المقداد بن عمرو أوصى لهما بستة وثلاثين ألفاً. . وكان الإمامان الجليلان خير وارثين لعلم أبيهما وأمهما وجدهما المصطفى ﷺ وقد أخرج للحسين من أصحاب السنن ـ أبو داود والترمذي والنسائي يروي فيها عن أبيه وأخيه وأمه ـ وخاله هند بن أبي هالة ـ

---

(١) راجع: «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٩١).

(٢) أورد الخبر الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٨٧).

وانظر هذا الوفاء وهذا الحب والتعظيم من أبي هريرة رضي الله عنه لآل البيت، وقارن ذلك بموقف الرافضة منه، وما يصفونه به من أوصاف ظالمة!!.

وكان يجلس للناس في مسجد جده يعلمهم ويفقههم حتى إن رجلاً من قريش سأل معاوية أين يجد الحسين رضي الله عنه فقال له معاوية:

(إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين مؤتزراً إلى أنصاف ساقيه).. وكان جواداً معطاء سخياً يجود بكل ما في يده.

ومن روائعه الموجزة رضي الله عنه:

حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتعود نقماً[1].

صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده.

الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة.

ومن شعره:

فإن تكنِ الدُّنيا تُعَدُّ نفيسَةً ... فإنَّ ثوابَ اللهِ أعلَى وأنبلُ
وإن تكنِ الأبدانُ للموتِ نُشِّئَتْ ... فقتلُ امرىءٍ في اللهِ بالسيفِ أفضلُ
وإن تكنِ الأرزاقُ قِسْماً مقدَّراً ... فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في السَّعْي أجمَلُ
وإن تكنِ الأموالُ للتَّرْكِ جمعها ... فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخَلُ

ومنه أيضاً:

إذا ما عضَّكَ الدهرُ ... فلا تجنَحْ إلى الخَلْقِ
ولا تَسألْ سوى اللَّهِ ... المغيثِ العالمِ الحقِّ
فلو عِشْتَ وقد طُفْتَ ... مِن الغربِ إلى الشرقِ

---

(١) وأراد تبدد النعمة وذهابها.

لمـا صـادَفْتَ من يَقْدِ رُ أنْ يُسْعِدَ أو يُشقي

ووقف على بابه يوماً أعرابي فقرعه وهو ينشد:

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرك من خلف بابك الحلقة

وكان الحسين ساعتها يصلي، فخفف من صلاته وخرج إليه، فوجد عليه أثر الفاقة والحاجة، فنادى الحسين رضي الله عنه على غلامه وسأله، ماذا تبقى معك من نفقتنا. فقال غلامه مِائتا درهم أمرتني بتفريقها في أهل بيتك، فقال الحسين رضي الله عنه:

«هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم» ثم أعطاها للأعرابي معتذراً له عن قلتها ـ فأنشد الأعرابي:

مطهَّرُونَ نقياتٌ جيوبُهمُ تجري الصلاةُ عليهم أينما ذكِرُوا

وأنتمو أنتمُ الأعلَون عندكمُ علمُ الكتابِ وما جاءَتْ به السُّوَرُ

ولقد تحمل عن أسامة بن زيد دينه الذي بلغ ستين ألفاً حين وجده مهموماً وهو مريض يخشى أن يموت قبل سداده، فأداها عنه. ولقد قدمت إليه إحدى جواريه مرة، طاقة من الريحان محيية له فكانت مكافأتَه لها أن قال لها أنت حرة لوجه الله ـ وكان أنس بن مالك حاضراً فقال له ـ جارية تجيئك بطاقة من الريحان فتعتقها؟ فقال له الحسين رضي الله عنه: كذا أدبنا الله فقال تبارك وتعالى:

﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ وكان أحسن منها عتقها.

ومن أدبه وسماحة خلقه أنه وقعت جفوة بينه وبين أخيه محمد بن الحنفية فكتب ابن الحنفية إليه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.. أما بعد: فإن لك شرفاً لا أبلغه، وفضلاً

لا أدركه، أبونا «علي» رضي الله عنه لا أفضلك فيه ولا تفضلني وأمك فاطمة بنت رسول الله ﷺ. . ولو كان ملء الأرض نساء مثلُ أمي، ما وافين بأمك، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وتعال فترضني، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام).

فعلم الحسين أن أخاه الأصغر منه قدراً يذكره بقول الرسول ﷺ: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[1] فسارع الحسين رضي الله عنه ولبس رداءه وذهب إلى أخيه الأصغر فترضّاه.

ووقع مثل ذلك بينه وبين أخيه الأكبر الحسن ـ فلما مرت الأيام الثلاثة جاء الحسن إلى أخيه الحسين فسارع إليه وأقبل عليه وهو جالس فأكب عليه مقبلاً رأسه ثم جلس بجانبه، فقال له الحسين: «إن الذي منعني من ابتدائك والقيام إليك أنك أحق بالفضل مني ـ لأنه أكبر منه ـ فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به مني».

ولقد كان الحسين عابداً قانتاً، لا يرى إلا صائماً، ولا يعهد في الليل إلا قائماً، سباقاً إلى الخير، مسارعاً في المعروف براً كريماً وصولاً لأهله ـ مغيثاً لمن استعان به، متبتلاً في طاعة ربه، يروي مصعب الزبيري عنه أنه حج ساعياً ملبياً خمساً وعشرين حجة ماشياً على الأقدام.

وكان صبوراً عند الشدائد، جلداً إذا نزلت به المحن، لا يتسخط، ولا ييتئس ولا يجزع ولا يعجز، راضياً بما قدر الله مطمئناً إلى اختيار الله فيما ينزل به.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٦٠٧٧، ٦٢٣٧) في (الأدب) باب (الهجرة) فتح (١٠/٤٩٢).
مسلم: رقم (٢٥٦٠) في (البر) باب (تحريم الهجر فوق ثلاث) والترمذي رقم (١٩٣٣) في (البر) باب (كراهية الهجر للمسلم) وأبو داود رقم (٤٩١١) في (الأدب) باب (فيمن يهجر أخاه المسلم) (٥/٢١٤).

ويروون أنه مات له ولد ـ فلم تظهر عليه كآبة ـ فلما سألوه عن ذلك قال: «إنا أهل بيت نسأل الله فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا».

وكان رضي الله عنه مع صبره وجلده لنوازل الأيام غير خوار ولا جبان إذا استثاره أحد وجده أسداً غاضباً، وليثاً هصوراً، لا يبالي من أمامه ولا يخشى في الله لومة لائم.

(١) انظر: «ملتقى الأصفياء» (٤٩)، «سير أعلام النبلاء» (٣١٨/٣) و«الإصابة» لابن حجر.

استشهاد الحسين رضي الله عنه

قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه قصة أليمة محزنة ، وجرح عميق في قلب كل مسلم يعرف ما للدم المسلم عند الله عز وجل من الحرمة ، وما لأهل البيت من الحق والفضل والشرف ، وما للحسن والحسين من مكانة ، فقد كانا قرة عين رسول الله ﷺ ، وكان يجلسهما على ركبتيه ويقول « اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » وقال فيهما أيضاً : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة في الجنة » .

وإن الدارس لهذه الواقعة الأليمة وأسبابها القريبة والبعيدة يدرك أن الأيدي الخفية الملوثة بدماء المسلمين ، والرؤس الماكرة المدبرة لتفريق جماعة المسلمين هي التي مهدت لهذه الجريمة ، وقامت بتنفيذها بخبث ودهاء ، كما مهدت من قبل لقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن اختلقت الأكاذيب ، وزورت الرسائل باسم الخليفة وباسم علي ، وبأسماء أخرى حتى تمكنت من قتله وهو صائم صابر يتلو القرآن الكريم ، وقد أبى أن يدافع عنه أحد من الصحابة لئلا يراق بسببه دم مسلم .

وهي التي مهدت لمعركة الجمل ، ولما تم الصلح بين الفريقين على يد القعقاع بن عمرو ، أشعلوا المعركة في الصباح ، وقتلوا طلحة بن عبيد الله وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو يحجز بين المتقاتلين وقتلوا الزبير وهو يصلي ويدعو الله أن يطفىء نار الحرب ، وحرضوا على قتل عائشة رضي الله

عنها فقتل دونها مئات من الصحابة وقتلوا كعب بن سور الأزدي الذي حمل المصحف بأمر عائشة ليكف الناس عن القتال (١) .

وهي كذلك الفتنة الخبيثة الماكرة التي دبرت لمعركة صفين ، ومنعوا وصول الأخبار ووصول الساعين لإصلاح ذات البين .

وفي نهاية المعركة ، وبعد قبول التحكيم ، وبعد أن قتل الألوف من الصحابة والتابعين انكشف أمر هؤلاء الساعين في الفتنة وأنهم جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان بمكره وسعيه وراء كل الفتن السابقة واللاحقة ، وتبين أنهم فريقان :

فريق قال إن علياً هو الله الخالق الرازق وأنه على كل شيء قدير ، وقد حاورهم علي رضي الله عنه في ذلك فأصروا على زعمهم فأحرق من عُرف منهم بالنار ، فقالوا : لو لم يكن علي هو الله ما حرقهم بالنار لأنه لا يحرق بالنار إلا الرب ، وزعموا أنه أحياهم بعد أن قتلهم ، وهؤلاء هم الذين جاءوا بعقيدة التقمص والحلول ، وما تفرع عنها من العقائد الضالة .

وفريق خرج على سيدنا علي بعد صفين ، واتهموه بالكفر لأنه أوقف القتال ومضى بتحكيم كتاب الله فيما شجر بينه وبين معاوية رضي الله عنهما ، ومنهم من كفر الخلفاء الثلاثة قبله ، وقتل هؤلاء التابعي الجليل عبد الله بن حباب رضي الله عنه لأنه أثنى على الخلفاء الأربعة ، وبقروا بطن امرأته وقتلوا ثلاث نسوة من طيء فلما طلب علي أن يسلموه القتلة أبوا وقالوا كلنا قتلهم ، وكلنا يستحل دماءكم ودماءهم .

وبايع أهل العراق الحسن رضي الله عنه بعد أبيه ، وكان معه كبار الصحابة والتابعين وأكثرية الناس ، فحقق الله قول جده ﷺ فيه : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين » فقرر التنازل عن الخلافة لمعاوية ومبايعته ، وبايع الناس جميعاً وتم الاتفاق على أن يكون الحسن خليفة بعد معاوية ، وأن تدفع ديات القتلى من بيت

---

(١) انظر كتاب : الخليفة المفترى عليه لصادق عرجون ، والعواصم من القواصم لابن بكر بن العربي

المال وسمى المسلمون عامهم ذاك عام الجماعة وكان هذا الصلح من أعظم نعم الله على المسلمين في اجتماع كلمتهم واستئناف حركة الجهاد والفتوح لنشر الإسلام وحمل الهدى والنور إلى كل شعوب الأرض بعد أن توقفت في أعوام الفتن والاختلاف .

مجمل قصة استشهاده :

كان معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – قد جعل لابنه يزيد ولاية العهد من بعده ، ولم يعتد نفر من الصحابة بما وقع من البيعة ليزيد بن معاوية على اعتبار أنها تمت خلافاً للطبيعة التي اتبعها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، ونظر بعضهم إليها على أنها غير ملائمة ولا منسجمة مع ذلك النهج ، وكلهم مجتهدون لم يدخلوا تحت رأي غيرهم ممن بايع .
فلما توفي معاوية وتولى يزيد رأى بعض هؤلاء أن السلامة أنسب محافظة على عدم سفك الدماء . واكتفوا بالامتناع عن البيعة بالهرب من مواضع سلطان يزيد ورأى الحسين وعبد الله بن الزبير وجوب الخروج عليه دفعاً للجرأة على تغيير نظام الخلافة المتبع في عهد الخلفاء الراشدين من التشاور وعدم إيثار قريب واختيار الأفضل ودفعاً لجور يزيد .

وأصل القصة أنه لما بويع ليزيد بالخلافة بعد وفاة معاوية سنة ستين من الهجرة أرسل إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة ليأخذ البيعة على أهلها فخرج نفر فراراً من البيعة إلى مكة سراً في أواخر رجب سنة ٦٠ هـ ومنهم الحسين فأقام بمكة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة يتلقى كتب أهل الكوفة ووفودهم يطلبون منه أن يقدم عليهم ليبايعوه ولهذا عزم على الخروج إليهم ، فنصحه ابن عباس وابن عمر لما عهدوه من غدر أهل الكوفة و بعض أهل العراق

ولكنه ظن خيراً في المكاتبين له فلم يرجع عن عزمه على المسير إليهم ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية بكى كثيراً .

وخرج الحسين من مكة يوم التروية يريد الكوفة ، وكان قد قدم أمامه ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً ولكن سرعان ما تفرقوا عنه لما علم بهم عبيد الله بن زياد والي الكوفة من قبل يزيد بن معاوية فأخذ مسلماً وقتله .

ولم يبلغ الخبر الحسين بقتل مسلم إلا حين قرب من القادسية ، فقال إخوة مسلم لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ، وأخبر من معه بما وقع وأن من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرقوا حتى لم يبق إلا في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة وهم نيف وسبعون منهم اثنان وثلاثون فارساً وكان عبيد الله بن زياد قد بعث صاحب شرطته الحصين بن تميم التميمي في خيل فنزل القادسية ونظم الخيل لمنع الحسين من الانتشار كما بعث ابن زياد ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ليقطع على الحسين طريق العودة فأدركوه ووقفوا تجاهه وذلك في وقت الظهيرة فخرج الحسين مخاطباً لهم ، أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم فإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا إمام فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فإن تعطوني ما أطمئن به من عهودكم أقدم مصركم وإن كنتم لقدومي كارهين انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه فسكتوا وأذن مؤذنه وأقيمت الصلاة ، فصلى الحر بصلاته وانصرف إلى موقفه ، وصلى الحسين العصر أيضاً ، واستقبلهم قائلاً إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن ذلك أرضى لله تعالى ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء السائرين بالجور والظلم فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم وأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم .

فقال الحر : إنا أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدم بك إلى الكوفة على عبيد الله بن زياد .

وأدرك الحسين عظم المكر وهول الخديعة ، فعرض على عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد أن يدعه يعود من حيث جاء ، أو يتركوه يسير مجاهداً في سبيل الله ، أو يدعوه يذهب إلى يزيد في دمشق ، فأبوا عليه إلا أن ينزل على حكم ابن زياد وأبى الحسين ذلك أشد الإباء (١) فما يليق بسبط رسول الله ﷺ وابن الخليفة الراشد أن يسلم نفسه إسلام الذليل ، وعزم على القتال مجتهداً معتقداً أنه على الحق ، وأنهم على الباطل وأنه إن قتل في مقاومة الظلم كان ذلك أعذر له عند الله عز وجل .

وقال الحسين : خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منا ذمام (٢) ، فتفرق أكثر الناس من حوله حتى بقي في أهله وأصحابه الذين جاءوا معه من مكة ، وكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه .

وقال قوم للحسين: قد علمنا رأيك ورأي أخيك - أي الحسن - فقال : « إني لأرجو أن يعطي الله أخي على نيته في حب الكف وأن يعطيني على نيتي في جهاد الظالمين » (٣) .

ولم يبق مع الحسين إلا سبعون رجلاً منهم شيعته من آل البيت ، والتحق بعض من كان معه من مريدي الفتنة بجيش ابن زياد لينجوا

---

(١) انظر البداية والنهاية ج ٤ / ٢ صفحة ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ١٦٩ ، ١٧٠ . (٣) المصدر السابق ١٦١ .

بأنفسهم من الموت المحقق .

وحين ركب الحسين وأصحابه للانصراف من حيث أتوا منعهم الحر من ذلك وقال للحسين : « أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد ، وقد أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك إلى الكوفة فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا تدرك المدينة الشريفة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد والى ابن زياد فلعل الله يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلي فيه بشيء من أمرك فسار الحسين عن طريق القادسية والحر يسايره لمنعه من اتجاه العودة .

فلما كان يوم الجمعة الثالث من محرم سنة ٦١ هـ قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس وكان أكثر الجيش من المكاتبين للحسين والمبايعين ، فأرسل عمر إلى الحسين رسولاً ليسأله ما الذي جاء بك . فقال : كتب أليّ أهل مصركم أن أقدم عليهم ففعلت ، فإذا كرهتم ذلك فإني أنصرف عنكم ، فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك فكتب إليه ابن زياد أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فإن فعل رأينا فيه رأينا وإلا فامنعه ومن معه من الماء . فحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام .

وتفاوض عمر والحسين مراراً فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد : أما بعد ، فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة ، وقد أعطاني الحسين عهداً أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن تصيره إلى ثغر من الثغور أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده وفي هذا لكم رضا وللأمة صلاح فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن إلى عمر بكتاب يسأل فيه الطلب من الحسين أن ينزل على حكم ابن زياد وأن يبعث بهم إليه فإن أبوا قاتلهم ، وقال زياد لشمر : إن فعل عمر بن سعد ما :مره فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت الأمير واضرب عنقه .

وكتب أيضاً إلى عمر بن سعد بأني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه

ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعاً . انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم فابعث بهم إلي ، فإن أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم ومثل بهم فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر .

فلما أتاه الكتاب أمر الجيش بالركوب وذلك بعد العصر وأخبر الحسين بما جاء به أمر ابن زياد فاستمهلهم الحسين إلى الغداة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمر الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء اتصل القتال فاقتتلوا وأحاطوا بالحسين من كل جانب ونادى الحسين يا أهل الكوفة ما رأيت أغدر منكم قبحاً لكم وتعساً لكم ، الويل ثم الويل استصرختمونا فأتيناكم وأسرعتم إلى بيعتنا سرعة الذباب ولما أتيناكم تهافتم تهافت الفراش وسللتم علينا سيوف أعدائنا من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا ذنب منا كان إليكم ، ألا لعنة الله على الظالمين . ثم حمل عليهم وظل القتال إلى الظهر فصلى ثم عاد القتال بعد الظهر وقتل أكثر من معه .

وحارب بين يديه يزيد بن الحارث حتى قتل كما كان في جيش عمر بن سعد الحر بن زياد الرياحي فانحاز إلى الحسين ونادى يابن رسول الله كنت أول من خرج عليكم وأنا الآن من حزبك لعلي أنال شفاعة جدك وقاتل بين يدي الحسين حتى قتل وبقي الحسين وحده يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح وغلب عليه العطش إلى أن سقط إلى الأرض وضربه رجل من كنده على رأسه بالسيف فأدماه فأخذ الحسين دمه بيده وصبه في الأرض وقال اللهم إن كنت حبست النصر عنا من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا وانتقم من هؤلاء الظالمين ، واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع

في فمه فتلقى الدم في يده وقال اللهم اقتل حصيناً عطشاً . قال العلامة الأجهوري : فابتلي بالحر في بطنه والبرد في ظهره وصار يوضع بين يديه الثلج والمرواح ويوضع خلفه الكانون وهو يصيح من الحر والعطش والبرد وصار يؤتى بالماءواللبن فيشربه فلا يروى إلى أن قد بطنه ومات بعد موت الحسين بأيام .

ولما ضعف جسم الحسين عن النهضة بالجراحات حمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا .

وأعرض الناس عن قتل الحسين كل يريد أن يكفيه غيره فنادى فيهم شمر بن ذي الجوشن ويحكم ماذا تنتظرون اقتلوه ثكلتكم أمكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه صرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى ثم إن سنان بن أتسن النخعي حمل عليه في تلك الحالة وطعنه برمح فنزل عليه شمر بن ذي الجوشن وذبحه وساعده خولي بن يزيد الأصبحي من حمير فحز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وأنشد :

أو قر ركابي فضة وذهبا	إني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا	وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وسلب شمر ما كان على الحسين ومال الناس على منزله فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء وداسوا الحسين بخيولهم حتى وطئوا ظهره وصدره كما أمرابن زياد وكان عدد من قتل من أصحاب الحسين اثنين وسبعين وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون غير الجرحى .

وحملوا الرأس الشريف إلى ابن زياد ، ولما وضع رأس الحسين بين يديه جعل ينكت ثناياه بقضيب ويدخله انفه ، فبكى أنس بن مالك وكان حاضراً كما رواه الترمذي وغيره .

وقال زيد بن أرقم لابن زياد ، ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين هاتين الشفتين ، وبكى زيد فأغلظ عليه ابن زياد فنهض زيد وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ووليتم ابن مرجانة والله ليقتلن أخياركم وليستعبدن شراركم فبعداً لمن رضي بالذل والعار .

ثم التفت إلى ابن زياد وقال رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : اللهم إني أستودعتك إياهما وصالح المؤمنين . فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد فغضب وهم بقتله وقال : لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك .

ثم أخذ ابن زياد برأس الحسين وأرسله إلى يزيد مع نساء الحسين ومن بقي من أهله . . فلما رأى يزيد ذلك أظهر حزنه وندمه وقال : « كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ورحم الله الحسين » . .

قال ابن تيمية وغيره من الأئمة : إن رأس الحسين حمل إلى ابن زياد بالكوفة ، وجعل يضرب ثناياه بالقضيب وطيف برأس الحسين في الكوفة على خشبة .

وكان عمر بن سعد قد أخذ إلى ابن زياد بنات السيد الحسين وأخواته ومن كان معه من الأطفال وعلي بن الحسين وهو مريض . قال الشبراوي الشافعي في كتابه : الإتحاف « أرسل ابن زياد رأس الحسين إلى يزيد وأرسل معه الصبيان والنساء على أقتاب الجمال » .

وقال السيد السمهودي في جواهر العقدين : أجاز بعض العلماء لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو إجازه أو رضي به من غير يقين . قلت قد ثأر الله لقتل الحسين فلم يطل ليزيد حكمه ونزع الله الملك من ذريته وسلط

المختار بن أبي عبيد الثقفي على قتلة الحسين فقتل عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد بن أبي وقاص وتتبع قتلة الحسين حتى أفناهم .

ورضي الله عن الإمام البصري حيث قال : لو كنت مع قتلة الحسين أو مع من رضي بقتله ما دخلت الجنة حياء من رسول الله ﷺ وخوفاً من نظره إلي بعين الغضب .

ولو أن يزيد بن معاوية حين علم بموقف الحسين رضي الله عنه وخروجه إلى الكوفة قد ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وما ورد فيه وفي أخيه من الأحاديث الصحيحة وحب الأمة له ، ولو أنه تدارك الأمر فأرسل على وجه السرعة أمراً صريحاً بالكف عن قتاله ، ووجوب المحافظة عليه وعلى الذين كانوا معه من رهطه وشيعته رضي الله عنهم لجنب الأمة الإسلامية هذه المصيبة العظيمة ولحاز فضل إكرام آل بيت النبي ﷺ ، ولو أن ابن زياد أجاب الحسين إلى طلبه حين عرض عليه العودة من حيث أتى أو الذهاب إلى يزيد في دمشق ليضع يده في يده ما وقعت هذه الكارثة ولكنه التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله ﷺ ، وأحد سيدي شباب الجنة ، وسيد من سادات المسلمين ، وعالم من كبار علمائهم وعلى الذين استشهدوا معه من قرابته وأنصاره رضي الله عنهم من رجال صدقوا ما عاهدوا عليه .

لقد خرج الحسين رضي الله عنه معتقداً أنه على الحق ، ورأى الأكثرية الدخول في البيعة تجنباً لسفك الدماء وكل منهم عظيم القدر مجتهد وفيما ذهب مصيب مأجور ، ولله في الأمر حكمة وقضاء قد أنفذه ، وقد قضى سبحانه أن يصرف الخلافة عن أهل البيت رحمة بهم وصيانة لأقدارهم ، ودفعاً لهم عن مراكب الظلم ، فإن الحكم لا يستقيم لأحد إلا أن يشاب بظلم إلا في مثل رعية أبي بكر وعمر ، وأنى لآل البيت أن يجدوا رعية مثل رعية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما آل الأمر إلى عثمان رضي الله عنه وقع ما وقع من الفتنة ، وما بعدها من الفتن كان أعظم ، وليس آخرها قتل

الحسين رضي الله عنه .

ولقد عرضت الدنيا على رسول الله ﷺ والخلد فيها فاختار لقاء الله عز وجل ، ورفض أن يكون ملكاً رسولاً وآثر أن يكون عبداً رسولاً يشبع فيحمد الله ، ويجوع فيصبر لله ، «وتوفي ﷺ وما في بيته شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي»(١) .

ولقد كانت الجريمة في قتل الحسين رضي الله عنه كبيرة شنيعة قبيحة أشد القبح ، تكاد تنفطر لها السماء وتتصدع لها الأرض وتخر الجبال هدا ، ولكن لا ينبغي لذلك أن يدفعنا إلى اجترار الأسى ، وإثارة الحقد وتفريق الصف وتكريس الاختلاف ، فذلك ماض قد انقضى ، وقضاء قد وقع ، وكل أفضى إلى ما قدم ، والله عز وجل هو الحسيب والعليم بالنيات وكفى بالله حسيبا .

وليس الحسين رضي الله عنه أول من قتل مظلوماً ، فقد قتل قبله أبوه علي رضي الله عنه وهو الخليفة الراشد الزاهد ، ومن قبل قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان مظلوماً صابراً ، ولم يأذن للصحابة بالدفاع عنه لئلا يسفك بسببه دم مسلم ، واستشهد قبل عثمان عمر الفاروق وهو يصلي بالناس الفجر في مسجد رسول الله ﷺ إماماً وخليفة للمسلمين وهو أفضل الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه ، وقتل في معركة الجمل على يد هؤلاء البغاة وبتحريضهم ألوف الصحابة ، وفيهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهما من العشرة المبشرين بالجنة » .

ومن قبل حكم الأريسيون من اليهود على نبي الله عيسى بن مريم بالصلب والقتل ، وهموا بما لم يفعلوا فرفعه الله تعالى إليه حياً بجسمه وروحه ، وصلب اليهود عدو المسيح الذي ألقى الله شبهه عليه ، وظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾(٢)

ومن قبل عيسى قتل اليهود أنبياء كثيرين ظلماً وعدواناً ، وقد حكى

---

(١) رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) النساء : ١٥٧ .

القرآن الكريم ذلك عنهم في كثير من الآيات ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (١) ، ولو استطاع فرعون أن يقتل نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لقتله ، وما أكثر ما قتل المؤمنون في الأمم السابقة كما في قصة أهل القرية من سورة (يس) ، وكما في قصة أصحاب الأخدود ﴿ النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ (٢) .

وقد حكى النبي ﷺ حال قوم فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه وما يصده ذلك عن دينه » (٣)

وهكذا الحياة صراع دائم بين حق وباطل ، وبين إيمان وكفر ونفاق ليبلو الله الناس بعضهم ببعض فينظر كيف يفعلون .

وهناك بعض الروايات التي تذكر حادثة قتل الحسين رضي الله عنه بصورة مختلفة . والخلاصة من تلك الروايات جميعها :

إن أكثر الذين قاتلوا الحسين وعصابته من هؤلاء أو من السفهاء المخدوعين بهم من طلاب الدنيا ، وقد استجاب عمر بن سعد لطلب الحسين رضي الله عنه وكتب إلى عبيد الله بن زياد فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذي الجوش لابن زياد : لا ، إلا أن ينزل على حكمك فأرسل إلى الحسين بذلك فقال : والله لا أفعل ، وأبطأ عمر عن قتاله ، وكان مع عمر قريب ثلاثين رجلاً من أعيان الكوفة فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ، فتحولوا مع الحسين

---

(١) البقرة : ٨٧ .

(٢) البروج : ٤ - ٨ .

(٣) رواه البخاري .

يقاتلون معه » (١) ، وهكذا يتضح أن ذا الجوشن كان رأساً من رؤوس الفتنة الذين حرصوا على قتل الحسين ، وهو الذي أنشب القتال ، وهو الذي كان يحث على قتله حتى تم له ما أراد عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وعلى الذين شاركوا بقتله كذلك ، وانا نحتسب أبا عبد الله الحسين في الشهداء عند ربهم يرزقون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أصبح كل ما مضى تاريخاً يقرأ للعبرة ، ولا سلطان لأحد عليه ، ولا مبدل له ولا يقدر أحد أن يرد ما قدر الله له أن يكون ، وما سبق في علمه أنه سيقع على ما وقع ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فلنتق الله في هذا الأمر ، وليكن لنا من صدق الإيمان وأدب التفويض ما يجعلنا راضين بقضاء الله وقدره ، موقنين أن الله عز وجل يحكم بين العباد فيما اختلفوا فيه ، ولو شاء الله ما وقع شيء على خلاف ما يحبه الله والمؤمنون ، إنه عليم حكيم .

رحم الله الحسين بن علي في الشهداء الخالدين ، ورحم الله الذين استشهدوا معه دفاعاً عن الحق الذي اعتقدوه ، ورحم الله شهداء المسلمين ماضياً وحاضراً وإلى يوم القيامة فإن قوافل الشهداء لن تتوقف أبداً حتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، وحتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام .

﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ .

تلك قصة استشهاد الحسين رضي الله عنه أخذناها من كتب التاريخ ومن الروايات التي تطمئن إليها النفس ، وليس لأحد أن يفرض علينا الأخذ بروايات يظهر كذبها من محاكمتها إلى العقل والعرف والدين ، وقد نهانا الله

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ / ٢ / ١٧٠ .

تعالى عن اتباع ما ليس لنا به علم ، فقال عز وجل : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ ، وأوجب علينا سبحانه أن نزن الأمور بميزان الإيمان الذي يحمل على حسن الظن بالمؤمنين ، وحسن ظن الإنسان بنفسه ، فعندما انتشرت حادثة الإفك بحق أم المؤمنين الطاهرة الفاضلة عائشة رضي الله عنها وخاض الناس فيها بين مصدق ومكذب ظن بعض المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين ، فمدحهم الله تعالى وأثنى عليهم .

قال أبو أيوب الأنصاري لزوجته أم أيوب : « ألا ترين ما يقال ؟ قالت له : لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا ، فقالت : « ولو كنت أنا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله ﷺ ، فعائشة خير مني وصفوان خير منك » .

فأنزل الله تعالى ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ (١) .

فهذه الآيات وما بعدها توجب على المؤمنين أن يزنوا ما يبلغهم من الأخبار التي يصنعها المغرضون بميزان العقل، وتهددهم إن لم يفعلوا ذلك فخاضوا مع الخائضين وصدقوا الأخبار غير المبنية على اليقين بالعذاب الأليم ﴿ لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ .

ونحن بناء على هذا نقول: إن الذين قتلوا الحسين ومن معه من شيعته الغر الميامين ، ومن آل البيت الطاهرين رضوان الله عليهم هم من أهل الفتنة الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وكانوا أشد الناس عداوة على الإسلام وأهله ، وقد أشرنا إلى حقيقة هؤلاء في بداية الحديث

---

(١) سورة النور، الآية: (١٢ ـ ١٤) وانظر تفسير القرطبي.

عن حادثة استشهاد الحسين، حين تحدثنا عن قتل عثمان رضي الله عنه وإن الذين قتلوه كانوا من السبئية الذين عملوا سراً على إثارة العامة والسفهاء في مصر والكوفة والبصرة، ثم جاءوا إلى المدينة المنورة على ميعاد، وقد زوروا الكتب على لسان عثمان رضي الله عنه حتى أنفذوا قتله(١)، وقد اتخذ هؤلاء فيما بعد التشيع لآل البيت قناعاً لإخفاء حقيقتهم، وإنفاذ أحقادهم على الإسلام، وأدخلوا في الإسلام عقائدهم الباطنية فقالوا بأن علياً هو الله، وجاءوا بعقائد التقمص والحلول وما تفرع عنها من المذاهب المنحرفة.

الرأس الشريف ومدفنه :

قيل إن يزيد أرسل برأس الحسين وثقله ومن بقي من أهله إلى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر أمه بقبة أخيه الحسن وقيل أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً من قتله . ولم يثبت بشأن الرأس شيء من ذلك .

وقيل إن يزيد ترك الرأس الشريف بعد صلبه في خزانة السلاح فلم يزل هناك حتى ولي سليمان بن عبد الملك فطيبه وجعل عليه كفناً وصلى عليه ودفنه في المقابر بدمشق فلما دخلت التيمورية إلى الشام نبشوه وأخذوه .

وقال المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار (في شعبان سنة ٤٩١ خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى بيت المقدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دوري فيه رأس الحسين فأخرجه وعطره وحمله إلى أجل دار بها وعمر المشهد الذي بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الأفضل . قال ولم يزل الرأس الشريف بالمشهد بعسقلان إلى أن نقل منها إلى القاهرة وكان وصوله إليها في جمادى الآخر ٥٤٥ هـ واستقر الرأس الشريف بالمكان الذي هو فيه .

ورتب فيه صلاح الدين تدريس فقه وحديث ولما وزر معين الدين

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٢٥ .

حسن بن شيخ الشيوخ ابن حموية اعتنى بأمر هذا المشهد .

وقال صاحب الدر النظيم في أوصاف القاضي الفاضل (من جملة مكارمه بناء المبضأة قريباً من مشهد الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية

وقال صاحب مرشد الزوار ذكر العلماء أن رأس الإمام الحسين كان بعسقلان فلما كانت أيام الظاهر الفاطمي حمل الرأس واستقر في القصر وقيل بناه طلائع بن رزيك ونقل الرأس إليه سنة ٥٥٥ .

قال الشعراني لما دفن الرأس الشريف بالمشرق ومضى عليه مدة أرشى عليه الوزير طلائع بن رزيك وأنفق ثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الشريف .

وقد اختلف الناس في إثبات الرأس الشريف في هذا المشهد فأنكر ذلك بعضهم وأثبته بعضهم الآخر اعتماداً على أخبار وعلامات وليس بين أيدينا رواية صحيحة بسند متصل صحيح توجب العلم وتعطي التأكيد وتطمئن النفس إليها .

وعلى كل حال ففي أي مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر . والله أعلم .

علي بن الحسين «زين العابدين» ٣٨ ـ ٩٤هـ.

نشـأته :

كان خامسَ خمسةٍ من أبناء الحسين الذكور وقد كانوا معه غداة كربلاء، قتل منهم مع أبيهم ثلاثة هم : أبو بكر وعبدالله وعلي الأكبر وسلم الله علياً الذي أقعدته الحمىٰ عن القتال، وأخاه عمر الذي كان صغيراً، ولم يرد لعمر ذكر بعد عودته من كربلاء مما يدل علىٰ أنه توفي صغيراً، ومن علي زين العابدين وحده امتد نسل الحسين رضي الله عنه.

ولد في الكوفة في خلافة جده علي سنة ثمان وثلاثين، أمه السيدة الكريمة شهربانو بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، توفيت في نفاسها به.

لم يدرك أحداث السنوات الأخيرة من حياة جده علي رضي الله عنه، ولا خلافة عمه الحسن وما كان فيها وتنازله لمعاوية رضي الله عنهما، ولم يطل به المقام في الكوفة بل عاد مع أبيه وعمه وأسرته إلىٰ المدينة المنورة حيث عاش طفولته الثانية وصباه وشبابه، وحيث مواريث النبوة، وأعلام الصحابة والتابعين، وحلق العلم في المسجد النبوي الشريف، ورعايته أبيه وعمه سيديْ شباب أهل الجنة، وسبطيْ رسول الله ﷺ، وينشأ الفتىٰ نشأة صالحة، فيحفظ كتاب الله، ويروي أحاديث النبي ﷺ عمن سمع من الصحابة، وينصرف إلى العلم والفقه حتىٰ يغدو من خيرة شباب التابعين علماً وورعاً. عن نافع بن جبير أنه قال لعلي بن الحسين : غفر الله لك أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلىٰ هذا العبد فتجلس معه ـ يعني زيد بن أسلم ـ فقال : إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان.

قـدره ومحبته :

وما زال علي يزداد علماً وفقهاً حتىٰ صار من كبار علماء التابعين وفقهائهم، وحين استشهد أبوه عاد إلىٰ المدينة فازداد في عيون الناس توقيراً وحباً ومودة

لقرابته من رسول الله ﷺ، وصلة لذكرىٰ أبيه الشهيد الذي لم يبق من ولده سواه، وازداد هو إقبالاً علىٰ العلم واشتغالاً بالعبادة حتىٰ لُقِّب زين العابدين، وكان يكنّىٰ بأبي الحسين.

ومما يدل على مكانة زين العابدين في عصره أنه لما حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد أراد أن يستلم الركن فلم يستطع من الزحام فنصب له منبر فاستلمه، وقام أهل الشام حوله فجاء زين العابدين ليستلم الحجر فأوسع له الناس إجلالا له واحتراما، وكان في بزة حسنة وهيئة حسنة وشكل مليح فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ فقال لا أعرفه. فقال الفرزدق وكان حاضرا: أنا أعرفه، وأنشد:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ — والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها — إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يُغْضي حياء ويُغضىٰ من مهابته — فما يكلَّمُ إلا حين يبتسمُ
مشتقةٌ من رسول الله نبعتهُ — طابتْ عناصرُها والخيمُ والشيمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهلهُ — بجده أنبياء الله قد خُتموا
كلتا يديه غياثٌ عم نفعهُما — تَسْتَوْكِفَانِ ولا يَعْرُوهما عَدمُ
ما قال لاقطُّ إلا في تشهده — لولا التشهدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ
من معشر حبهمْ دين وبغضهُمُ — كفر وقربُهُمُ منجى ومعتصمُ
مقدمٌ بعد ذكر الله ذكرُهُمُ — في كل حكم ومختوم به الكَلِمُ
إن عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتهُمْ — أو قيل من خُير أهل الأرض قِيلَ هُمُ
فليس قولك من هذا بضائِره — العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجم

تمسكه بالكتاب والسنة..

كان زين العابدين شديد التمسك بما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وما كان عليه جده علي بن أبي طالب وأبوه الحسين الشهيد رضي الله عنهما، لايحيد عنه قيد أنمله في عقيدة أو عبادة أو عمل، كثير التبتُّل والورع، أشفقت

عليه عمته فاطمة ينت علي من كثرة ما كان يتعب به جسمه من عبادة فأرسلت إليه الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يكلمه في ذلك فقال لجابر: لا أزال على منهج أبوي متأسيا بهما حتى ألقاهما. وكان حسن الرأي بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبالخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، شديد الحب لهم، والتقدير لأعمالهم، شديد الحب للصحابة أجمعين، فلما أظهر بعض المتسترين بآل البيت الطعن بأبي بكر وعمر تصدى لهم زين العابدين ففضح مكرهم وأظهر البراءة منهم. روى الحافظ ابن كثير عن محمد الباقر بن علي زين العابدين أن أباه جاءه قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله. . ﴾ قالوا: لا. قال فأنتم من (الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) قالوا: لا. قال: وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. . ﴾ فقوموا عني لابارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزؤون بالإسلام ولستم من أهله.

وقال في قوم طعنوا بأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأحسن سوء ما يقولون في أبيه وجده من أكاذيب وأباطيل: ما أكذبكم وما أجرأكم على الله، نحن من صالحي قومنا، وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا.

وروى ابن سعد بسنده عن يحيى بن سعيد قال: قال علي بن حسين: والله ما قتل عثمان على وجه الحق.

وروي عن مسعود بن مالك أيضا قال: قال لي علي بن الحسين: ما فعل سعيد بن جبير. قال قلت: صالح قال: ذاك رجل كان يمر بنا فنسائله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق.

زهـده وعبـادته:

كان علي بن الحسين عابداً زاهداً وفياً جواداً منيباً أجمع معاصروه أنه كان أعبد الناس، روى أبو نعيم في الحلية: حدثنا العتبي قال حدثنا أبي قال: كان علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه أخذته رعدة ونفضة فقيل له في ذلك فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي.

وكان كثير الصيام والقيام، سئلت جارية له عنه فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، وما فرشت له فراشاً بليلٍ قط.

وقال طاووس: رأيت رجلا يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه، فجئته حين فرغ فإذا هو علي بن الحسين، فقلت: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف أحـدها أنك ابن رسول الله ﷺ، والثاني شفاعة جدك، والثالث رحمة الله. فقال: ياطاووس أما أني ابن رسول الله فلا يؤمِّنني، وقد سمعت الله يقول: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وأما شفاعة جدي ﷺ فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول إنها ﴿ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ولا أعلم أني محسن.

وبلغ من ورعه أنه قال فيما روي عنه أنه قال: (والله إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين).

وكان يصلي في اليوم والليلة فيما روي ألف ركعة، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا ما كان عليه جده ﷺ من كثرة القيام، وما كان عليه والده من التقى والورع وما كان يحث عليه النبي ﷺ آل بيته وأمته من كثرة السجود، فقد روى مسلم في صحيحه عن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ قال: (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته فقال: سلني فقلت: أسألك مرافتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك. قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.)

وقد أطلق سعيد بن المسيب على علي بن الحسين لقب زين العابدين، وقال عنه ابن تيمية: (علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام) لكثرة ما اشتهر عنه من عبادة وزهد وورع وتسامح وعلو أخـلاق.

كان رضي الله عنه إذا أراد الصلاة تطيب من قارورة جعلها في مسجد صلاته فكانت روائح المسك تفوح منه ، وكان إذا صلى نزع ملابس زينته ويلبس ما خشن من ثيابه إظهاراً للتذلل .

ولم يكن يدع صلاة الليل في سفر ولا حضر، وكان كثير الدعاء والتضرع والذكر لله يطيل السجود يدعو.

صيامه :

وكان كثير الصيام ، كثير البر في رمضان، وربما طبخ شاة ووزعها على الفقراء ثم يفطر على خبز وتمر، كما كان كثير الحج والعمرة حاثا عليهما، وقد حج أكثر من مرة ماشياً تأسياً بأبيه وعمه الحسن، وحج عشرين حجة على راحلته، وروى أبو نعيم في الحلية أنه كان لايقرع ناقته من المدينة الى مكة رفقاً بها، وكان كثير الدعاء في طوافه وفي سائر مواقف حجه، كثير الاستلام للركن، يذهب الى الرمي ماشياً

صدقاته :

وكان كثير الصدقة في الحج ، كثير الصدقة في سائر أحواله وأحيانه، وقد روى ابن كثير أنه كان يقول: صدقة الليل تطفىء غضب الرب، وتنور القلب والقبر، وتكشف ظلمة يوم القيامة، وروى ابن سعد عن شيخ يقال له مستقيم قال: كنا عند علي بن حسين فكان يأتيه السائل فيقوم حتى يناوله ويقول: إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل (١)وكان إذا قدم الصدقة للسائل قبَّله ثم ناوله .

وروى أبو نعيم في الحلية عن حبيب بن الحسن. . . عن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل، وعن عبد الله بن أحمد

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/ ١٦٠

بن حنبل . . عن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت في المدينة . قال جرير في الحديث ـ أو من قبله ـ إنه حين مات وجدوا بظهره آثاراً مما كان يحمل بالليل الجرب للمساكين ، وعن سليمـان بن أحمـد . . . عن عمر بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه ، جعلوا ينظرون إلىٰ أثار سواد بظهره فقالوا : ما هذا؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً علىٰ ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة وفيه : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل . وكان أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين . وعن حجاج بن أرطأة عن أبي جعفر بن علي أن أباه علي بن الحسين قاسم الله ماله مرتين وقال: إن الله يحب المؤمن المذنب التواب .

لباسه ووقـاره:

كان علي بن الحسين رضي الله عنه جليلاً مهيباً بهي الطلعة يحب التجمل وإظهار النعمة عليه ، مع تواضعه الجم ، فقد روى ابن سعد بسنده ، عن عبد الله بن أبي سليمان قال: كان علي بن الحسين إذا مشى لاتجاوز يده فخذه ، ولا يخطر بيده ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ، فإذا جاء الشتاء تصـدق بهما ، وروى ابن سعد عن مالك بن إسماعيل . . . أنه كان يشتري دساء الخز بخمسين ديناراً فيشتو فيه ثم يبيعه ويتصدق بثمنه ، ويصيف بثوبين من ثياب مصر أشمونيين بدينار ويلبس ما بين ذا وذا من اللبوس ، ويقول : ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وكان يدهن أو يتطيب بعد الغسل إذا أراد أن يحرم وكان يعتمُّ بعمامة بيضاء ويرخي عمامته خلف ظهره . وكان رحمه الله :

وقورا طلق الوجه فيه من ميراث النبوة وأبهة آل البيت ما يجعله موضع الهيبة والمحبة والإجلال ، إذا ضحك كان جل ضحكه التبسم وكان يرى الضحك مذهباً للوقار ، منقصاً للعلم روى ابن سعد عن أحمد بن جعفر. . عن فضيل

بن غزوان قال: قال علي بن الحسين: من ضحك ضحكة مجّ مجّة من العلم.

ومن تواضعه أنه أعتق مولاة له وتزوجها، وزوج ابنة من مولاه، فكتب اليه عبد الملك بن مروان يلومه بذلك فكتب إليه علي: ﴿قَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقد اعتق رسول الله ﷺ صفية بنت حيي وتزوجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش.

وهـذا دليل فقهه مع تواضعه، ومن تواضعه كذلك أنه كان يجالس أسلم مولى عمر، فقال رجل من قريش: تترك قريشاً وتجالس عبد بني عدي؟ فقال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع، ومن هذا القبيل ما رواه ابن سعد بسنده عن سليمـان بن عبد الله بن زرارة عن زيد بن حازم قال: رأيت علي بن حسين وسليمـان بن يسـار يجلسـان بين القبر والمنبر يتحدثان إلى ارتفاع الضحى ويتذاكران، فإذا أرادا أن يقوما قرأ عليهم عبد الله بن أبي سلمة سورة فإذا فرغ دعوا.

علاقتـه بالخلفاء والأمـراء

قضى علي بن الحسين حياته في العلم والعبادة والزهد والبعد عن كل ما يثير عليه حفيظة الأمراء والخلفاء، بعد أن رأى من أهوال يوم كربلاء مالايكاد يتصـور وقـوعـه بأبيه ابن بنت رسـول الله ﷺ ومن كان معـه من آل البيت الطاهرين، والأبطال الغر الميامين، وأظهر خلال حياته المباركة، من الرضى والتسليم بقضـاء الله وقـدره ما يشهد له بعمق الإيمان وصفاء العقيدة وسمو الخلق والترفع عن إثارة الضغائن وإظهار الغل وإثارة الشحناء رغم أن في قلبهجراحاً عميقة، وأحزاناً دفينه، وقد عاش أصعب الأوقات خلال الفتنة التي اجتاحت المدينة حين ثارت على سلطان يزيد وما أعقبها من حصار المدينة والقتال فيها وسفك الدماء فلم يشارك علي بن الحسين، ولا محمد بن الحنفية عمه، ولا أحد من بني هاشم، بل إن زين العابدين حمى مروان بن الحكم وحريمه وثقله. روى الطبري عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله

عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علي بن الحسين فقال: أفعل ، فبعث بحرمه الى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع وفي رواية: إلى الطائف ولما أُتي بزين العابدين إلى مسلم بن عقبة أمير الجيش الذي أخمد ثورة المدينة بكل قسوة وظلم قال: مرحباً وأهلاً ، ثم أجلسه معه على السرير. . . ثم قال له: إن أمير المؤمنين أوصاني بك، ثم أمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها، ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على ما شرط لأهل المدينة (١)

وفي الطبقات الكبرى عن محمد الباقر بن علي بن الحسين أنه سئل عن يوم الحرة هل خرج فيها أحد من أهل بيتك فقال: ما خرج فيها أحد. . لزموا بيوتهم فلما قدم مسرف وقتل الناس سأل عن علي بن الحسين فقال مالي لا أراه ، فبلغ أبي ذلك فجاءه ومعه عبد الله والحسن ابنا علي بن الحنفية، فلما رأى أبي رحب به وقال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك خيرا ، قال أبي: وصل الله أمير المؤمنين، ثم رحب بابنَي علي وانصرفوا من عنده وجاء مروان بن الحكم بعد معاويه بن يزيد فكانت علاقة زين العابدين به علاقة ود، وعرض مروان على زين العبدين أن يتزوج ليكثر نسله فاعتذر بقلة المال، فأقرضه مروان مئة ألف فتزوج، ثم أوصى مروان أبناءه أن لايأخذوا منه شيئاً. . .

وفي خلافة عبد الملك بن مروان ـ وكان عابدا زاهدا فقيهاً ـ أكرم زين العابدين وأوصى ببنى هاشم فشكره على ذلك، وأرسل عبد الملك إليه بوقر راحلة دراهم وكسوة وسأله أن لايخليه من صالح دعائه (٢) .

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك عزل الوليدُ عن المدينة هشامَ بنَ إسماعيل وعين عمرَ بن عبد العزيز أميراً عليها، وأمره أن يوقف هشاماً للناس فخاف هشام أن يذكر زين العابدين شيئاً من إساءاته، وأمر زين العبدين خاصته أن لايتعرضوا لهشام بسوء، ومر علي زين العابدين بهشام وقد وقف للناس ولم يعرض له فقال هشام: الله يعلم حيث يجعل رسالته.

---

(١) تاريخ الطبري ح٥/٤٩٣

(٢) ابن حجر التيمي في الصواعق المحرقه ص/ ٣٠٣ وتاريخ اليعقوبي ٣/ ٤٧

مــن أقــواله :

لعلي بن الحسين رضي الله عنهما أقوال مأثورة تدل على وفور عقله وصدق تقواه، روى الحافظ ابن عساكر عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه فيقول: يانفس حتام الى الدنيا سكونك وإلى عمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من ألآفك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى الثرى من أقرانك، فهم في بطون الأرض بعد ظهورها، محاسنهم فيها بوالٍ دواثر. .
كم خرمت أيدي المنـون من قرون بعد قرون، وكم غيرت الأرض ببلائها، وغيبت في ترابها ممن عاشرت من صنوف، وشيعتهم إلى الأرماس.

كم غرت الدنيا من مُخّلِدٍ إليها، وصرعت من مكب عليها، فلم تنعشه من عثرته، ولم تنقذه من صرمته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه، ولم تخلصه من وصمه (١).

ومن أقواله المشهورة: يابني لاتصحب فاسقا فإنه يبيعك بأكلة وأقل منها لاينالها، ولابخيلا فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، ولا كذابا فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله، قال تعالى: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وقال: إن الله يحب المذنب التواب، وقال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره.

وقال: سادة الناس الأسخياء الأتقياء، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الأتقياء لأن العلماء ورثة الأنبياء.

وقال: أربع من كن فيه كمل إيمانه، ومُحِّصَتْ عنهُ ذنوبه، ولقي ربه عز وجل وهو عنه راض، من وفى لله بما جعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع

(١) ابن كثير البداية والنهاية.

الناس، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله.
ومن أقواله: أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة. إياك وما تعتذر منه.
لاتعاد أحداً وإن ظننت أنه لايضرك.
لاتزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لاينفعك فإنك لاتدري متى ترجو صديقك، الحسود لاينال شرفا، والحقود يموت كمدا.
بئس الأخ يرعاك غنيا، ويقطعك فقيرا.
الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين.

وفـاته:

توفي علي بن الحسين رضي الله عنهما في العشر الثاني من شهر المحرم سنة أربع وتسعين في المدينة المنورة عن عمر يناهز الثامنة والخمسين، وما إن تسامع الناس بوفاته حتىٰ ملأ النبأ أرجاء المدينة المنورة، فامتلأت القلوب حزناً عليه، وانطلقت الألسنة ثناءً وترحماً ورثاءً له، وأقشع الناس إليه وأهل المسجد ليشهدوه، وكان رضي الله عنه قد أوصىٰ أن لا يؤذنوا به أحداً، وأن يسرع به المشي، وأن يكفن في قطن، وأن لا يجعل في حنوطه مسك، وقد صلّىٰ عليه خلق كثير وشيعوه إلىٰ بقيع الغرقد، وحفر له قبر بجانب قبر عمه الحسن، وابن عمه عبدالله بن عباس، ونزل ابنه محمد الباقر إلىٰ قبره فواراه في مقره الأخير، وواریٰ معه العلم والبر والتقویٰ علیه رحمة الله والرضوان.
وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد خلف من بعده أربعة عشر ولداً منهم عشرة من الذكور، ومن هذا النسل الطاهر امتد نسل الحسين الشهيد رضي الله عنه إلىٰ آخر الدهر، وتناثر هذا النسل في بقاع الأرض قاصيها ودانيها كما تتناثر الشهب.

حفظ الله هذا النسل طاهراً مباركاً مبرءاً من الأدناس الحسية والمعنوية، وبارك فيه، على طريق جده المصطفى ﷺ، وجدته فاطمة البتول وأجداده الكرام علي بن أبي طالب والحسين السبط الشهيد وزين العابدين بن الحسين إنه حميد مجيد.

هذا هو إذن علي بن الحسين زين العابدين، والذي تحدثنا عنه باختصار في هذه العجالة، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء، فقد كان قدوة حسنة ومثلاً يحتذى، فيه من أخلاق جده وأبيه الشيء الكثير، وقد أكرمه الله سبحانه وتعالىٰ بأخلاق كريمة، وصفات عظيمة، جعلته يحفظ ميراث النبوة ليس نسباً فحسب وإنما علماً وخُلقاً وفضلاً ومثلاً يحتذىٰ.

وإني أسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا في الطبعات القادمة أن نلقي مزيداً من الضوء علىٰ سيرة هذه الصفوة المباركة من آل بيت رسول الله ﷺ والذين ماكان لنا أن ندعي القدرة على إيفائهم حقوقهم، ولكنه جهد المقل وقدرة العاجز عن الإحاطة بكل هذا الفضل وتتبع هذه الدوحة الشريفة المباركة، وفوق كل ذي علم عليم.

زينب بنت رسول الله ﷺ(*)

ولدت خديجة ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ من البنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ومن البنين القاسم وعبد الله ويسمى الطيب ويقال له الطاهر أيضاً ويقال: بل هو ولد آخر.

ومات البنون صغاراً..

وتزوجت البنات جميعاً..

فتزوجت السيدة زينب بابن خالتها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

وأمه هالة بنت خويلد شقيقة السيدة خديجة. وقد ولدت له علي بن أبي العاص، وأمامة بنت أبي العاص، أما علي فقد مات في سن المراهقة، وأما أمامة فقد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بزمن، ومن بعده تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وليس لها عقب[1].

(*) راجع سيرتها في:

نسب قريش (٢٢ ر ١٥٧، ١٥٨، ٢١٩، ٢٣١)، طبقات ابن سعد (٨/٣٠)، أسد الغابة (٧/١٣٠) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٤)، العبر (١/١٠)، التاريخ الصغير (١/٧ ـ ٨، ١٧) مجمع الزوائد (٩/٢١٢ ـ ٢١٦)، العقد الثمين (٨/٢٢٢)، المستدرك (٤/٤٢ ـ ٤٦) الاستيعاب (٤/٣١٢)، الإصابة (٤/٣١١).

(١) «المعرفة والتاريخ» ليعقوب بن سفيان (٣/٢٦٩ ـ ٢٧٠) «دلائل النبوة» للبيهقي =

وقد خرج أبو العاص مع قريش في بدر، وكان ممن أسر، فأرسلت السيدة زينب في فدائه عقداً لها أهدته إليها أمها السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ في يوم عرسها، فلما رآه النبي ﷺ تذكر السيدة خديجة ورق رقة شديدة وقال لأصحابه من حوله: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا» واستجابوا جميعاً وأطلق سراح أبي العاص، وشرط عليه النبي ﷺ أن يرسل زوجته السيدة زينب إلى أبيها في المدينة وقد فعل[1]. إلا أن قريشاً تعرضت لها عند خروجها من مكة، يقود بها بعيرَها كنانةُ بنُ الربيع أخو زوجها، وكان أشدهم وقاحة: هبار بن الأسود، ونافع بن عبد قيس، فنحس هبار البعير وروع زينب بالرمح فسقطت من هودجها وكانت حاملاً فأجهضت، وتصدى كنانة لهبار ونثر سهامه بين يديه متحدياً، فناداه أبو سفيان أن يكف سهامه حتى يكلمه، ثم دنا منه، وحاوره قائلاً، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محن، فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا، وأن ذلك ضعف منا ووهن، وأشار عليه أن يرجع بها حتى إذا سكن الناس خرج بها سراً. ورأى كنانة زوجة أخيه تنزف دماؤها وقد ألقت جنينها فرجع بها وبقيت عند أبي العاص أياماً ثم رحلت إلى المدينة[2].

أقامت بالمدينة حتى كان شهر جمادى من العام السادس للهجرة،

= (٢٨٢/٧)، ابن إسحاق في «السير» (ص ٢٤٥) «مجمع الزوائد» (٢١٢/٩)، أسد الغابة (١٣٠/٧).

(١) أخرجه: أحمد في المسند (٢٧٦/٦) وأبو داود رقم (٢٦٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٥٤/٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٦/٣) و(٤٤/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وابن سعد في «الطبقات» من طريق الواقدي.

(٢) أخرج حديث خروجها من مكة: «الطبراني» (٤٣١/٢٢) والحاكم في «المستدرك» (٤٣/٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٤/١ ـ ٤٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٥٥/٣)، وابن هشام (٢٩٧/٢) والطبري (٤٦٩/٢ ـ ٤٧١) والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٦٦٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٣/٩) رواه الطبراني في «الكبير» والأوسط بعضه، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

ولقيت خيل المسلمين عيراً لقريش يسعى بها أبو العاص فأغاروا عليه، وغنموا منه لكنه أعجزهم هرباً، وانتظر حتى حل الظلام فسعى إلى بيت زينب واستجار بها، فخرجت والمسلمون في صلاة الفجر خلف أبيها - ﷺ - وصاحت تسمعهم أجمعين: «أيها الناس إني أجرت أبا العاص ابن الربيع».

فلما انصرف الرسول ﷺ من صلاته التفت إلى أصحابه وقال لهم: «أيها الناس هل سمعتم ما سمعت»، فقالوا نعم يا رسول الله. فقال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعتم ما سمعت، وأنه يجير على المسلمين أدناهم وقد أجرنا من أجارت».

ثم دخل على ابنته وعندها أبو العاص فقال لها: «أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له».

وحين تجمّع المسلمون في المسجد ضحى ذلك اليوم، استدعى الرسول أبا العاص ثم خاطب المسلمين من حوله فقال: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به» فردوا عليه كل ما أخذوه حتى الحبل والسقاء.

وعاد أبو العاص بقافلته موفوراً حتى أدى لقريش حقوقها - ثم سألهم: «يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال» فأجابوا: «لا». فقال لهم: «فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت»[1].

(١) الحديث رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/٢٣٦ - ٢٣٧) عن عائشة و(٤/٤٥) عن أنس وأم سلمة، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢١٣) عن أم سلمة ثم قال «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات». وهو في «سيرة ابن هشام» (٢/٣٠٣) والطبري (٢/٤٧٠ - ٤٧١).

وخرج مهاجراً، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجته زينب بنكاحها الأول الصحيح. فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: رد النبي ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع ولم يحدث شيئاً[1].

وتوفيت زينب في العام الثامن من الهجرة، فصلى عليها النبي ﷺ وبقيت من بعدها ابنتها أمامة يدللها النبي ﷺ، ويرى فيها أمها الراحلة.

تحكي السيدة عائشة أن الرسول ﷺ أهديت إليه قلادة من جزع فقال لأرفعنها إلى أحد أهلي فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبي قحافة، لكن رسول الله ﷺ دعا أمامة بنت زينب فأعلقها في عنقها[2].

وكان يحملها على عاتقه ﷺ وهو يصلي فإذا سجد وضعها حتى يقضي صلاته ثم يعود فيحملها[3].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٢٤٠) في (الطلاق) باب (إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم). والترمذي رقم (١١٤٣) في (النكاح) باب (ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما) (٤٤٨/٣). وابن ماجة رقم (٢٠٠٩) في (النكاح) باب (الزوجان يسلم أحدهما قبل الآخر). والبيهقي (١٨٧/٧) والحاكم (٢٠٠/٢، ٢٣٧/٣، ٢٣٨، ٤٦/٤) وابن سعد (٣٣/٨) وابن حزم في المحلى (٣١٥/٧) وقال الترمذي «هذا حديث ليس بإسناده بأس».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٠/٨)، وأحمد في «المسند»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير» ـ مجمع الزوائد (٢٥٥/٩).. قال الشوكاني في «در السحابة»: أخرجه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن.

(٣) البخاري في «سترة المصلي» باب (إذا حمل جارية صغيرة على عنقه) وفي (الأدب) باب (رحمة الولد وتقبيله). ومسلم رقم (٥٤٣) في (المساجد) باب (جواز حمل الصبيان) ومالك في (قصر الصلاة) باب (جامع الصلاة) (١٧٠/١). وأبو داود رقم (٩١٧ـ ٩٢٠) في (الصلاة) باب (العمل في الصلاة) والنسائي في (المساجد) وفي (السهو) (٤٥/٢، ١٠/٣).

رقية المهاجرة الصابرة(*)

أما رقية وأم كلثوم فخطبتا أو قيل تزوجتا عتبة وأخاه عتيبة ولدي أبي لهب، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وهي المسماة في القرآن حمّالة الحطب.

وسواء كانت خطبة أو زواجاً، فقد انفصمت تلك العلاقة، حين أوحى الله إلى أبيهما النبي الكريم ﷺ وتولى كبر المعارضة للرسالة والرسول أحماء رقية وأم كلثوم، أبو لهب وزوجته «أم جميل»، وأمرا ولديهما أن يفارقا بنتي النبي إغاظة له وحتى يشغلاه بأهله وبيته عن الدعوة ومهامها. في حين أبى زوج زينب أبو العاص أن يفارق زوجته، وقال: وايم الله لا أفارق صاحبتي، وما يسرني أن لي بامرأتي أفضل امرأة من قريش»(1).

ولقد كان عتيبة اسوأ الفتيين، فدعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فكان أبوه وقومه يحرسونه في حله وسفره، خشية تحقق دعوة النبي ﷺ، وفي سفره مرة نام أصحابه في شكل دائرة، وجعلوه في وسطها حتى لا يصل إليه ما يؤذيه، فأرسل الله أسداً تخطاهم من حوله

(*) راجع سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/٣٦، ٣٧)، أسد الغابة، شذرات الذهب (١/٩، ٧٥)، المستدرك (٤/٤٦ - ٤٨) الإصابة (٤/٣٠٤) الاستيعاب (٤/٢٩٩) سير أعلام النبلاء (٢/٢٥٠).

(١) الخبر رواه الطبراني (٢/٤٢٦ - ٤٢٧)، وابن هشام (٢/٢٩٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» عن ابن إسحاق وقال: «رواه الطبراني وإسناده منقطع. وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/٢٢٩).

حتى وصل إليه من بينهم فشدخ رأسه وافترسه من دونهم[1].

أما أخوه عتبة فأسلم يوم الفتح، وأما أبواهما أبو لهب، وأم جميل، فقد كانا من أشد الناس كيداً وحقداً وأذى لرسول الله ﷺ، ولذلك نزل فيهما: ﴿ تبّت يدا أبي لهب وتب. ما أغني عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾.

ولم يلبث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن تزوج رقية. فكانا أبهى وأجمل عروسين جمعا إلى شرف الإيمان وبهاء الطلعة عز المحتد وكرم الأرومة.

وحين اشتد أذى قريش وتطاولها على المسلمين أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فكان أول من هاجر عثمان وزوجته رقية، وكان معهم من المهاجرين الاوائل من كان.

وحملت في غربتها، وأجهضت، وولد لها عبد الله، وعادت مع من عاد حين سمعوا أن قريشاً آمنت، ولكنهم وجدوا أن قريشاً سائرة في غيها تعذب المسلمين، وتطاردهم فصبروا إلى الليل حتى دخلوا في جوار بعض سادات قريش، مثل أبي طالب، والوليد بن المغيرة.

ثم جاءت الهجرة إلى المدينة، فهاجرت السيدة رقية مع زوجها عثمان بن عفان إلى المدينة وقد توفي ولدها في عامه السادس بنقر ديك.

ومرضت هي ـ قيل بالحصبة ـ في وقت غزوة بدر، وتخلف لهذا عثمان رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ يمرضها، وماتت مع مقدم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ بشيراً بنصر المسلمين في بدر وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها. ودفنت بالبقيع.

رضي الله عن السيدة رقية ذات الهجرتين[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٣٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٦٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٣٨) وراجع كلام ابن حجر في «الكافي الشافي تخريج أحاديث الكشاف (١٦٠) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٨ ـ ١٩).

(٢) الحاكم في المستدرك (٤/٤٧ ـ ٤٨)، طبقات ابن سعد (٨/٣٦) المعرفة والتاريخ ليعقوب ابن سفيان (٣/١٥٩، ٢٦٩) مجمع الزوائد (٩/٢١٧) الإصابة لابن حجر (٤/٣٠٤).

أم كلثوم(*)

عرفنا من قبل ما كان من شأن أم كلثوم وطلاق عتبة بن أبي لهب لها، وقد بقيت في بيت أبيها تشاركه وأمها الكريمة ما يلقى من عنت قريش، وقد رأت أختها تهاجر مع عثمان إلى الحبشة، وشهدت وفاة أمها المبرورة بعد انقضاء سنوات الشعب، ثم شهدت الهجرة إلى المدينة، وأقامت هناك مع أبيها، فلما توفيت رقية أختها زوج عثمان، وحزن لفراقها، ورفض الزواج من حفصة بنت عمر حين عرضها عليه عمر رضي الله عنه، فذهب عمر يشكوه إلى رسول الله ﷺ، فقال له الرسول الكريم ﷺ: «يزوجه الله خيراً منها، ويزوجها الله خيراً منه» وقد كان[1].

فقد زوج النبي ﷺ عثمان ابنته العزيزة أم كلثوم وتزوج ﷺ حفصة بنت عمر، وكان ذلك في شهر ربيع من العام الثالث للهجرة[2] وعاشت مع عثمان في عيش رجل مجاهد ولكنه سخي هنيء، وظلت معه ست سنوات حيث توفيت في العام التاسع من الهجرة في شهر شعبان وليس لها ولد[3].

(*) راجع سيرتها في: أسد الغابة (٣٨٤/٧) العبر (١/٥، ١٠)، طبقات ابن سعد (٣٧/٨ ـ ٣٩) الاستيعاب (٤٨٦/٤) الإصابة (٤٨٩/٤) شذرات الذهب (١/١٠، ١٣، ١٦، ١٧) تاريخ خليفة (٦٦) المستدرك (٤٨/٤ ـ ٤٩) مجمع الزوائد (٢١٦/٩).

(١) البخاري رقم (٥١٢٢) في (النكاح) باب (عرض الإنسان بنته أو أخته على أهل الخير) فتح الباري (١٧٥/٩).

(٢) ابن سعد في الطبقات (٣٨/٨) المستدرك (٤٩/٤) مجمع الزوائد (٢١٧/٩).

(٣) الحاكم في المستدرك (٤٨/٤) ابن سعد (٣٨/٨).

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

إبراهيم بن أبي القاسم سيدنا محمد ﷺ أمه مارية القبطية، فكل أولاده ﷺ من خديجة -رضي الله عنها- إلا إبراهيم فمن مارية -رضي الله عنها-.

ولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله ﷺ امرأة أبي رافع. فبشر به أبو رافع النبي ﷺ فوهب له عبداً[1].

ولما بلغ سابعه عقّ عنه النبي - ﷺ - وحلق شعره وتصدق بزنته فضة على المساكين، وأخذوا شعره ودفنوه في الأرض، وسماه[2].

عن أنس رضي الله عنه -عن النبي ﷺ قال: «ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»[3].

وتنافس الأنصار فيمن يرضعه، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ﷺ

---

(١) انظر: تهذيب الاسماء واللغات (١٠٢/١) شرح السنّة للبغوي (١١٤/١٤) دلائل النبوة (٤٢٩/٥).

(٢) الاستيعاب (٤٢/١).

(٣) مسلم رقم (٢٣١٥) في (الفضائل) (١٨٠٧/٤) وأبو داود رقم (٣١٢٦) وأحمد في المسند (١٩٤/٣).

لما يعلمون من هواه فيها[1] ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم سيف امرأة قين[2] يقال له أبو سيف[3].

الأحاديث الواردة في فضله:

روى البخاري عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أنه لما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة»[4].

وفي البخاري أيضاً عن عبد الله بن أبي أوفى قال: مات ـ يعني إبراهيم ـ صغيراً ولو قُضي أن يكون بعد محمدٍ ﷺ نبيٌّ عاشَ ابنُه ولكنْ لا نبيَّ بعدَه[5].

وأخرج مسلم وأحمد عن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»[6].

وفاته رضي الله عنه:

توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر، وله نحو سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً[7].

قال أنس رضي الله عنه في حديثه في موت إبراهيم: «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم ـ أي زوج

---

(١) الاستيعاب (١/٤٢)، تهذيب الاسماء واللغات (١/١٠٢).

(٢) القين: الحداد.

(٣) انظر المراجع السابقة.

(٤) البخاري رقم (١٣٨٢، ٣٢٥٥، ٦١٩٥) في الجنائز وفي بدء الخلق وفي (الأدب)، فتح الباري (٣/٢٤٤، ٦/٣٢٠، ١٠/٥٧٧).

(٥) البخاري رقم (٦١٩٤) في (الأدب) باب (من سمي باسماء الانبياء) فتح الباري (١٠/٥٧٧).

(٦) مسلم رقم (٢٣١٦) في الفضائل (٤/١٨٠٨) وأحمد في المسند (٣/١١١٢).

(٧) شرح السنة للبغوي (١٤/١١٤)، دلائل النبوة (٥/٤٢٩).

مرضعته، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبّله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟.. فقال ﷺ: «يا بني إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى، فقال: «إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وصلى عليه النبي ﷺ ودفن بالبقيع - رضي الله عنه وأرضاه[2].

وهكذا نرى أن أولاد النبي ﷺ قد ماتوا جميعاً في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها فإنها كانت أول من لحق به، وقد ماتت بعده بستة أشهر، ولم يمتد نسل النبي ﷺ إلا من أولادها (الحسن والحسين).

أما زينب ابنته رضي الله عنها فإنها ولدت أمامة بنت أبي العاص، وقد تزوج علي رضي الله عنه أمامة بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها فلم تلد له، ثم تزوجها المغيرة بن نوفل فلم تلد له.

وولدت له رقية رضي الله عنها لعثمان ابنه عبد الله فمات في السادسة من عمره.

أما أم كلثوم - رضي الله عنها فإنها لم تلد لعثمان أحداً. وقد كان ذلك لحكمة أرادها الله عز وجل أشار إلى بعضها قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيء عليماً﴾[3] اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على سيدنا إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

---

(1) البخاري حديث رقم (١٣٠٣) في الجنائز باب (قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون) مسلم رقم (٢٣١٥) في (الفضائل) باب (رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه في ذلك) (١٨٠٧/٤ - ١٨٠٨).

(2) دلائل النبوة للبيهقي (٤٣١/٥).

(3) الأحزاب، ٤٠.

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
زوجات النبي - ﷺ -

خديجة الكاملة

أول نسائه وأفضلهن وإحدى كوامل النساء الأربع في العالمين، وقد سبق الحديث عنها بتفصيل، لأنها أصل فروع الدوحة النبوية المطهرة والوحيدة التي لم يتزوج عليها، والوحيدة التي لم تغضبه أبداً، والتي كان له منها الولد من بين الزوجات، إلا ابنه ﷺ إبراهيم عليه السلام، فإنه من مارية كما هو معروف، وإن كانت من مولياته، وكانت مارية إحدى هدايا المقوقس ملك مصر إلى النبي ﷺ.

نعم إنها خديجة التي سبقت نساء عصرها إلى الإسلام، والتي حملت معه أعباء المرحلة الأولى وشدائدها، والتي دخلت حصار الشعب زوجاً للرسول ﷺ، والتي تنزل جبريل يقرئها من ربها السلام، والوحيدة من نسائه التي بشرها الله تعالى ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، والوحيدة من زوجاته التي دفنت بمكة، وقد آزرته ونصرته وواسته بنفسها وحسبها ومالها رضي الله عنها.

سودة بنت زمعة رضي الله عنها(*)

لما توفيت خديجة رضي الله عنها، وكان عام الحزن، أشفق من حول الرسول ﷺ عليه من الوحدة والحزن على فراق الحبيبة وأم العيال.

ورأت خولة بنت حكيم حال رسول الله ﷺ وما نزل به، ودفعها إشفاقها عليه أن تفاتحه في هذاالأمر الذي تعرف أنه ينكأ جرحه، ويجدد حزنه، وإن لم يكن قد سلا، فقالت له:

«يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة»؟

فأجابها في أسى: «أجل، كانت أم العيال، وربة البيت»

فسألته لماذا لا تتزوج؟ وعجب متسائلاً من تلك التي يتزوجها بعد خديجة، فأسرعت خولة تقول له: بكر وثيب أما البكر فعائشة بنت أحب الناس إليك، فقال لها: لكنها صغيرة. فأجابته خولة: تخطبها ثم تنتظر بها حتى تنضج. وأما الثيب فهي سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس العامرية القرشية[1]، وأمها من خئولة جده عبد المطلب فهي الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر النجارية.

(*) انظر سيرتها في: «أسد الغابة» (١٥٧/٧)، «الاستيعاب» (٣٢٣/٤)، «الإصابة» (٣٣٨/٤) «طبقات ابن سعد» (٥٢/٨ - ٥٨) «تاريخ الإسلام» (٦٦/٢) «جامع الأصول» (١٤٥/٩) «شذرات الذهب» (٣٤/١، ٦٠) «تهذيب التهذيب» (٤٢٦/١٢) «السمط الثمين» (١٠١) «مجمع الزوائد» (٢٤٦/٩ - ٢٤٨).

(١) سيأتي تمام الحديث قريباً مع تخريجه.

ووافق الرسول ﷺ على ما عرضته خولة، فقد ذَكَرَ لأبي بكر صدقه وبلاءه فأحب أن يقربه صهراً، وذكر لسودة سبقها إلى الإسلام، وهجرتها مع زوجها إلى الحبشة، وترملها بعد زوجها وابن عمها المهاجر المسلم (السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري)[2] وسواء صحّت رواية موته في الحبشة أو رواية موته بمكة بعد العودة من الحبشة فيمن عاد، فإنها أرملة مسنّة صابرة، لا تتوقع أن يتزوجها أحد بعد ترملها وهي في تلك السن، ومن لهذه الكسيرة الصابرة يأسو جرحها، ويؤنس وحدتها إلا النبي الكريم، لا يتزوج كسائر الناس فحسب، وإنما لوصل الوشائج وجبر الكسر، ورحمة الحزين.

وتمت الخطبة والزواج في يسر وقلة كلفة بسودة، التي أخذتها الفرحة حتى نسيت رزانة الكهولة، وكيف لا تفرح وتخف وقد أوشكت أن تصير زوجة لأكرم الناس وشريف قريش، ورسول الله ﷺ، إنها ستصبح زوجاً للنبي الذي تصلي وتسلم عليه في كل صلاة، محمد الذي تتقطع الأعناق دون التطلع إلى مكانته وشرفه عند الله وعند الناس، ﷺ.

وقد رضيها ﷺ زوجاً وأكرمها واحترمها، وانتقلت إلى بيته في مكة.

وكانت امرأة طيبة القلب ضخمة الجسم حتى أن رسول الله ﷺ كان يضاحكها إذا رآها تمشي على حالتها تلك.

ولقد أحست بعد أن جاءت عائشة وبقية الزوجات الكريمات ـ رضي الله عنهن جميعاً ـ إلى بيت النبي ﷺ أنهن أكثر شباباً وجمالاً وخفة حركة، ورأت رسول الله ﷺ مع ذلك يعدل في القسط بينهن، إلا أنها

---

(١) وهو أخو سهيل بن عمرو. راجع:
«أسد الغابة» (٢/٤١٢) «الاستيعاب» (٤/٣٢٣) الإصابة (٤/٣٣٨) «مجمع الزوائد» (٩/٢٤٦).

(٢) ابن سعد في الطبقات (٨/٥٤).

بحس المرأة المجرية تدرك أن هواه مع غيرها، فأشفقت أن يطلقها رسول الله ﷺ وفي بعض الروايات أنه كاد أن يطلقها - فقالت له: «أمسكني ووالله ما بي إلى الأزواج من حرص، ولكنني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك، وأهب ليلتي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، ووافقها رسول الله ﷺ أول الأمر، وجعل ليلتها لعائشة حتى يشعرها أنه قبل هبتها، ثم قسم لها ليلتها مثل بقية أزواجه بعد حين ليشعرها بأنه لا يجفوها ولا يهملها[1].

وقد حجّت مع الرسول حجة الوداع، وكانت مع أمثالها من الضعفاء سبباً في التيسير على الأمة في كثير من أعمال الحج كالتبكير بالنفرة من مزدلفة والرمي قبل الفجر والافاضة إلى مكة رضي الله عنها[2].

وظلت عنده ﷺ زوجاً بارة وأماً للمؤمنين - حتى توفي عنها ﷺ، وامتدت بها الحياة بعده حتى توفيت في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه[3].

رحم الله سودة، ما أبرها برسول الله ﷺ، وما أحرصها على قربه وحبه، وحب هواه، رضي الله عنها.

---

(١) البخاري رقم (٥٢١٢) في (النكاح) باب (المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها) من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة. «فتح الباري» (٣١٢/٩)، وأخرجه أيضاً في (الهبة) وزاد في آخره «تبتغي بذلك رضى رسول الله ﷺ». ومسلم رقم (١٤٦٣) في (الرضاع) باب (جواز هبتها نوبتها لضرتها) (١٠٨٥/٢)، وأبو داود رقم (٢١٣٥) في (النكاح) باب (في القسم بين النساء) (٦٠٠/٢)، والترمذي (٣٠٤٠) في التفسير (٢٣٢/٥).

(٢) البخاري رقم (١٦٨٠، ١٦٨١) في (الحج) باب (من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون..) فتح الباري (٥٢٦/٣). ومسلم رقم (١٢٩٠) في (الحج) باب (استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليالي قبل زحمة الناس، واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بالمزدلفة) (٩٣٩/٢) والنسائي (٢٦٢/٥) في (الحج) باب (الرخصة للنساء في الإفاضة من جمع قبل الصبح).

(٣) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٤٩/١) وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣٢٤/٤).

السيدة عائشة بنت الصديق (*)

هي السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

عرفنا أن التي خطبتها للنبي ﷺ (خولة بنت حكيم) بعد وفاة السيدة خديجةَ رضي الله عنها فقد دخلت على أم عائشة (أم رومان) فذكرت لها رغبة رسول الله ﷺ في خطبة عائشة فاستمهلتها حتى جاء زوجها أبو بكر فذكرت له خولة ما كان، فظن أبو بكر أن الأخوة التي بينه وبين رسول الله ﷺ تمنع من ذلك، فقال لها: «وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه»، فرجعت خولة إلى الرسول ﷺ فأخبرته بمقالة أبي بكر، فأجابها النبي - ﷺ -: «قولي له أنت أخي في الإسلام، وأنا أخوك وابنتك تصلح لي»[1].

فذهبت إلى أبي بكر فأبلغته ذلك، فطلب منها أن تنتظره حتى يعود وخرج لا تدري فيم خرج، ولكن أم رومان زوجته قالت لخولة: «إن

(*) راجع سيرتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/٥٨ - ٨١)، «تاريخ الفسوي» (٣/٢٦٨) «حلية الأولياء» (٢/٤٣) «جامع الأصول» (٩/١٣٢) «الاستيعاب» (٤/٣٥٦) «أسد الغابة» (٧/١٨٨) «الإصابة» (٤/٣٥٩) «البداية والنهاية» (٨/٩١، ٩٤) «تهذيب التهذيب» (١٢/٤٢٣ - ٤٣٦) «شذرات الذهب» (١/٩، ٦١ - ٦٣) «صفة الصفوة» (٢/١٥) «خلاصة تهذيب الكمال» (٤٩٣) «مسند أحمد» «مجمع الزوائد» (٩/٢٢٥ - ٢٤٤) «كنز العمال» (١٣/٦٩٣).

(١) أخرج البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٠٨١) في كتاب (النكاح) باب تزويج الصغار من الكبار. عن عروة: أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر فقال أبو بكر: «إنما أنا أخوك» فقال له ﷺ: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال» (فتح الباري) (٩/١٢٣).

المطعم بن عدي كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير، ولا والله ما وعد أبو بكر شيئاً قط فأخلف، وكان هذا سر خروجه في تلك الساعة، فذهب إلى مطعم وعنده زوجته أم جبير، وكانا مشركين ليتحلل من وعده، فسألهما عن بقاء رغبتهما في تزويج ولدهما من عائشة فأسرعت المرأة قائلة: «يا ابن أبي قحافة، لعلنا إن زوجنا ابننا ابنتك أن تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه؟. فلم يجبها أبو بكر، وإنما سأل زوجها المطعم بن عدي قائلاً: «ما تقول هذه؟» فأجاب المطعم: «إنها تقول ذلك الذي سمعت».

فأسرع أبو بكر فرحاً بتحلله من وعده لهما، ولما وصل إلى بيته قال لخولة: (اذهبي إلى رسول الله ﷺ وقولي له مرحباً وأهلاً).

فعادت خولة بالبشرى إلى رسول الله ﷺ فذهب إلى أبي بكر فعقد له عليها وهي يومئذ (في عمرها) بين ست أو سبع سنين[١].

ويروي الرواة ومنهم البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ رأى عائشة والملك يحملها في سرقة[٢] من حرير ويقول هذه امرأتك، فيقول رسول الله ﷺ: «إن كان من عند الله يمضه».

وفي رواية الترمذي: (إن جبريل جاء بصورتها في خرقة من حرير خضراء إلى النبي الكريم ﷺ فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)[٣].

---

(١) جزء من حديث طويل أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٢٥ ـ ٢٢٧) وقال في الصحيح طرف منه، وروى أحمد بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح. وأورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/٢٢٥) وقال «رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن». والأرجح أنها كانت في التاسعة أو أكثر قليلاً.

(٢) سرقة: بفتح السين والراء والقاف أي قطعة قماش من حرير، وأن صورة عائشة كانت فيها. «فتح الباري» (٧/٢٢٤)، «المصباح المنير» (١/٢٧٥).

(٣) البخاري رقم (٣٨٩٥، ٥٠٧٨، ٥١٢٥، ٧٠١١، ٧٠١٢) في (مناقب الأنصار) باب (تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها إلى المدينة وبنائه عليها) وفي (النكاح) باب (نكاح =

وأمها: أم رومان بنت عامر من بني مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»[1].

ويوم توفيت نزل الرسول ﷺ في قبرها واستغفر لها[2]. أما عائشة رضي الله عنها فهي تلك الصبية التي تفتحت مداركها على الإسلام في بيتها فقد كان أبو بكر أسرع الناس إلى الإسلام وكذلك زوجته أم رومان، فنشأت عائشة في بيئة مسلمة منذ ولادتها فقد ولدت بعد البعثة بما يقرب من خمس سنوات، وكانت لبيبة فصيحة، راوية للشعر، وكانت كشأن نساء عشيرتها بني تيم محببات إلى الأزواج.

وكانت أحداث الهجرة المباركة إلى المدينة، وبلغ الرسول ﷺ وأبو بكر مأمنهما في يثرب التي أصبحت بقدومه إليها منيرة، فسميت (المدينة المنورة) على منورها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وما إن استقر بالرسول ﷺ المقام في مهاجره حتى بعث مولاه زيد بن حارثة ومولاه الآخر أبا رافع ليحضرا بنات النبي ﷺ وأرسل معهما أبو بكر إلى ولده عبد الله ليصطحب زوجته أم رومان وابنتيه اسماء وعائشة ويحضروا جميعاً إلى المدينة، وكان الرسول ﷺ قد أسس مسجده وبنى بيوته حوله[3].

فلما وصل الركب بآل النبي ﷺ وآل أبي بكر رضي الله عنه، لم تمض شهور حتى تم الزفاف في يوم كانت عائشة فيه تلهو على أرجوحة

= الأبكار) وباب (النظر إلى المرأة قبل التزويج) وفي (التعبير) باب (كشف المرأة في المنام) وباب (ثياب الحريم في المنام)، «فتح الباري» (٧/٢٢١، ٩/١٢٠). ومسلم رقم (٢٤٣٨) في (فضائل الصحابة) باب (فضل عائشة ـ رضي الله عنها) و الترمذي) رقم (٣٨٨٠) في (المناقب) باب (فضل عائشة ـ رضي الله عنها) (٥/٦٦١).

(١)، (٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٤٤٩) «الإصابة» لابن حجر (٤/٤٥١) «طبقات ابن سعد» (٨/٢٠٢) «كنز العمال» (٣٤٤١٨).

(٣) راجع الطبقات لابن سعد (٨/٦٢).

مدت بين عذقين من النخل فجاءتها أمها وبعض نساء الأنصار وهن يقلن: «على الخير والبركة وعلى خير طائر»[1].

وبدأت عائشة حياة جديدة في كنف أكرم زوج وأحناه وأبره وأرحمه، فقد كان يلاطفها، ويلاعبها، ويأتيها ببنات من لداتها يلعبن معها وتصنع الدمى لتلعب بها وحين رآها مرة تلعب بدمية على هيئة حصان له أجنحة تساءل ضاحكاً: «وخيلاً مجنحة يا عائشة» فقالت في براءة: «أوَما سمعت عن خيل سليمان»[2].

وكانت عائشة في أول الأمر لا تحس ضيقاً بوجود زوجة أخرى سبقتها عند النبي ﷺ وهي السيدة سودة. ولكن لما جيء لها بضرائر أخريات، بدأت تحس أنهن جئن ليأخذن من حظها في هذا الزوج الحبيب نصيباً كان لها قبلهن. ولكن عائشة كانت تعرف مكانها في نفس الرسول الكريم ﷺ وقد ضمت إليها من زوجاته سودة وحفصة وصفية، في مواجهة أم سلمة وبقية الزوجات ـ فكن يناصرنها ويدعمن موقفها.

وقد حدثت قصة المغافير التي نسجت بين عائشة ونصيراتها حين رأته يتأخر في طوافه اليومي على بيوت نسائه إذ يلبث عند السيدة زينب بنت جحش أطول مما يجلس عند غيرها، فعلمت أنها تستبقيه لتسقيه عسلاً وكان يحب ذلك، فاتفقت مع صويحباتها إذا دنا الرسول ﷺ منهن أن يقلن

(١) البخاري رقم (٣٨٩٤) في (مناقب الأنصار) باب (تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها إلى المدينة وبنائه بها)، «فتح الباري» (٢٢٣/٧) مسلم رقم (١٢٤٢٢) في (النكاح) باب (تزويج الأب البكر الصغيرة) (١٠٣٨/٢) وابن ماجة رقم (١٨٧٦) في (النكاح) باب (نكاح الصغار يزوجهن الآباء) (٦٠٣/١). وأبو داود رقم (٤٩٣٣، ٤٩٣٥) في (الأدب) باب (الأرجوحة).

(٢) راجع ذلك في: البخاري رقم (٦١٣٠) في (الأدب) باب (الانبساط إلى الناس) «فتح الباري» (٥٢٦/١٠)، ومسلم رقم (٢٤٤٠) في (فضائل الصحابة) باب (في فضل عائشة ـ رضي الله عنها ـ) (١٨٩٠/٤)، وأبو داود (٤٩٣١، ٤٩٣٢) في (الأدب) باب (اللعب بالبنات) (٢٢٧/٥) والنسائي في (عشرة النساء) (٧٥/١) وابن سعد في الطبقات (٦٢/٨).

له أكلت مغافير[1] والمغافير ثمر كريه الرائحة، وكان النبي ﷺ يكره أن يوجد منه رائحة كريهة، فلما أخبرهن أنه إنما يشرب عسلاً، قلن له أو قال بعضهن: (لعل نحله جرس العرفط)، أي رعى زهر نبات المغافير، وهذا الزهر يسمى العرفط فحرم على نفسه ذلك العسل..

وكذلك يوم أن جاءت حفصة، فوجدت مارية مع النبي ﷺ في بيتها فغضبت حتى استرضاها بأن حرّم مارية على نفسه واستكتمها الأمر فأبلغته إلى عائشة، فأنبأ الله نبيه ﷺ بالأمر وفرض له تحلة يمينه كما في أول سورة التحريم، وزجرهن الله أن يفعلن ذلك على ما كان لهن من منزلة عند رسول الله ﷺ وهددهن بالطلاق وأن يبدله خيراً منهن ـ وهجرهن النبي ﷺ جميعاً شهراً، وأنزل الله في شأنهن هذا قوله سبحانه: ﴿ يا أيها النبي لِمَ تحرمُ ما أحلَّ اللهُ لك تبتغي مرضاةَ أزواجِكَ والله غفورٌ رحيم. قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم. وإذْ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عَرَّفَ بعضه وأعرض عن بعض، فلما نبأها به قالت: من أنبأك هذا قال: نبأني العليم الخبير: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما. وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير. عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثيباتٍ وأبكاراً﴾[2].

---

(١) انظر معنى «المغافير» و«العرفط» في النهاية في غريب الحديث «لابن الأثير» (٢١٨/٣، ٢٧٢).

(٢) تعدد الروايات في سبب نزول الآيات: هل كان النزول تحريم العسل كما جاء في رواية الصحيحين وغيرها: من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أو تحريم مارية، كما رواه النسائي بسند صحيح عن أنس والحاكم عنه وصححه ووافقه الذهبي والدارقطني عن ابن عباس وأخرج الطبري له شاهداً مرسلاً بسند صحيح عن زيد بن أسلم ـ التابعي الشهير.

(٣) سورة التحريم ١

=

وقد وعت عائشة وهي في بيت الرسول ﷺ من علم الدين وأدب الدنيا شيئاً كثيراً، وكانت فقيهة النساء في عصر الصحابة، ورغم تدللها وغيرتها كانت تلميذة نجيبة ومعلمة واعية، حققت أمر الله لها ولزوجات النبي ﷺ : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾[1] فكانت لبيبة أريبة سائلة ومسئولة، وقد حدث حادث الإفك عقب عودتها من غزوة بني المصطلق، وبرأها الله مما قالوا، فزادها ذلك شرفاً ومجداً[2].

ولما مرض رسول الله ﷺ استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذنَّ له فظل عندها حتى توفي بين سحرها ونحرها، ودفن في بيتها.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري[3]، وكانت إحدانا تعوذه بدعاء إذا مرض فذهبت أعوِّذُهُ فرفع رأسه إلى السماء

= فهذان سببان صحيحان لنزول الآيات، والجمع ممكن بوقوع القصتين، قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً، وفي كل واحد منهما أسر الحديث إلى بعض أزواجه إلى أن قال «هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه فاشدد عليه يديك لتنجو من الخلط والخبط».

البخاري رقم (٥٢٦٧) في (الطلاق) باب (لم تحرم ما أحل الله لك) فتح الباري (٣٧٥/٩) وفي (الأطعمة) باب (الحلواء والعسل) وفي (الأشربة) باب (شراب الحلواء والعسل) وفي (الرطب) باب (الدواء بالعسل) وفي (الحيل) باب (ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر) وفي (التفسير) (تفسير سورة التحريم).

ومسلم رقم (١٤٧٤) في (الطلاق) باب (وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق) (١١٠٠/٢). وأبو داود رقم (٣٧١٥) في (الأشربة) باب (شراب العسل)، والنسائي (١٥١/٦) والحاكم (٤٩٣/٢)، الدارقطني (٤١/٤)، الطبري (٩٠/٢٨).

(١) [سورة الأحزاب: ٣٤].

(٢) حديث الإفك أخرجه البخاري بطوله برقم (٢٦٦١) في الشهادات باب (تعديل النساء بعضهن بعضاً) وفي (المغازي) باب (حديث الإفك) وفي (تفسير سورة النور) باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات) وقد توسع الحافظ في شرحه لها «فتح الباري» (٢٦٩/٥) و «مسلم» رقم (٢٧٧٠) والترمذي (٣١٨٠) وعبد الرزاق (٩٧٤٨).

(٣) السَّحر في الأصل الرئة (النهاية لابن الأثير) (٣٤٦/٢) والنحر أعلى الصدر.

وقال: «في الرفيق الأعلى» ومر عبد الرحمٰن بن أبي بكر وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه النبي ﷺ فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها فدفعتها إليه فاستن بها كأحسن ما كان مستناً ثم ناولنيها فسقطت يده ـ أو سقطت من يده ـ فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة»[1].

وعاشت هي بعد النبي ﷺ لتكون مرجعاً في السنّة والفقيهة الأولى في الإسلام، قال الإمام الزهري لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[2].

وظل يسألها علماء الصحابة وكبار علماء التابعين وأمد الله في حياتها حتى توفيت عام سبعة وخمسين في شهر رمضان رضي الله عنها، وصلى عليها أبو هريرة إذ كان أمير المدينة ودفنت بالبقيع ليلاً»[3].

رحم الله أم المؤمنين عائشة، ورضي عنها وأرضاها، وأعلى في جنات الفردوس مأواها، وجمعنا بها في دار كرامته ومستقر رحمته، مع سيدنا رسول الله ﷺ، وسائر أنبياء الله ورسله، ومع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

اللهم آمين.

---

(١) البخاري ـ واللفظ له ـ رقم (٤٤٥١) في (المغازي) باب (مرض النبي ﷺ وموته)، «فتح الباري» (١٤٤/٨) ومسلم (١٢٥٧/٣، ١٨٩٣/٤) وأحمد (٤٨/٦، ٧٤، ٧٧، ١٢١، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٧٤) من طرق والحاكم (٧/٤) وابن سعد (٢٣٤/٢).

(٢) ذكره الهيثمي في «الزوائد» (٢٤٣/٩) ونسبه للطبراني وقال: «رجاله ثقات» وهو في «المستدرك» (١١/٤).

(٣) راجع «الطبقات» لابن سعد (٧٦/٨ ـ ٧٧)، «المستدرك» للحاكم (٦/٤) «السمط الثمين» (٨٢).

السيدة العابدة حفصة بنت عمر(*)

هي حفصة بنت عمرَ بنِ الخطاب بنِ نُفَيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن عبد الله بن قرط بن رباح بـن عدي بـن كعب بن لؤي بن غالب بـن فهر.

وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح[1].

تزوجت قبل الرسول خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي رضي الله عنه.

وقد استشهد متأثراً بجراحه في أحد[2].

ولما انقضت عدة حفصة ذهب أبوها عمر يعرضها على أبي بكر فسكت ولم يجب فانصرف عمر وفي نفسه من صمت أبي بكر شيء. فتوجه إلى عثمان بن عفان وكانت زوجته رقية بنت النبي ﷺ قد توفيت فعرض عمر عليه ابنته حفصة ولكن عثمان اعتذر قائلاً: «ما أريد أن أتزوج اليوم».

فوجد عمر في نفسه وانطلق إلى الرسول ﷺ يشكو إليه ما لقي من

(*) انظر سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/٨١-٨٦) الاستيعاب (٤/٢٦٨) أسد الغابة (٧/٦٥) الإصابة (٤/٢٧٣) تاريخ الإسلام (٢/٢٢٠) تهذيب التهذيب (١٢/٤١١-٤١٢) شذرات الذهب (١/١٠، ١٦) طبقات خليفة (٣٣٤)، مسند أحمد (٦/٢٨٣) المستدرك (٤/١٤-١٥) مجمع الزوائد (٩/٢٤٤) كنز العمال (١٣/٦٩٧).

(١) الاستيعاب (٤/٢٦٨)، الإصابة (٤/٢٧٣).

(٢) تاريخ الطبري (٣/١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

صمت أبي بكر ورفض عثمان ، رضي الله عنهم أجمعين، فواساه النبي ﷺ مبتسماً وقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»[1].

وزوج النبي الكريم ﷺ عثمان ابنته الأخرى أم كلثوم، وتزوج هو ﷺ حفصة، وحينما لقي عمر أبا بكر بعد ذلك اعتذر له أبو بكر قائلاً: «لا تجد علي يا عمر، فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها»[2].

وكانت حفصة تحس أنها ترب عائشة وكفء لها، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ»[3] ولما تزوج الرسول ﷺ باقي نسائه بعد زواجه بحفصة كانت حفصة في حزب عائشة ومعهما السيدة سودة والسيدة صفية بنت حيي، وبقية نسائه مع أم سلمة وزينب بنت جحش في حزب آخر.

وبسبب هذه الغيرة حدثت قصة مارية وقصة المغافير التي سبقت، أما قصة مارية فقد أتت إلى النبي ﷺ في بعض شأنها وكان في بيت حفصة، وكانت حفصة في خارج بيتها، فلما جاءت وجدت مارية مع النبي ﷺ في بيتها وقد أرخى الستر فانتظرت غضبى حتى خرجت مارية، فأخذت حفصة تعاتب النبي ﷺ باكية تقول له أفي بيتي؟ . . وفي نوبتي؟ . . وعلى فراشي؟ فترضاها النبي ﷺ وأسر إليها أنه قد حرم على نفسه مارية، ويقال إنه أخبرها بحديث عن خلافة أبيها بعد أبي بكر واستكتمها الأمر كله[4].

---

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه البخاري وانظر هذا الأدب من أبي بكر رضي الله عنه في حفظ سر رسول الله ﷺ الذي كان قد ذكر حفصة معرضاً بخطبتها وهي في عدتها.

والتعريض في خطبة النساء المتوفى عنهن أزواجهن هو أن يلمح الراغب عن رغبته للمرأة أو لوليها ، وأنه سيخطبها بعد انتهاء عدتها.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

(٤) سبق تخريجه

وكان حمل السيدة مارية من رسول الله ﷺ مثار غيرة زوجاته لأنهن لم يحملن مثلها وبخاصة عائشة وحفصة، فاستخف حفصة الفرح بتحريم النبي ﷺ لمارية، فأخبرت عائشة بما حدثها به النبي ﷺ، وأمرها أن تكتمه، وكان للوحي في ذلك مقال ذكرناه فيما ورد في سورة التحريم وقصة المغافير.

وقد ذكر بعض الرواة طلاق النبي لحفصة وأن عمر حين علم بكى وحثا على رأسه التراب وهو يقول: «ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها». وأن النبي ﷺ ارتجعها بعد أن قال له جبريل: «أرجعها فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة، فراجعها النبي ﷺ[1].

وينفي بعض العلماء خبر طلاقها، ولكن الثابت الصحيح أن النبي ﷺ قد هجر نساءه شهراً.

وقد توفي النبي ﷺ عن حفصة وبقية من ترك من نسائه، فأقامت حفصة بالمدينة عابدة قانتة إلى أن توفيت في عهد علي على الأرجح عام سبعة وثلاثين والله أعلم[2].

رحم الله حفصة، ما أكرمها وما أعظمها!! ورضي عنها وأرضاها، وأعلى في جنات الفردوس مأواها.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٢٨٣) وابن ماجه رقم (٢٠١٦) من حديث أن رسول الله - ﷺ - طلق حفصة ثم راجعها. في (الطلاق) باب (الرجعة) والنسائي (٦/٢١٣) وابن سعد في (الطبقات) (٨/٨٤) وأبو نعيم في (الحلية) (٢/٥٠) والحاكم في (المستدرك) (٤/١٥) والطبراني في (الكبير) كما في (مجمع الزوائد) (٩/٢٤٥) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/٨٦).

أم المساكين
السيدة زينب بنت خزيمة(*)

هي أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وأمها هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية، فهي بهذا أخت أم المؤمنين السيدة ميمونة لأمها[1].

تزوجها قبل الرسول ﷺ ابنا عمه الحارث بن عبد المطلب: أولاً: الطفيل بن الحارث، ولما طلقها تزوجها أخوه عبيدة بن الحارث[2].

وقيل في هذا أقوال أخرى منها أن عبد الله بن جحش كان زوجها قبل رسول الله ﷺ حتى استشهد في أحد[3].

ومن المعروف أن عبيدة بن الحارث زوجها على الرواية الأولى كان أحد المبارزين في بدر، وكان أول من أصيب يوم بدر، وأنهم حملوه جريحاً إلى النبي ﷺ فوضعوا رأسه على فخذ النبي، ومات عند عودتهم من بدر شهيداً، وقد تزوجها النبي الكريم ﷺ في شهر رمضان عام ثلاثة للهجرة

(*) راجع سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/١١٥ ـ ١١٦) الاستيعاب (٤/٣١٣) الإصابة (٤/٣١٥) أسد الغابة (٧/١٢٩) شذرات الذهب (١/١٠)، المستدرك (٤/٣٣ ـ ٣٤) مجمع الزوائد (٩/٢٤٨).

(١) الاستيعاب (٤/٣١٣)، الإصابة (٤/٣١٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨) الإصابة (٤/٣١٥، ٣١٦).

(٣) الاستيعاب (٤/٣١٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨).

فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في ربيع الآخر عام أربعة وعمرها حول الثلاثين [1].

كانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها ورعايتها لهم [2] وكانت إقامتها في بيت النبي ﷺ شهوراً معدودة مما جعل أخبارها المدونة عنها قليلة رضي الله عنها وأرضاها، وأعلى في جنات الفردوس مأواها، وجعلنا معها ومع نبينا محمد ﷺ ومع إخوانه النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) الإصابة (٤/٣١٦) الاستيعاب (٤/٣١٣).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٣٣) شذرات الذهب (١/١٠) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨).

عقيلة بني مخزوم
السيدة هند بنت أبي أمية (أم سلمة)
رضي الله عنها(*)

هي أم المؤمنين السيدة هند بنت أبي أمية (الملقب بزاد الراكب) ابن المغيرة بنِ عبد الله بن عمرَ بن مخزوم[1].

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة بن فراس الكنانية .

نشأت أم سلمة في مجد وسؤدد وغنى ورفاهية، فأبوها حذيفة بن المغيرة من الأجواد المعدودين ولهذا لقب بزاد الراكب فقد كان لا يحتاج المسافر معه إلى أن يستصحب معه زاداً اكتفاء ببر حذيفة[2].

وقد انتقلت من هذا البيت إلى بيت زوجها ونظيره في الغنى والمجد وابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

(*) راجع سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/٨٦ ـ ٩٦) الجرح والتعديل (٩/٤٦٤) السمط الثمين (٨٦) الاستيعاب (٤/٤٥٤) الإصابة (٤/٤٥١) أسد الغابة (٧/٣٤٠) العبر (١/٦٥) التاريخ لابن معين (٧٤٢) تاريخ الطبري (٣/١٧٧) عيون الأثر (٢/٨٦) شذرات الذهب (١/٦٩) مسند أحمد (٦/٢٨٨) المستدرك (٤/١٦ ـ ١٩) مجمع الزوائد (٩/٢٤٥) كنز العمال (١٣/٦٩٩).

(١)، (٢) راجع نسب قريش (٢١٦) السمط الثمين (٨٦) الاستيعاب (٤/٤٥٤) الإصابة (٤/٤٥٨).

(٢) الإصابة (٤/٤٥٨).

وأبو سلمة هو أخو النبي ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب[1] وهو أيضاً ابن عمة النبي ﷺ فأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، وقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة حين خرج في غزوة العشيرة، وقد أسلمت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة منذ أيام الدعوة الأولى، فهما من السابقين الأولين في الإسلام، فقد أسلم زوجها بعد عشرة فقط سبقوه إلى الإسلام وقد كانا من أول المهاجرين إلى الحبشة وهناك ولد لهما سلمة الذي يكنيان به[2].

وقد عادا بعد انتهاء حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب. وكانا كذلك من اوائل المهاجرين إلى المدينة.

وشهد أبو سلمة بدراً وأحداً، وفيها جرح، وتوفي بعد ذلك بسبب هذا الجرح فتأيمت زوجه أم سلمة الصابرة المهاجرة التي لقيت في هجرتها ما لم يلقه غيرها.

يحكي الرواة أنها لمّا خرجت مهاجرة مع زوجها إلى المدينة[3] يحملها وابنها سلمة على بعير يقوده بهما تعرض لهم بعض قومها من بني المغيرة وقالوا له: «هذه نفسك قد غلبتنا عليها، ارأيت صاحبتنا هذه، علام نتركها تسير بها في البلاد».

ونزعوا خطام البعير من يده، ومنعوها أن تهاجر معه، فلما رأى ذلك بنو عبد الأسد قوم أبي سلمة غضبوا ونازعوهم في سلمة وتجاذبوه معهم حتى أخذوه من أخواله وهم يقولون: «والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فما بلغوا ذلك إلا وقد خلعت يد الطفل سلمة من شدة ما جذبوه.

---

(١) نسب قريش (٣٣٧) جمهرة أنساب العرب (١٣٤).

(٢) الإصابة (٤/٤٥٨).

(٣) انظر قصة هجرتها إلى المدينة في: الاستيعاب (٤/٤٥٥) الإصابة (٤/٤٥٨) السمط الثمين (٨٧).

ومضى أبو سلمة مهاجراً وحده، تقول أم سلمة: «وفرق بيني وبين زوجي وابني فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وابنها وما زال بهم حتى قالوا الحقي بزوجك».

تقول فرحَّلْتُ بعيري، ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة فقال: «أين يا بنت أمية».. فقلت: «أريد زوجي بالمدينة»، فقال: «هل معك أحد؟» فقلت: «لا والله إلا الله وابني هذا»، فقال: «والله ما لك من مترك» وساق بها في أكرم صحبة رغم أنه كان لم يسلم بعد حتى أبلغها قباء، وكان يسكنها أبو سلمة.

وعاشت معه مجاهدة صابرة حتى رمي في عضده يوم أحد، ورقا دم الجرح بعد علاج، وأرسل النبي ﷺ أبا سلمة قائداً لسرية إلى (قطن) ليغير على بني أسد فظفر بهم وعاد منصوراً، لكن جرحه انتقض فمات، ودخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة بعد وفاته فأغمض عينيه، ودعا له، وصلى عليه وكانت وفاته في الثامن من جمادى الآخرة عام أربعة ـ رضي الله عنه ـ.

ونظر رسول الله ﷺ فوجد عقيلة قومها أم سلمة وزوج ابن عمته وأخيه من الرضاع أصبحت أرملة غريبة ومهاجرة وحيدة في بلد ليس لها فيها ولي حاضر، ولا عاصب كافل، ولها صغار أيتام، يحتاجون إلى من يقوم بشأنهم ويسهر عليهم، فترقب نهاية عدتها، وأرسل إليها يخطبها، ووجمت أم سلمة العروب فهي ما كانت تظن أن تنال شرف الزواج من رسول الله ﷺ، وما أسعدها أن تصبح أماً للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن حقه عليه الصلاة والسلام على المؤمنين والمؤمنات عظيم، وحقه على زوجاته أعظم، فهل تراها تطيق القيام بهذا الحق، وعندها مما تعرف من حالها ما يفسد على الزوج هناءه، فهل تنسيها الفرحة بشرف الزواج منه أن تكشف

عن تلك المنغصات حتى تعذر إلى الله ورسوله أنها لم تأل جهداً في الصدق والنصح.

لهذا أجابت من جاء يبلغها خطبة رسول الله ﷺ لها قائلة: «مرحباً برسول الله ﷺ» ثم قالت: «إن في خلالاً ثلاثاً».

١ ـ أنا امرأة شديدة الغيرة.
٢ ـ وأنا امرأة مصبية، أي ذات صبيان أرعاهم.
٣ ـ وأنا امرأة ليس لي هاهنا أحد من أوليائي فيزوجني.

وكان عمر قد خطبها قبل ذلك فرفضته، ولكنه غضب لرسول الله ﷺ أكثر مما غضب لنفسه، إذ ظنها أنها ترفض، وجاءها وهي من بنات أخواله فقال لها معنفاً: «أنت التي تردين رسول الله ﷺ بما تردينه، فقالت: «يا ابن الخطاب لي كذا وكذا وذكرت أعذارها».

فجاءها رسول الله ﷺ فقال: «أما ما ذكرت من غيرتك فإنني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله عز وجل سيكفيكهم، وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني»[١].

ورعى النبي أيتامها وأكرم مثواها، وأعز جانبها، حتى أنها بكت حين رأته في بيتها يضم إليه الزهراء ووليديها الحسن والحسين ويقول: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، فقالت وهي تبكي ومعها ابنتها زينب، خصصتهم وتركتني وابنتي، فقال لها إنك وابنتك من أهل البيت»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١٣/٦، ٣١٤، ٣١٧) والنسائي في كتاب النكاح (٨١/٦، ٨٢) وابن سعد في الطبقات (٩٠/٨) وابن حبان في صحيحه (١٢٨٢) وصححه، والحاكم في المستدرك (١٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حجر في الإصابة (٤٥٩/٤) وأخرجه النسائي بسند صحيح.

(٢) أحمد في المسند (٢٩٦/٦، ٣٠٤) وفي الفضائل (٩٨٦) والدولابي في «الذرية الطاهرة» =

وعاشت في كنف الرسول ﷺ قريرة العين، وكان من شرفها نزول الوحي بالتوبة على أبي لبابة في بيتها[1].

وكان من يمن رأيها وإصابته أنها أشارت على النبي ﷺ أن يخرج يوم الحديبية دون أن يكلم أحداً حتى ينحر بُدْنَهُ ويحلق شعره، وذلك حينما أمر الناس أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، وتحقق ظنها حين فعل الرسول ﷺ ما أشارت به[2]، فقد سارعوا جميعاً يحلق بعضهم لبعض حتى كاد يصيب بعضهم بعضاً[3].

وقد صحبت النبي في خيبر وفتح مكة وفي غزوة هوازن وفي حجة الوداع، ويوم قامت الفتنة في أيام خلافة الإمام علي قدمت إليه ولدها عمر وعاشت حتى عام اثنين وستين حين توفيت رضي الله عنها وعمرها أربع وثمانون سنة[4].

رحم الله أم سلمة، وأعلى منزلتها في فراديس الجنان، وجعلنا وإياها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

= رقم (٢٠٣) وراجع أيضاً: تفسير الطبري (٢٢/٧) والقرطبي (١٤/١٨٢) والسمط الثمين (٢٠).

(١) أخرج خبر أبي لبابة بطوله البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/١٦ ـ ١٧) وهو في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري (٣/٥٤) وترجمة أبي لبابة في «الاستيعاب» لابن عبد البر.

(٢) البخاري رقم (٢٧٣١) في (الشروط) باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب) وفي (المغازي) باب (غزوة الحديبية) فتح الباري (٥/٢٣٩، ٧/٤٥٣) وأبو داود رقم (٢٧٦٥، ٢٧٦٦) في الجهاد باب (الصلح مع العدو) (٣/١٩٤) وأحمد في المسند (٤/٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٢٣١).

(٣) أي: يجرح بعضهم بعضاً من السرعة.

(٤) الإصابة (٤/٤٦٠).

الحسيبة الكريمة أطولهن يداً
السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها(*)

هي أم المؤمنين وأكرم نساء النبي ﷺ ولياً، فقد كانت تقول له عنهن: «ليست امرأة منهن إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيري، زوجني الله من السماء»[1].

وهي السيدةُ زينبُ بنتُ جحشِ بنِ رئاب بنِ يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بـن أسد بن خزيمة، إحدى أمهات المؤمنين، وابنة عمة النبي ﷺ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي عليه الصلاة والسلام[2].

تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها مولاه ومتبناه زيد بن حارثة ليبطل بأمر الله قاعدة التبني الجاهلية التي كانت تحرم زوجة الابن بالتبني على أبيه الذي تبناه.

(*) انظر سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/١٠١، ١١٥) تاريخ الفسوي (٢/٧٢٢) أسد الغابة (٧/١٢٥) الاستيعاب (٤/٣١٣-٣١٧) الإصابة (٤/٣١٣) العبر (١/٥، ٢٤) السمط الثمين (١٠٧) عيون الأثر (٢/٣٠٤) المحبر (٨٥) تهذيب التهذيب (١٢/٤٢٠) شذرات الذهب (١/١٠، ٣١) خلاصة تهذيب الكمال (٤٩١) مسند أحمد (٦/٣٢٤) المستدرك (٤/٢٣ ـ ٢٥) مجمع الزوائد (٩/٢٤٦ ـ ٢٤٨) كنز العمال (١٣/٧٠٠).

(١) ذكره الحافظ ابن حجر بهذا اللفظ في «الإصابة» (٤/٣١٣) من طريق عبد الواحد بن أبي عون، واصله في الصحيح رواه البخاري في (التوحيد) باب (وكان عرشه على الماء) فتح الباري (١٣/٤٠٢) وهي ـ رضي الله عنها ـ تشير إلى قوله تعالى: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٢) راجع نسبها في: دلائل النبوة للبيهقي (٧/٢٨٥) (الاستيعاب) لابن عبد البر (٤/٣١٤).

ولزيد بن حارثة زوجها الأول قصة يحسن أن نشير إليها: «خرجت به أمه تزور أهله من طيء، فأخذه بعض المغيرين من بني القين بن جسر فباعوه وهو صبي، فاشتراه حكيم بن حزام وأخذته منه عمته خديجة، ثم وهبته لزوجها الأمين محمد بن عبد الله ﷺ وكان أبوه شاعراً ومن أشراف قومه بني كلب فخرج مع عمه يبحثان عنه حتى لقياه في مكة وعرفا أن سيده هو الأمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي ﷺ فانطلقا إليه وقالا له: يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله، تفكون العاني وتطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا فتحسن إلينا في فدائه، فقال لهم محمد بن عبد الله ﷺ: «أوَغير ذلك؟؟. . فقالا ما هو؟ فقال ادعوه وأخيره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا أختار على من اختارني أحداً، فوافقا على ذلك راضيين.

ودعي زيد فعرفهما وخيره محمد الأمين ﷺ فاختار سيده محمداً ﷺ، فقال له أبوه: يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك!! فانظر كيف أنساه بر مولاه الأمين، وحسن معاملته أهلَه وعشيرته وبلاده!! وفضل العبودية على الحرية، ذلك أنه كان يرى في مولاه الأمين الأهل والعشيرة، والأب والأخ والقريب وما هو أجل من ذلك وأعظم. . عند ذلك أشهد مولاه محمد الأمين ﷺ الناسَ أنه أعتقه وتبناه، وأنه منذ اليوم صار ابنه وارثاً موروثاً، فأصبح ينادى بين الناس زيدُ بنُ محمد وجاء الإسلام فكان أول الموالي إسلاماً[1].

وآخى النبي ﷺ بينه وبين عمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ وزوجه زينب ابنة عمته تكريماً ـ رغم رفضها وفي هذا نزلت الآية الكريمة: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[2].

---

(١) راجع تاريخ الطبري (٢/٢١٥).

(٢) [سورة الأحزاب: ٣٦] وانظر صحيح مسلم حديث رقم (١٤٢٨) في (النكاح) باب (زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب).

ومع إتمام الزواج كانت زينب تضيق به وترى لنفسها ولنسبها من الفضل والسمو وعلو المنزلة ما جعلها تترفع عليه، فكان يشكو ذلك إلى رسول الله ﷺ فكان يأمره بالصبر وحسن المعاشرة.

وقد زعم بعض القدامى والمحدثين أن رسول الله ﷺ رآها بعد ذلك فوقع حبها في قلبه وهي روايات لا تعدو أن تكون من دس القصّاصين ونسج الإسرائيليين الذين ينسبون ما هو أشنع من ذلك لانبيائهم، ومهما قيل في ناقليها من صدق وضبط كالطبري والزمخشري فإن القواعد المقررة التي تثبت العصمة للرسل تؤكد بُعْدَ هذه الأقاصيص عن الحقيقة، وما من شك أن عشق النبي لزوجة رجل آخر يتنافى مع العصمة التي تعني طهارة ظاهرهم وباطنهم من الإثم بل ومن شبه الإثم، ولو قيل عن واحد منا يتكرم في نفسه إنه عشق امرأة صديقه لعامة الناس لتجنبوه فكيف لو كان نبياً ورسولاً، وما معنى حفظ الله له إذا تركه يقع في مثل هذا وكيف وقد أمره الله بعكس ذلك: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ وليست هذه أول فرية في حق نبي تسردها الكتب قديماً ويدافع عنها دون إرادة السوء كاتبون حديثاً، وقد وضعها أعداء الرسل بقصد التطاول على مقام العصمة الواجب لهم.

ويقع بعض المخلصين في إيمانهم من المعاصرين في وهم تأكيد بشرية الرسول بإثبات أمثال هذه الأقاصيص، ونسوا أن الرسل مع أنهم بشر من البشر إلا أن لهم خصوصية ليست لسائر البشر، وهي العصمة التي تنافي كل ما يرذلون به ويعابون، فضلاً عن منافاتها لما به يأثمون، وقصتهم هذه حول السيدة زينب تكاد تتفق مع ما زعموه وردده كثير من المفسرين حول نبي الله داود زاعمين أنه رأى زوجة أوريا فأعجبته، وكيف احتال ليتزوجها مع كثرة ما عنده من الزوجات، وكل موقف من أحداث هذه القصة المزعومة يخرق العصمة، ويهدم طهارة النبوة، وليس إثبات بشرية الرسول ﷺ في حاجة إلى مثل هذه الأقاويل[1] وليست زينب بالتي لم يرها النبي آلاف المرات

(١) وقد رد هذه الأقاويل جهابذة النقاد من ائمة الحديث والفقه كالحافظ ابن حجر في «فتح =

قبل زواجها حتى يفاجأ بعد زواجها بهذا الجمال الباهر، ولو كان الأمر كما يزعمون لتزوجها بكراً، وقد كانت زينب طامعة بهذا الزواج، حريصة عليه.

وقد بينت الآية الكريمة أن هذا الزواج كان أمراً إلهياً، ولم يكن هوى بشرياً، وإن تحرج النبي ﷺ من ملابسات هذا الزواج ومخالفته لعادات قومه هو مناط القضية وليس تحرجه ﷺ من عشق امرأة متزوجة: «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنّة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾[1] فهذا أمر فرضه الله له وبين في السياق اللاحق بل والسابق علته وسببه، ففي الآية قبل ذلك: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾[2] ثم بيّن علة هذا الزواج بقوله: ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ﴾[3] وكان في الآية التالية لفرض هذا الأمر قوله تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾[4].

فالقضية في السياق كله قضية إلغاء أثر التبني وعدم معاملة المتبني مثل ابن الصلب في تحريم زوجته على أبيه.

وقد أخبر الله تعالى النبي ﷺ بما سيقع قبل حدوثه إخبار إعلام لا إخبار تكليف ليهيئه لما سيحدث حين يحدث وهذا هو الذي أخفاه النبي، ولم يحاول رغم علمه بالنتيجة أن يجعل ذلك ذريعة لأمر زيد بطلاقها، فلما

= الباري» (٤٠٣/٨) وابن العربي في «أحكام القرآن» (١٥٣٠/٣، ١٥٣٢) وابن كثير في تفسيره (٤٦٦/٥) والألوسي (٢٤/٢٢، ٢٥).

(١) [سورة الأحزاب: ٣٨، ٣٩].

(٢) [الأحزاب: ٣٧].

(٣) [الأحزاب: ٣٧].

(٤) [الأحزاب: ٤٠].

طلقها زيد أنزل الله ما أخبر به نبيه من أمر زواجه بزينب حتى يكفي النبي ﷺ حرج السعي والخطبة لما يعلمه سبحانه وتعالى من غرابة ذلك الزواج في نفوس القوم، وبهذا لا يكون لرغبة الرسول ﷺ أي دور في إتمام هذا الزواج ليكون أبعد للتهمة وأبرأ لوجدان الرسول ﷺ، فالله سبحانه وتعالى بتدبيره قد تولى الأمر كله، حتى عقد الزواج فالنبي ﷺ أخفى علمه بما سيكون وأخفى تحرجه مما سيقول الناس.

وعاشت زينب في بيت رسول الله عزيزة كريمة برة تقية عابدة زاهدة صناعاً[1] تعمل بيدها لتتصدق، ولهذا تحقق فيها قول الرسول ﷺ لنسائه: «يتبعني أطولكن يداً» وكان طول اليد هو سخاؤها بالصدقة. قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا بعده نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعله حتى توفيت زينب، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن ـ رحمها الله ـ أطولنا فعرفنا أنما أراد الصدقة وكانت صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتصدق[2].

حدثوا أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أرسل إليها عطاءها وهو اثنا عشر ألف درهم فغطته بثوب ثم قالت لبرزة بنت رافع: «أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوي رحمها فقسمته فبقيت منه بقية فقالت لها برزة غفر الله لك، والله لقد كان لنا في هذا حظ، فقالت لها زينب، فلكم ما تحت الثوب، تقول برزة: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً ثم رفعت زينب بيدها داعية فقالت: «اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا»[3].

---

(١) يقال امرأة صناع: إذا كانت لها صنعة تعملها بيدها وتكسب منها، ويقال للرجل صنع النهاية (٣/٥٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١٠٨) وسنده قوي والحاكم في المستدرك (٤/٢٥) وصححه ووافقه الذهبي. وهو في صحيح مسلم برقم (٢٤٥٣) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله ﷺ «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» قالت: فكنّ يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

(٣) طبقات ابن سعد (٨/١٠٩).

واستجاب الله دعاءها فماتت في عامها ذاك سنة عشرين ـ رضي الله عنها ـ وكان أعجب رثاء لها قول منافستها وضرتها عائشة: «لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل» ـ رضي الله عنها ـ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى للّه، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل، والذي تصدّق به وتتقرب به إلى الله تعالى[1].

رحم الله زينب، ورضي عنها، وأعلى في جنات الفردوس درجاتها، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) أخرجه مسلم في (فضائل الصحابة) حديث رقم (٢٤٢٢) وأحمد في المسند (١٥١/٦) وانظر خبر وفاتها في (سير أعلام النبلاء) (٢١٢/٢).

عقيلة خزاعة
السيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية
رضي الله عنها(*)

هي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية.

كانت قبل النبي ﷺ زوجاً لمسافع بن صفوان من بني عمومتها[1].

حدثت غزوة المريسيع وسُبيَ فيها بنو المصطلق لأنهم كانوا وحدهم دون بطون خزاعة يظاهرون قريشاً على رسول الله - ﷺ - وقد بلغ النبي ﷺ أن زعيمهم الحارث ابن أبي ضرار يستعد لغزو المدينة فعاجله النبي ﷺ وأغار عليه عند ماء يقال له المريسيع، فلما هزموا فر من بقي منهم وسبي نساؤهم ومن بين السبايا كانت برة بنت الحارث[2].

ويقول ابن هشام أن أباها ساق إبلاً لفدائها، وحين قرب من المدينة أعجبه من إبله بعيران فأخفاهما في شعب من شعاب وادي العقيق ثم جاء ببقية الإبل إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أين البعيران اللذان بالعقيق؟

(*) راجع سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/١١٦ - ١٢٠) تاريخ الفسوي (٣/٣٢٢) الاستيعاب (٤/٢٥٨) الإصابة (٤/٢٦٥) أسد الغابة (٧/٥٦) تاريخ الإسلام (٢/٢٧٥) تهذيب التهذيب (١٢/٤٠٧) شذرات الذهب (١/٦١) مسند أحمد (٦/٣٢٤، ٤٤٩) المستدرك (٤/٢٥ - ٢٨) مجمع الزوائد (٩/٣٥٠) كنز العمال (١٣/٧٠٦).

(١) ابن سعد في الطبقات (٨/١١٦) والمستدرك (٤/٢٦) الإصابة (٤/٢٦٥).

(٢) الخبر أورده البيهقي في (دلائل النبوة) (٤/٤٦) وابن هشام في السيرة.

فقال الحارث أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله[1].

عند ذلك خطب النبي ﷺ ابنته برة وسماها جويرية[2].

أما رواية أبي داود وغيره فتقول: إن جويرية لما قسم السبي وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وكاتبته لتفدي نفسها على تسع أواق ثم جاءت إلى النبي تستعينه في الاداء فعرض عليها أن يؤدي عنها ويكون ذلك مهرَها فيتزوجها فقبلت.

فلما سمع المسلمون خبر زواجها من النبي ﷺ وفي أيديهم السبايا من قومها قالوا أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوهم جميعاً ولهذا تقول السيدة عائشة: فما نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، وأسلم قومها جميعاً.

وعاشت رضي الله عنها بعد رسول الله ﷺ حتى توفيت سنة ست وخمسين ـ رضي الله عنها.

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام (٣/٣٠٨) السمط الثمين (١١٧) عيون الأثر (٢/٣٠٥).
(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢١٤٠) عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

السيدة صفية بنت حيي
رضي الله عنها(*)

هي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب من بني النضير من سبط هارون بن عمران أحد زعماء اليهود وأمها برة بنت سموأل[1].

كانت زوجاً لسلام بن مشكم الشاعر ثم تزوجت من بعده كنانة بن أبي الحقيق صاحب حصن القموص أمنع حصون خيبر[2]، قتل يوم خيبر.

وقد تزوجها النبي ﷺ في سنة سبع بعد سبيها يوم خيبر، وكانت في سهم دحية الكلبي، ويقال إن النبي ﷺ عوضه عنها حين قيل إنها سيدة قريظة والنضير وما تصلح إلا لك فأعتقها وتزوجها[3].

(*) طبقات ابن سعد (٨/١٢٠ ـ ١٢٩) الاستيعاب (٤/٣٤٦) الإصابة (٤/٣٤٦) أسد الغابة (٧/١٦٩) تاريخ الإسلام (٢/٢٢٨) العبر (١/٨، ٥٦) تهذيب التهذيب (١٢/٤٢٩) شذرات الذهب (١/١٢، ٥٦) مسند أحمد (٦/٣٣٦) المستدرك (٤/٢٨ ـ ٢٩) جامع الأصول (٩/١٤٣) مجمع الزوائد (٩/٢٥٠) كنز العمال (١٣/٦٣٧، ٤٠٧). وسموءل تعريب لاسم (صاموئيل) بالعبرية.

(١) الإصابة (٤/٣٤٦) الاستيعاب (٤/٣٤٦).

(٢) سنن أبي داود حديث رقم (٩٩٥) (٣/٣٩٨).

(٣) البخاري رقم (٤٢٠٠، ٤٢٠١) في المغازي باب (غزوة خيبر) (فتح الباري) (٧/٤٦٩) ومسلم في (النكاح) باب (فضيلة اعتاقه أمة ثم يتزوجها) (٢/١٠٤٣، ١٠٤٥) وأبو داود (٢٩٩٧، ٢٩٩٨) في الخراج والإمارة باب (ما جاء في سهم الصفي) (٣/٣٩٩) والنسائي في (النكاح) باب (البناء في السفر) وابن ماجة رقم (١٩٥٧) في (النكاح) باب (الرجل يعتق أمته ثم يتزوجها).

وفي رواية ابن إسحٰق أنها سيقت مع ابنة عم لها من سبايا حصن القموص يقودهما بلال فمر بهما على قتلى المعركة فصرخت المرأة وصكت وجهها فأمر النبي ﷺ بإبعادها، وأردف صفية خلفه وغطاها بثوب، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه وقال لبلال: «أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما»(١).

ويحكى أن صفية رأت قبل ذلك أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لزوجها فلطم وجهها وقال لها إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب، فلم يزل أثر اللطمة خضرة في عينيها حتى سباها رسول الله ﷺ(٢).

وأعرس بها الرسول ﷺ في الطريق بمكان يقال له (الصهباء)(٣) وأنزلها في المدينة في بيت حارثة بن النعمان وقد تسامع النسوة بجمالها فجئن ينظرن إليها حتى إن عائشة جاءت متنكرة متنقبة لتنظر إليها وعرفها النبي ﷺ فسألها: «كيف رأيت يا شقيراء» فقالت في غيرة: رأيت يهودية، فقال لها الرسول ﷺ: «لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها»(٤).

وقد تكلمت حفصة وعائشة مرة عن أصل صفية اليهودي فجاءت باكية إلى الرسول ﷺ فقال لها «ألا قلت وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى»(٥) وتوفي الرسول الكريم ﷺ وهي في نسائه

---

(١) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (٢٣٢/٤) وذكره ابن حجر في (الإصابة) (٣٤٦/٤ - ٣٤٧).

(٢) البيهقي في (دلائل النبوة) (٢٣٠/٤، ٢٣٢) وأورده ابن حجر في الإصابة (٣٤٧/٤) واللفظ له وجاء في لفظ البيهقي أن الذي لطمها هو زوجها.

(٣) البخاري رقم (٤٢١١) في المغازي باب (غزوة خيبر) (٤٧٨/٧) وأبو داود.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٢٥/٨، ١٢٦) ورجاله ثقات ولكن فيه انقطاع.

(٥) أخرجه أحمد (١٣٥/٣) والحاكم في المستدرك (٩/٤) والترمذي رقم (٣٨٩٤) عن أنس رضي الله عنه وقال حديث حسن صحيح.

عزيزة كريمة، وكانت تضع أيام فتنة عثمان معبراً بين منزلها ومنزل عثمان لتنقل إليه الطعام والماء[1] وتوفيت عام خمسين.

رحم الله صفية، ورضي عنها، فقد بوّأها زواجها المبارك بالنبي ﷺ منزلة عالية، ورفعها إسلامها إلى أن تكون إحدى أمهات المؤمنين الطاهرات، وواحدة من أهل البيت الطاهر الزكي، بيت النبي عليه الصلاة والسلام.

(١) ابن سعد في الطبقات.

السيدة رملة بنت أبي سفيان
أم حبيبة(*)

هي السيدة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، كنيتها (أم حبيبة) وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

ولدت بمكة قبل البعثة بسبعة عشر عاماً وتزوجها حليف قومها عبيد الله بن جحش أخو السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين[1].

وهاجرت أم حبيبة مع زوجها إلى الحبشة وهناك ولدت حبيبة التي بها كنيت وارتد زوجها عن الدين وتنصر هناك أما هي فقد أصرت على الإسلام وانقطع ما بينهما، وقتلت الخمر عبيد الله بن جحش هناك[2].

وأرسل النبي ﷺ يخطبها ووكل النجاشي ليعقد له عليها ـ وكان قد أسلم سراً ـ فأرسل إليها النجاشي من يبلغها ذلك فوكلت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ليزوجها.

وحضر مهاجرو الحبشة مجلس العقد، وقدم النجاشي المهر عن

(*) انظر سيرتها في: طبقات ابن سعد (٨/٩٦ ـ ١٠٠) التاريخ لابن معين (٧٣٦) (تاريخ الفسوي) (٢/٣١٨) الجرح والتعديل (٩/٤٦١) أسد الغابة (٧/١١٥) الاستيعاب (٤/٣٣٩) الإصابة (٤/٣٠٥) شذرات الذهب (١/٥٤) تهذيب التهذيب (١٢/٤١٩) مسند أحمد (٦/٣٢٥، ٤٢٥) والمستدرك (٤/٢٠ ـ ٣٠) مجمع الزوائد (٩/٢٤٩).

(١) الإصابة (٤/٣٠٥) دلائل النبوة للبيهقي (٧/٢٨٥).

(٢) المستدرك (٤/٢٠) طبقات ابن سعد (٨/٩٧) الاستيعاب (٤/٤٤٠).

رسول الله ﷺ، وأقام لهم النجاشي وليمة، وأرسل نساؤه الطرف والهدايا من طيب وغيره إلى أم المؤمنين المهاجرة أم حبيبة.

ومرت الأيام حتى عادت أم حبيبة عام سبعة إلى المدينة مع بقية العائدين من مهاجري الحبشة، وفيهم ابن عم النبي وشبيهه جعفر بن أبي طالب الذي وصل والنبي ﷺ عائد بالنصر من خيبر، فوثب إليه وعانقه وقال له: «أشبهت خَلقي وخُلقي ما أدري بأيهما أسر أكثر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»[1].

وتمر الأيام بعد ذلك، وتنقض قريش عهد الحديبية، ويأتي أبو سفيان إلى المدينة يحاول إصلاح ما فسد، فيبدأ ببيت ابنته أم حبيبة لعلها تشفع له عند النبي ﷺ فيشد في العهد ويزيد في المدة ويزول شبح الحرب.

ولما دخل أبو سفيان بيت ابنته واتجه ليجلس على فراش النبي ﷺ أبت عليه ذلك، وطوت عنه الفراش، فتعجب منها أبوها أشد العجب وسألها: أطويته رغبة بي عن الفراش أم رغبة بالفراش عني؟ فتجيبه: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك فلا ينبغي لك أن تجلس عليه! فيجيبها في حسرة: لقد أصابك بعدي شر[2].

وعاشت بعد رسول الله ﷺ إلى عام أربعة وأربعين في المدينة حيث توفيت رضي الله عنها[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٢١١) وقال: وإنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلاً، وقال الذهبي: «وهو الصواب» وانظر أسد الغابة (١/٣٤٢).

(٢) أخرج الخبر بطوله: ـ
ابن سعد في «الطبقات» (٨/٩٩، ١٠٠) والبيهقي في «الدلائل» (٥/٨ـ٩)، وابن هشام في السيرة ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٢٨٠) وابن القيم في «زاد المعاد» (٣/٣٩٧).

(٣) الاستيعاب (٤/٤٣٩) سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٢).

السيدة ميمونة الهلالية(*)

هي السيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة الحميرية وقيل هي كنانية، والسيدة ميمونة هي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وأبناء جعفر الطيار. وكان اسمها برة فسماها النبي ﷺ ميمونة[1]. وهي أيضاً أخت أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة لأمها.

ترملت ميمونة وهي شابة في السادسة والعشرين، وكان زوجها أبا رهم بن عبد العزى العامري من بني عمومتها[2].

(*) انظر سيرتها في: «الطبقات» لابن سعد (١٣٢/٨)، طبقات خليفة (٨٦٢/٢) أسد الغابة (٢٧٢/٧)، الاستيعاب (٤٠٤/٤)، الإصابة (٤١١/٤) السمط الثمين (١١٣ - ١١٦)، تاريخ الإسلام (٣٢٤/٢)، العبر (٨/١، ٤٥، ٥٧)، مسند أحمد (٣٢٩/٦)، المستدرك (٣٠/٤ - ٣٣) مجمع الزوائد (٢٤٩/٩)، كنز العمال (٧٠٨/١٣). منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ. (٩٣).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي. وابن سعد في «الطبقات» (١٣٧/٨).

(٢) تاريخ الطبري (١٧٨/٣) سير أعلام النبلاء (٢٣٩/٢).

وفي عمرة القضاء في العام السابع من الهجرة خطبها رسول الله ﷺ[1].

وبنى بها الرسول ﷺ عند منصرفه من عمرة القضاء بمكان قرب التنعيم اسمه (سرف)[2] يروي الرواة أنه لما جاءها البشير بخطبة الرسول ﷺ لها، كانت على بعير فألقت بنفسها فرحة وهي تقول: «البعير وما عليه لرسول الله ﷺ»[3]. وعاشت ميمونة في كنف رسول الله ﷺ حتى انتقل إلى جوار ربه. وتوفيت رضي الله عنها بسرف ودفنت بموضع قبتها التي زفت فيها إلى النبي ﷺ رضي الله عنها[4].

هؤلاء هن زوجات رسول الله ﷺ، وهن إحدى عشرة امرأة من أمهات المؤمنين، مات منهن في حياته اثنتان: خديجة وتوفيت في مكة المكرمة، وزينب بنت خزيمة وتوفيت في المدينة المنورة، وتوفي ﷺ عن تسع.

---

(١) طبقات ابن سعد (١٣٢/٨) الإصابة (٤١١/٤)، الاستيعاب (٤٠٥/٤).

(٢) منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (٦٤)، سير أعلام النبلاء (٢٣٩/٢).

(٣) ذكره السهيلي في «شرح السيرة» وانظر: منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (٦٤).

(٤) الحاكم في «المستدرك» (٣١/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وابن سعد في «الطبقات» (١٣٩/٨، ١٤٠) وانظر «الإصابة» لابن حجر (٤١٢/٤).

وقد وجد الطاعنون على الإسلام من اليهود والنصارى، والحاقدون على الإسلام من الملحدين في هذا العدد من أزواجه مطعناً يتطاولون به على مقام النبي ﷺ، ومثارَ شبهة يلقون من خلالها الشكوك في قلوب المسلمين، ويثيرون الحقد على الإسلام عند غير المسلمين.

ولولا أننا نعلم أن كثيراً من أبناء المسلمين تفاجئهم هذه الشبهة وأمثالها، فلا يستطيعون ردها لما استحق هؤلاء الطاعنون أن نلقي لهم بالاً فهم أعمق حقداً وأشد مكراً من أن يطأطئوا رؤوسهم لحق، أو يتراجعوا عن باطل، وهم أعظم جحوداً وعناداً من أن ينفعهم العلم مثلما قال فيهم رب العزة: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ وكما قال فيهم أيضاً ﴿فإنهم لا يكذبونك ـ أي يعلمون أنك رسول الله ـ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾. الأنعام ٣٣

وبيانا لوجه الحق في هذه الشبهة نقول: إن تعدد زوجات رسول الله ﷺ أحد أوجه العظمة التي تشهد له بالرأفة وكمال الخلق وصدق النبوة..

فقد بلغ الخامسة والعشرين من عمره المبارك ولم يعرف عنه ـ وهو المعصوم ـ أنه سعى لامرأة أو قارف إثماً، وقد تزوج خديجة بنت خويلد بعد أن عرضت عليه نفسها ولم يكن هو الذي طلبها، وكان عمره يومها خمساً وعشرين سنة وكانت أكبر منه بخمس عشرة سنة، وقضى سحابة شبابه معها حتى جاوز الخمسين، وتوفيت وهي في الخامسة والستين رضي الله عنها، ولو أن محمداً كان كما يزعمون لتزوج ثانية وثالثة ورابعة في أثناء حياتها، فتلك هي المدة التي يظهر فيها الميل الشديد إلى النساء عند من لهم في النساء رغبة شديدة وميل عظيم، أما أن يقتصر على خديجة وحدها خلال أكثر من خمس وعشرين سنة من شبابه وكهولته فهذا أبلغ رد على من في قلوبهم مرض، وأعظم مقنع لأصحاب العقول السليمة، وطلاب الحق من مسلمين وغير مسلمين.

أما من تزوج من النساء بعد خديجة رضي الله عنها فإن لكل واحدة منهن داعياً دعاه للزواج بها.

فقد تزوج بعدها سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وكانت من السابقات إلى الإسلام، ثم هاجرت مع زوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة، ومات زوجها هناك، وكانت امرأة مسنة ضخمة الجسم قليلة الحسن، لا يطمع بها الرجال، فكان زواجه بها أسىً لجرحها في ترملها وعودتها من الحبشة، وكانت ابنة خاله الأعلى من جهة جده عبد المطلب.

ثم تزوج عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكانت البكر الوحيدة التي تزوجها من بين نسائه جميعاً، وكان زواجه بها تكريماً لوالدها الصديق، وتوثيقاً لعرى الصداقة بينهما، واعترافاً بفضله وسبقه وصدقه وتضحياته الكبيرة التي قدمها في سبيل الله. ولم يكن أحد أسعد بهذا الزواج من عائشة التي صارت سيدة أمهات المؤمنين، وأبيها الذي زاد هذا الزواج أواصر الحب والصلة برسول الله ﷺ حتى بلغ من ذلك أعلى المنازل في هذه الأمة.

ثم تزوج حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد أن استشهد زوجها خنيس بن حذافة في معركة أحد، وقد رأينا كيف عرضها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجيباه[1]، وكيف شكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له: يتزوج حفصة من هو خير منهما، ثم خطبها تطييباً لخاطره، ومساواة منه بين أعظم رجلين في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ، وجبراً لخاطر حفصة المهاجرة المترملة.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة وكان زوجها عبيدة بن الحارث أحد المبارزين الثلاثة الذين بدأت بهم المعركة في بدر فأصيب بجرح ومات على أثره وقد ماتت في حية النبي ﷺ بعد ثمانية أشهر من زواجها.

ـ ثم تزوج أم سلمة وكان زوجها أبو سلمة ـ وهو ابن عمة النبي ﷺ ـ قد

---

(١) انظر خبر ذلك في الصفحة ١٥٩.

هاجر بها إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة!، واشترك أبو سلمة في بدر وأحد ومات على أثر جرح نكأ عليه بعد أحد، وقد تحملت أم سلمة في هجرتيها وفي وفاة زوجها أبي سلمة في مهجرها من الضر والحزن ما حمل رسول الله ﷺ على خطبتها وكان لأبي سلمة أولاد فضمهم النبي إلى عياله، وفاء لابن عمته وأخيه في الرضاع أبي سلمة، وتكريماً لهذه المرأة العظيمة ذات النسب العريق والمجد المؤثل، والتضحيات الكبرى في الهجرة والصبر على الأذى، والترمل في الغربة.

ثم تزوج ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش على ما رأينا من قصتها مع زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ ومولاه، وتزويج الله لها بنبيه إبطالاً لعادة الجاهلية في تحريم زوجة ابن المتبنى على أبيه!!

ثم تزوج جويرية بنت الحارث المصطلقية، وكانت في سبايا المسلمين، فأعتقها ﷺ، ثم جاء أبوها أحد زعماء بني المصطلق فخطبها منه، وتزوجها لتوثيق صلته بزعماء القبائل، وقد رأينا كيف كان عتقه لها سبباً في عتق كل سبايا قومها تأسياً برسول الله ﷺ، كما كان ذلك تعليماً للمسليمن، وبركة على بني المصطلق، الذين أسلموا جميعاً.

ثم تزوج حبيبة بنت أبي سفيان بعد عودتها من الحبشة، وكانت قد هاجرت إليها مع زوجها عبيد الله بن جحش، ثم ارتد زوجها عن الإسلام، ومات في الحبشة، وكان زواجه بها تكريماً لها، وجبراً لخاطرها، وصلة قربى بزعيم مكة، خففت من عداوته، وتألف بها قلبه فلم يرفع بعد ذلك سيفاً حتى دخل الإيمان قلبه غداة الفتح، فصار بعد ذلك من كبار المجاهدين في سبيل الله، وأصحاب الرأي والقيادة لنصرة دين الله، ومعه أبناؤه الأبطال في اليرموك وما تلاها من معارك فتح الشام.

ثم تزوج صفية بنت حيي بن أخطب أحد زعماء اليهود، وكانت في سبي خيبر، فأعتقها وتزوجها فأسلمت، وصارت إحدى أمهات

---

(١) البقرة ٨٩.

المؤمنين الطيبات الطاهرات. وكان زواجه بها تعويضاً لها عن منـزلة أبيها في قومها، ودعوة مفتوحة لمن أراد من اليهود أن يتبع الـرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وقـد كانوا يعرفونـه كما يعـرفون أبنـاءهم، وتخفيفاً من عـداواتهم، وإطفاء لنيران أحقادهم لعلهم يتبعون النبي الذي كانوا معه على ميعاد كما وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾[1].

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت قد تأيمت من زوجها وهي في السادسة والعشرين من عمرها، تزوجها بعد عودته من عمرة القضاء في التنعيم في السنة السابعة للهجرة، وهي خالـة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد، وخالة أولاد جعفر الطيار، وأخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة لأمها، فهي جديرة بهذا التكريم العظيم، وهي آخر من تزوج من النساء.

ومما هو جدير بالتنويه في هذا السياق أيضاً التذكير بأن النبي ﷺ قد تزوج نساءه قبل أن ينزل القرآن بتحديد الأزواج بأربع، فلما نزل لم يؤمر بتطليق، بل نزل القرآن الكريم بالنص على حلهن له بلا حرج: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً﴾[2].

إن بقاء أزواجه التسع خصوصية من خصوصياته، وخصوصية لنسائه،

---

(١) البقرة ٨٩ (٢) الأحزاب ٥٠.

كخصوصية وجوب قيام الليل عليه، وخصوصية تحريم الصدقة عليه وعلى آل بيته وخصوصية عدم توريثه، وخصوصية نسائه في مضاعفة العذاب على الفاحشة، ومضاعفة أعمالهن الصالحة بنص القرآن الكريم: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. ومن يقنت منكن لله ورسوله نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً﴾[1].

ثم نزل القرآن بتحريم زواجه بغيرهن: «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً»[2].

ولو نظرنا في حكمة تحليل أزواجه له لرأيناها في غاية الكمال والجمال والرحمة والإحسان، لأنه لو كلف بتطليق بعض نسائه لوقع هذا الطلاق على النسوة المهاجرات اللاتي ترملن وهن غير مشهورات بجمال، ويكون ذلك خلاف ما كان قد قصد إليه النبي ﷺ حين تزوجهن، كما يكون حطاً لإقدارهن، وخدشاً لكرامتهن بعد أن شرفهن الله بالانتساب إلى أشرف بيت عرفته الأرض، والاقتران بأشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ولو وقع منه تطليق لكان ذلك منافياً لخلقه العظيم، ورحمته ورأفته التي شملت العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون من المطلقين!!

أضف إلى ذلك أن الله عز وجل قد أنشأ صلة الأمومة الشعورية بين أزواج النبي ﷺ وجميع المؤمنين: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . .» ثم حرم زوجاته من بعده على المؤمنين، وعد ذلك إيذاءً للرسول ﷺ، واعتداءً على شرف النبوة العظيم، وجعل ذلك أمراً عظيماً. ﴿. . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من

(١) الأحزاب ٣٠ ـ ٣١.

(٢) الأحزاب ٦.

بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾[1].

* * *

ومن الأمور التي يتطاول بها أعداء الإسلام على مقام النبي ﷺ، ومن في قلوبهم مرض استهجان زواجه ﷺ بعائشة وهي أصغر منه بثلاث وأربعين سنة، وكانت دون العاشرة من عمرها المبارك، ومثل هذه الشبهة كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿.. كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[2].

ومن المؤسف أن كثيراً من المسلمين يعجبون من هذا الأمر، ويشعرون بالارتباك، إذا سئلوا في هذه القضية أو وسوس لهم الشيطان في شأنها، فلا يحيرون جواباً ولا يهتدون سبيلاً!! وربما أصبح بعضهم على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والعياذ بالله!!

وجواباً على هذه المسألة نقول: لا تنظروا أيها المسلمون إلى المسألة بعيون أعدائكم، ولا تضعوا نظارات التشويه التي صنعوها لكم لتروا الأبيض أسود، والجمال قبحاً، والحلال حراماً، والبعيد قريباً، والصغير كبيراً، والممكن مستحيلاً، لا تنظروا إليها بعيون النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، لا تنظروا إليها بمناظير كتاب القصص والأفلام والمسرحيات الفارقة في الإثم، الموغلة في الضلال، الهادفة إلى التلبيس والدس والتزوير.

بل انظروا إلى المسألة بعيون مسلمة وقلوب مؤمنة، واحذروا أن تكونوا آذاناً لأعداء الله وأعداء رسله من كل كافر أو فاسق لا يؤمن بيوم الحساب.

لقد كان هذا الزواج بركة على رسول الله ﷺ، وبركة على عائشة

(١) الأحزاب ٥٤.
(٢) العنكبوت ٤١.

رضي الله عنها، وبركة على أبي بكر رضي الله عنه، وبركة على المسلمين إلى يوم القيامة.

أما بركة هذا الزواج على رسول الله ﷺ فإنه كان أول زواج ببكر، وهي البكر الوحيدة من زوجاته الطاهرات، ولذلك كانت أحب زوجاته إلى قلبه، يحيطها بعطفه وبره ورحمته حتى كان كل نسائه يغبطنها على هذه المنزلة، ويغرن منها غيرة الأنثى من ضرتها الأثيرة، ومن من المسلمين لا يسر بسرور رسول الله ﷺ، ويأنس لأنسه ويرضى لرضاه، ويهوى هواه، إلا أن يكون من أدعياء الحب، ضعفاء الإيمان، أو ممن في قلوبهم مرض والعياذ بالله.

ومن الذي يجرؤ على أن يحرم على رسول الله ﷺ ما أحله الله له ولكل مؤمن من أمته إذا أدى حقوق الله، وحقوق العباد؟!

ومن الذي ينكر أن أطراف هذا الزواج أشرف الأطراف؛ الله الذي أحل ذلك له ولغيره، وقد رأينا ما جاء في حديث البخاري ومسلم والترمذي: (أن جبريل جاء بصورتها في خرقة من حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: (هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)، ثم النبي المؤيد بالوحي، ثم أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله وصديقه وصدِّيقه وصاحبه في الغار، وأفضل أصحابه أجمعين بشهادة القرآن الكريم وكفى بالله شهيداً، وشهادة رسول الله ﷺ، وشهادة الصحابة أجمعين.

والطرف الرابع هو عائشة أم المؤمنين وأعظم نساءَ عصرها رضي الله عنها.

أما الذين يبدون غيرتهم على الأنثى الصغيرة أن يتزوجها من هو في سن أبيها فنقول: ليست هذه هي القاعدة، ولكنها الاستثناء، ورب استثناء خير من قاعدة.

لقد كان رسول الله ﷺ يعامل عائشة أكرم معاملة، وما كانت تشعر قط بفارق السن، لأن زوجها الرؤوف الرحيم الطيب الطاهر الذي استطاع

بما آتاه الله من الحكمة والتأييد أن يكون لها خير رجل لزوجه وخير رجل لأهله، وكما كان خير الأنبياء للناس أجمعين، هذا وإن زواجه بها من دلائل نبوته ﷺ فقد استطاع أن يعيش معها دون أن تشعر لحظة واحدة أنها خسرت من متاع دنياها شيئاً، وإذا كانت الأنثى تحلم بالشباب والجمال، فقد كان رسول الله ﷺ شاباً في كل شيء، حتى وهو نبي يوحى إليه، شاباً في قوته وهيأته، شاباً في حيويته ونشاطه، قد آتاه الله من قوة الشباب ما يعجز عنه أكثر الشباب ـ وربما كان هذا من خصوصياته ـ فقد كان الصحابة يرون أن الله قد آتى نبيه قوة أربعين رجلاً، لذلك كان يطوف ـ إذا شاء ـ في الليلة الواحدة على نسائه كلهن، ويعاشرهن فما يقصر بحق واحدة منهن، وقد آتاه الله من الحسن والجمال ما لم يؤت مثله أحداً من البشر حتى يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ مربوعاً ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه)[1].

أما بركة هذا الزواج على عائشة رضي الله عنها فقد حظيت بأعظم الشرف الذي تطمح إليه امرأة عاقلة، فأصبحت زوجاً لسيد ولد آدم وخاتم النبيين، وصارت إحدى أمهات المؤمنين يذكرها القرآن بذلك إلى يوم القيامة، ونالت بذلك أعلى منازل الجنة مع أزواجه الطيبات الطاهرات، وقد أنزل الله عز وجل في براءتها من حديث الإفك ثلاث عشرة آية في سورة النور كانت كل آية منها درساً بليغاً في تربية الأسرة المسلمة، وإعداد المجتمع المسلم ليكون المجتمعَ الأمثل في الطهر والفضيلة، وشهد الله عز وجل بأنها الزوجة الطاهرة الطيبة للزوج الطاهر الطيب، فأعظم بها من شهادة، وهنيئاً لعائشة شهادة الله وبشارته. ﴿... والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم

(١) متفق عليه.

مغفرة ورزق كريم﴾[1]، وأكرم به من شرف عظيم لعائشة كلما تلا التالون سورة النور، أو سورة الأحزاب، وكلما تحدث المتحدثون بأحاديث عائشة عن رسول الله ﷺ.

ومن بركة هذا الزواج عليها أنها كانت سفيرة النساء إلى زوجها الكريم يسألنها في خاصة شؤونهن فتحمل إليهن جوابه، أو تدخلهن عليه فيسمع منهن ويسمعن منه جواب ما سألن عنه!

ومن بركة هذا الزواج أنها صارت في حياته، وبعد وفاته فقيهة النساء، ومعلمة الرجال يضربون إليها أكباد الإبل من كل فج عميق ليسألوها في مسائل الفقه، ويسمعوا منها حكم الله، وسنة رسوله ﷺ!

ومن بركة هذا الزواج أنها نقلت إلى المسلمين دقائق حياة النبي ﷺ في بيته ومع أهله، وفي عبادته وقيامه، وفي تبتله وبكائه، وفي زهده وورعه، وفي سفره وإقامته، وفي غزواته وحربه، وفي أكله وشرابه ولباسه، وفي حجه وعمرته، وفي كل شأن من شؤونه. ولقد كان زواجه بعائشة إحدى حكم الله في حفظ حياة نبيه ومعرفة دقائقها ممن عندها الخبر اليقين بلا شك ولا ريب!

ومن بركة هذا الزواج على أبيها أبي بكر رضي الله عنه أنه أضاف إلى رابطة الإيمان ورابطة الصداقة ورابطة الصديقية، رابطة النسب والصهر، فازدادت هذه الصلات عمقاً على عمق، وقوة على قوة حتى كان من آخر ما قاله رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفاه الله به أن خاطب المسلمين بمكانة أبي بكر وفضله ومعروفه ومآثره، وأمر أن تسد كل خوخة في المسجد (باب) إلا خوخة أبي بكر التي ما تزال في غرب المسجد، وستبقى إلى آخر الزمان بوصية رسول الله ﷺ تحمل كنيته الكريمة.

ومن بركة هذا الزواج على نساء المسلمين إلى يوم القيامة أنها تأيمت

---

(١) الأحزاب ٢٦.

من رسول الله وهي بنت تسع عشرة سنة، وعاشت حتى بلغت السادسة والستين وقد حرم الله عليها وعلى سائر نساء النبي ﷺ الزواج، فعاشت حياتها عفيفة شريفة طاهرة حصاناً رزاناً، راضية صابرة، ما ندبت حظها من الرجال، فقد فازت بالنصيب الأوفى من رسول الله ﷺ، والشرف الذي لا يدانى، والمنزلة الرفيعة من الجنة، وكانت بذلك المثل والأسوة الحسنة لكل امرأة مسلمة يموت عنها زوجها وهي شابة فترغب عن الزواج رعاية لأولادها، أو يرغب عنها الرجال لأمر قد كتبه الله عليها، وأثبتت أن المرأة إنسان عظيم يملك من أمر نفسه الزمام، فلا تتحكم به غريزة، ولا يميل به هوى، وكانت بذلك المثل الأعلى في الزهد بمتاع الدنيا وزينتها.

وكيف لا تكون كذلك وهي سليلة أبي بكر الصديق، أعظم رجل عرفته الأرض بعد النبيين، أخذت عنه ميراثها من صفاء النفس وصدق الإيمان، ونبل الغاية، ومن الشرف والسيادة ثم انتقلت إلى بيت النبوة ومهبط الوحي، وعاشت مع أزهد رجل في الدنيا، رسول الله ﷺ، وتلقت الدرس العظيم في الزهد يوم نزل القرآن الكريم يخيرها ويخير أزواج النبي ﷺ بين الحياة الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدار الآخرة فكانت أول من اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأبت أن تشاور أبويها في ذلك، ولم تكن يومها غرة صغيرة، بل كانت مدركة عاقلة من أذكى النساء وأعلمهن!

رضي الله عنها وعن سائر زوجاته الطيبات.

«مع النبي ﷺ في بيته»

ومما يجمل ذكره في هذا السياق أسلوب حياته، ونمط عيشه في بيته مع أهله عليه الصلاة والسلام، فقد كان أزهد الناس بمتع الحياة ولذائذ العيش، لا يأخذ من ذلك إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه، وبمقدار ما تدعو

إليه الضرورة، وهو أمر قد ذاعت شهرته، وعرف عنه لدرجة تدعو إلى العجب والتأمل!!

عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: «والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا»[1].

ولم يكن تقشفه عن فقر وقلة مال، فقد فتح له من الأرض، وجاءته الغنائم وكثرت لديه الأموال، وشبع أفقر الناس، وفاضت يداه بالعطاء السخي عن جابر رضي الله عنه: (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا)[1] وعن أنس رضي الله عنه قال: (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل يسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[2].

لقد اختار لنفسه ولأهله هذا النمط الفريد من الحياة زهداً في الدنيا وزينتها، وإيماناً بأن متاعها قليل، وأن الآخرة خير لمن اتقى، ورغبة فيما أعده الله لعباده المتقين، وليكون بيته صلوات الله وسلامه عليه منارة يهتدي بها المسلمون إلى يوم القيامة، يجد فيها الفقراء عزاء لما يواجهون من ضيق وحرمان، مهما بلغ فلن يصل إلى ما كان عليه حال النبي ﷺ. وأزواجه الطيبات الطاهرات، ويجد فيها الأغنياء والمنعمون داعياً إلى التخفيف من المغريات والتقليل من الانغماس في الملذات، وعدم الاغترار بالشهوات، وليكون النبي ﷺ الأسوة لأمته في الغنى والفقر وفي السراء

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.

والضراء، كما أراد له الله سبحانه أن يكون: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»[1].

وبلغ من زهده وتقشفه أن أزواجه رضي الله عنهن لم يطقن في بداية الأمر ما تعرضن له من مشقة وضيق فأجمعن على مطالبته أن يوسع عليهن في النفقة، فأبى، وامتنع عن الخروج إلى الناس حتى عز ذلك على الصحابة، فاستأذن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يأذن، ثم استأذنا فأذن.

وحين علما بما كان من مطالبهن قام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟! فنهاهما الرسول ﷺ، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

ثم أنزل الله عز وجل الخيار: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾[2].

وبدأ رسول الله ﷺ بعائشة - رضي الله عنها وكانت أحب أزواجه إليه - فقال: إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: (يا أيها النبي قل لأزواجك...) قالت: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله!

ثم عرض مثل ذلك على سائر نسائه فما اختارت منهن واحدة الدنيا وزينتها، بل اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقام الأمر بعد ذلك على هذا، فما رغبن عن الآخرة، ولا أسفن على الدنيا حتى لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى. رضي الله عنهن.

---

(٣) الأحزاب ٢١.

(١) الأحزاب ٢٨ - ٢٩.

عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير[1].

فهل بعد هذا كلام لأحد كائناً من كان، إلا أن يكون عدواً لله ورسوله وفي قلبه مرض، وهل لأحد أن يتقدم بين يدي الله ورسوله برأي يعارض حكم الله، ويخالف سنة رسول الله ﷺ.. وقد نهى الله عن ذلك أشد النهي فقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾.

إن الإسلام دين الله المكمل، وإن تشريعه هو التشريع الشامل الذي يسع الناس أجمعين، ويسع أحوالهم على اختلاف الأزمنة والأوضاع.

ولا ينبغي لأحد أن يفهم أن الإسلام يترك للآباء أن يزوجوا بناتهم ـ بغير الكفء ـ حسب ما تدعوهم إليه أهواؤهم، أو تحقيقاً لمصالحهم ومنافعهم المادية فيجعلوا ذلك صفقة تجارية ينالون بها عرضاً من الدنيا، ولا يفعل ذلك إلا معتد ظالم.

لقد جعل الإسلام للزواج شروطاً لا يتم إلا بها، وجعل للبنت الحق في إبداء رأيها وأعطاها الحق في رفض من تشاء من الرجال إذا لم يكن كفؤاً لها، وجعل للقاضي ولاية عامة يستطيع بها أن يمنع أي زواج يقوم على الظلم، أو يحيد عن سنة الحق، وللفقهاء في ذلك كلام كثير، وآراء حكيمة تدل على سمو هذا التشريع وعظمته وخلوده وصلاحه لكل حال وزمان.

وحين يحل الإسلام للفتاة أن تزوج دون البلوغ، أو أن تزوج لرجل

---

(١) رواه البخاري، والمصلية: المشوية.

(٢) متفق عليه. وانظر باب (فضل الزهد...) في رياض الصالحين

كبير السن فإنما يجعل ذلك وضعاً احتياطياً لظروف خاصة، ولمواجهة أحوال خاصة، فلا يطلق ذلك من كل قيد، ولا يجعله تبعاً للمصالح والأهواء، فقد تكون ظروف حربية أو ظروف قرابة أو ظروف إنسانية تحمل على مثل هذا الزواج، ويكون ذلك في أضيق الحـدود، وفي أندر الظروف والأحوال.

مارية القبطية رضي الله عنها
أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ(*)

هي مارية بنت شمعون مولاة رسول الله، وأم ولده إبراهيم. لم تكن من أزواجه، وإنما هي من سراريه، لكنها انفردت بأنها الوحيدة التي أنجبت لرسول الله بعد خديجة[1].

أهداها المقوقس عظيم القبط إلى النبي، ومعها أختها (سيرين) وعبد خصي اسمه مابور وألفُ مثقال ذهباً وعشرون ثوباً من قباطي مصر، وبغلة سميت (دلدل) وحماراً سمي (يعفور) فأهدى النبي ﷺ أختها (سيرين) إلى شاعره حسان ـ وكان ذلك في سنة سبع ـ وحملت مارية في العام التالي ـ وولدت إبراهيم ـ وهي الوحيدة من جواريه التي ضرب عليها الحجاب. رضي الله عنها[2].

(*) راجع سيرتها في:
الاستيعاب (٤/٤١٠)، الإصابة (٤/٤٠٤)، منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (٦٥)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/٤٢٩، ٦/٣٢٢)، «الأسماء واللغات» للبغوي (٢/٣٥٤) «المستدرك» (٤/٣٨).

(١) الاستيعاب (٤/٤١٠)، الإصابة (٤/٤٠٤).

(٢) المستدرك (٤/٣٨)، منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ (٦٦) فما بعدها.

أعمامه ﷺ

كان للنبي ﷺ عشرة من الأعمام هم:

الحارث والزبير وأبو طالب، وحمزة، وأبـو لهب، والغيداق، وذو المقوم، وضرار، والعباس، وقثم، والمغيرة. وقد أسلم منهم اثنان هما حمزة، والعباس رضي الله عنهما.

١ ـ البطل الضرغام
حمزة بن عبد المطلب(*)

هو: حمزةُ بنُ عبد المطلب بنِ هاشم بن عبد مناف.. أسد الله وأسد رسـوله ﷺ.. وعمه.. وأخوه من الـرضاعـة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب.. وكنيته أبو عمارة.

وأمه: هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي بنت عم آمنة

(*) انظر سيرته رضي الله عنه في:

طبقات ابن سعد (٨/٣)، تاريخ خليفة (٦٨)، تاريخ الطبري، (٣٣٤/٢) تهذيب الأسماء واللغات ـ للنووي (١٦٨/١) أسد الغابة (٥١/٢)، العبر (٥/١) الاستيعاب (٢٧١/١) الإصابة (٣٥٥/١) شذرات الذهب (١٠/١) الجرح والتعديل (٢١٢/٣)، صفة الصفوة (٣٧٠/١) المستدرك (١٩٣/٣) معجم الطبراني الكبير (١٤٩/٣ ـ ١٦٧) مجمع الزوائد (٢٦٦/٩ ـ ٢٦٨).

بنت وهب أم رسول الله ﷺ وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب، أم الزبير بن العوام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

ولد حمزة ـ رضي الله عنه ـ قبل رسول الله ﷺ بسنتين وقيل بأربع. وكان فارساً من فرسان قريش وسادتها وأسخيائها المعدودين.

أسلم ـ رضي الله عنه ـ في السنة السادسة من مبعث رسول الله ﷺ فعز به رسول الله ﷺ والمسلمون وثبت لهم بعض أمرهم وهابتهم قريش وعلموا أن حمزة سيمنعه[1].

لازم حمزة ـ رضي الله عنه ـ نصر رسول الله ﷺ .. وهاجر إلى المدينة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وشهد بدراً، وبارز وأبلى فيها بلاءً عظيماً، وقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد بسيفين، حتى قتل شهيداً، وهو سيد الشهداء رضي الله عنه.

(مناقبه)

الأحاديث الواردة في مناقبه:

روى جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب»[2].

وفي رواية عنه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[3].

---

(١) الطبراني في (الكبير) برقم (٢٩٢٦) (٣/١٥٣ ـ ١٥٤)، والطبري (٢/٣٣٤) وابن سعد (٣/٩) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٦٧) وقال: أخرجه الطبراني في الكبير بإسناد رجاله ثقات، وانظر قصة إسلامه في (سيرة بن هشام).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٩٩)، وهو طرف من حديث طويل عن جابر، وصححه ووافقه الذهبي. والطبراني في «الأوسط» وفي إسناده حكيم بن زيد، قال الأزدي: فيه نظر وبقية رجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٩/٢٦٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٩٥) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: الصفار لا يدرى من هو.. ولكن للحديث طرق فيقوى بها ويصح إخراجه. البغدادي (٦/٣٣٧) بإسناد حسن.

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كان حمزة يقاتل في يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: «أنا أسد الله»[1].

وعن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم: لقد نزلت هذه الآية: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾[2] في علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، اختصموا يوم بدر»[3].

وفاته رضي الله عنه:

استشهد حمزة ـ رضي الله عنه ـ في غزوة أحد، فقتل غدراً بعد أن أبلى فيها بلاءً حسناً، وقتل حوالي ثلاثين رجلاً من المشركين[4] وقصة استشهاده مشهورة أخرجها البخاري[5] وغيره وكان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، وهو في الرابعة والخمسين من عمره .

وفيه وفي أمثاله نزل قول الله عز وجل: ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ وجاءت شقيقته صفية يوم أحد معها ثوبان لحمزة فلما رآها رسول الله ﷺ كره أن ترى حمزة على حاله، وكان المشركون قد مثلوا به تمثيلاً شنيعاً، فبعث إليها ابنها الزبير يحبسها.

قال الزبير: فخرجت أسعى إليها فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٩٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٩٦٦) في (المغازي) وفي (التفسير) فتح الباري (٢٩٦/٧)، (٤٤٣/٨).
ومسلم في صحيحه (٢٣٢٣/٤) وابن ماجة (٢٨٣٥).

(٢) الاية (١٩) من سورة الحج ١٩.

(٣) بارز الثلاثة الأوائل وهم مسلمون الثلاثة الأواخر من المشركين يوم بدر، وقد قتل المشركون الثلاثة.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ـ للنووي ـ (١٦٩/١).

(٥) البخاري رقم (٤٠٧٢) في (المغازي) باب (قتل حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه).

(٦) الأحزاب ٢٣.

قال: فلدمت[1] في صدري وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك[2] لا أرض لك، قال فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك قال: فوقفت[3] وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله فكفنوه فيهما. قال فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فُعِلَ به كما فعل بحمزة. قال فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له. فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له»[4].

وحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً، ووقف عليه حين قتل ومثل به، فجعل ينظر إليه وهو يتألم ويقول «رحمك الله.. أي عم لقد كنت وصولاً للرحم.. فعولاً للخيرات.. لن أصاب بمثلك بعد اليوم»[5] وقد واسى الله عز وجل نبيه ﷺ في حمزة وإخوانه الشهداء ونهاه عن التمثيل بقتلى المشركين انتقاماً لحمزة، وعزاه به وصبره فيه؛ فقال عز وجل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾[6] وفي حمزة وشهداء أحد نزل قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون...﴾[7]... رحم الله حمزة سيد الشهداء، وهنيئاً له في الخالدين.

---

(١) ضربت ودفعت. (٢) ابتعد عني، ودعني.

(٣) انظر هذه الطاعة والامتثال لأمر رسول الله ﷺ في أصعب المواقف، حيث يفلت زمام السيطرة على النفس!!.

(٤) سنده جيد أخرجه أحمد في «المسند» (١/١٦٥)، والبيهقي في سننه (٤/٤٠١ ـ ٤٠٢) من حديث عروة بن الزبير عن أبيه الزبير ـ رضي الله عنهما، وانظر إلى هذه الأخلاق، وهذا الإيثار، وهذا الحياء من الله!!.

(٥) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) (٣/٨) والحاكم في (المستدرك) (٣/١٩٤)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/٣٧٥). (٦) النحل ١٢٦ ـ ١٢٧. (٧) آل عمران ١٦٩.

(٦) النحل ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٧) آل عمران ١٦٩.

العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله ﷺ

هو: أبو الفضل: العباس بنُ عبد المطلب.. عمُّ رسول الله ﷺ ولد قبله بسنتين أو ثلاث.

عن أبي رزين قال: قيل للعباس، أنت أكبر أو النبي ﷺ قال رضي الله عنه: هو أكبر وأنا ولدت قبله[1].

وأمه: نتيلة بنت جناب بن كليب، أول عربية كست الكعبة الحرير. قالوا سببه: إن العباس ضاع وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسوها، فوجدته ففعلت[2].

وكان العباس ـ رضي الله عنه ـ من سادة قريش في الجاهلية والإسلام وكانت إليه السقاية وعمارة المسجد الحرام. حضر مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة ـ حين بايعه الأنصار ـ قبل أن يسلم فبايعهم النبي ﷺ والعباس آخذ بيده يؤكد له البيعة[3].

خرج العباس ـ رضي الله عنه ـ مع المشركين إلى بدر مكرهاً وأسر وفدى نفسه، ورجع إلى مكة، وقيل: إنه أسلم وكتم إسلامه وصار يكتب لرسول الله ﷺ بأخبار قريش، وكان عوناً للمسلمين المستضعفين بمكة،

---

(١) كنز العمال (١٣/٥٢١)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٧٠) وقال: رواه ورجاله رجال الصحيح.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٥٧).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/٧ ـ ٨)، وانظر هذا الحرص وهذا الحب وهذه الغيرة على ابن الأخ الأمين، رغم أنه كان مخالفاً له في الدين، واقرأ تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام.

وأراد أن يهاجر إلى المدينة، فقال له الرسول - ﷺ - «مقامك بمكة خير»[1].

ثم هاجر قبل فتح مكة بقليل، وشهد الفتح، ويوم حنين ثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس، وكان آخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ فأمره النبي ﷺ أن ينادي في الناس بالرجوع فنادى فيهم - وكان صيتاً - فأقبلوا عليه، وحملوا على المشركين فهزموهم ..

وكان رسول الله ﷺ يجله إجلال الوالد فيعظمه ويفخمه ويبره، وكانت الصحابة تقدمه وتشاوره فقد كان صاحب رأي سديد، جواداً وصولاً لأرحام قريش محسناً إليهم.

قال الزبير بن بكار: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم وجفنة لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم .

وفي ذلك يقول إبراهيم بن هرمة:

وكانت لعباس ثلاث نعدها ... إذا ما جناب الحي أصبح أشهبا
فسلسلة تنهى الظلوم وجفنة ... تباح فيكسوها السنام المزغبا
وحلة عصب ما تزال معدة ... لعار ضريك ثوبه قد تهببا[2]

وكان عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - يكرمانه ويبجلانه، فكان العباس - رضي الله عنه - إذا مر بعمر، أو عثمان - في أيام

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/١٠) الحاكم في المستدرك (٤/٣٢٣ - ٣٢٤) وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: والصحيح أن العباس أسلم يوم بدر.
ذكره النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢٥٨) وعزاه إلى مسند أبي يعلى الموصلي عن سهل الساعدي.
وانظر الطبقات (٤/١٠) والمستدرك (٤/٣٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/٩٩).
مسلم حديث رقم (١٧٧٥) في (الجهاد) باب (في غزوة حنين) والحاكم (٣/٣٢٧، ٣٢٨)، وعبد الرزاق (٩٧٤١)، وانظر «فتح الباري» (٨/٢٤).

(٢) سير أعلاه النبلاء (٢/٨٠) ومعنى منظره لجاهلهم: حلمه وعفوه
ومعنى الأبيات: من أخلاق العباس التي اشتهر بها في شدة السنين: الأخذ على يد المعتدين، ونحر الإبل لإطعام الجائعين، وكسوته العارين.

خلافتهما - وهما راكبان ترجلا حتى يجاوزهما إجلالاً لعم رسول الله ﷺ[1].

وثبت في صحيح البخاري - وغيره - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس - رضي الله عنه - فيقول: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا» فيسقون[2].

الأحاديث الواردة في فضله:

عن سعيد بن جبير قال: أخبرني ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال «العباس مني وأنا منه»[3].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كنا في بقيع النخل، فأقبل العباس فقال رسول الله ﷺ: «هذا العباس بن عبد المطلب، أجود قريش كفاً وأوصلها»[4].

وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٩٣).

(٢) البخاري في (الاستسقاء) باب (سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، وفي فضائل الصحابة باب (ذكر العباس).

قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» وقد بين الزبير بن بكار في «الأنساب» صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والقول الذي وقع فيه ذلك فاخرج بإسناد له إن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني في نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس، وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة.

(٣) الترمذي رقم (٣٧٥٩) في (المناقب) باب (مناقب العباس - رضي الله عنه -) (٥/٦١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.. والنسائي في الكبرى في (المناقب) باب (العباس ابن عبد المطلب) والحاكم في (المستدرك) (٣/٣٤٥) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد (١/١٨٥) والبزار وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح ما عدا محمد بن طلحة =

فقال ﷺ ما أغضبك؟ قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير،قال:فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله». ثم قال: «يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه»[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ للعباس: إذا كان غداة الاثنين فأتني وولدك حتى أدعو لك بدعوة ينفعك الله بها وولدك. فغدا وغدونا معه.

وألبسنا كساء ثم قال: «اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهم احفظه في ولده»[2].

وفـاتــه:

توفي ـ العباس ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وكان في نحو الثامنة والثمانين من عمره، وصلّى عليه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ودفن بالبقيع ـ رضي الله عنه وأرضاه [3].

= التيمي، قال أبو حاتم: محله الصدق يكتب حديثه ولا يحتج به، وذكره ابن حبان في «الثقات وقال: ربما أخطأ» ووثقه غير واحد «مجمع الزوائد» (٩/٢٦٨) «وتهذيب التهذيب» (٩/٢٣٧).

وأخرجه أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٣/٣٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٥٨) في (مناقب العباس ـ رضي الله عنه) والنسائي في «السنن الكبرى» في «المناقب» باب (العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح والصنو: المماثل والمشابه.

(٢) حديث رقم (٣٧٦٢) في (المناقب) باب (مناقب العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه). (٥/٦١١) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٥٨) سير أعلام النبلاء (٢/٩٧).

طبقات ابن سعد (٤/٨١)، الاستيعاب (٤/٣٤٥) أسد الغابة (٧/١٧٣) الإصابة (٤/٣٤٨) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٤٩)، طبقات خليفة (٣٣١)، تاريخ الإسلام (٢/٣٨)، المستدرك (٤/٥٠ ـ ٥١) مجمع الزوائد (٩/٢٥٥)، كنز العمال (١٣/٦٣١).

عماته ﷺ

كان لرسول الله ﷺ ست عمات هن: أم حكيم وهي البيضاء، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة. أسلمت صفية، واختلف في إسلام أروى وعاتكة. وعاتكة هي التي رأت رؤيا غزوة بدر، وقصتها مشهورة.

أما صفية فهي بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.. عمة رسول الله ﷺ وشقيقة أسد الله حمزة.. وأم الزبير حوراي رسول الله ﷺ صحابية شجاعة.. شاعرة.

كان أول من تزوجها الحارث بن حرب بن أمية، أخو أبي سفيان بن حرب، ثم هلك عنها وتزوجها العوام بن خويلد، أخو سيدة النساء خديجة بنت خويلد، فولدت له: الزبير والسائب[1] وعبد الكعبة[2].

كانت من المهاجرات الأول وقد أجمعوا على إسلامها بين عماته ﷺ قال الذهبي: «وما أعلم من أسلمت مع حمزة أخيها إلا أم الزبير وولدها»[3].

ويوم أحد استشهد أخوها حمزة ـ سيد الشهداء ـ فوجدت على مصرعه وكانت من الصابرات المحتسبات...

---

(١) السائب: صحابي، شهد بدراً والخندق وغيرهما واستشهد باليمامة ولا عقب له ـ كما في الإصابة

(٢) الطبقات: لابن سعد (٤١/٨)، الاستيعاب (٣٤٥/٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢٧٠/٤).

ويوم الخندق: كانت في حصن حسان بن ثابت فنزلت من الحصن وقتلت يهودياً بعمود.

عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ عن صفية الهاشمية قالت: «أنا أول امرأة قتلت رجلاً: كنت في (فارع) ـ حصن حسان بن ثابت ـ وكان حسان معنا في النساء والصبيان حين خندق النبي ﷺ.

-قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن فقلت لحسان: إن هذا اليهودي بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فقم إليه فاقتله».

قال: «يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب.. والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا»[1].

قالت صفية «فلما قال ذلك.. ولم أرَ عنده شيئاً احتجزت[2] وأخذت عموداً من الحصن ثم نزلت إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت إلى الحصن فقلت: «يا حسان انزل فاسلبه فإنه لم يمنعني أن أسلبه إلا أنه رجل»[3].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[4] قام النبي ﷺ فقال: «يا فاطمةُ بنتَ محمد، يا صفيةُ بنتَ عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً. سلوني من مالي ما شئتم»[5].

---

(١) أي: لست أجرأ على قتله.

(٢) أي: شدت وسطها.

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك) (٥١/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: عروة لم يدرك صفية.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٤/٦) وقال رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ولكنه مرسل. وانظر كنز العمال (٣٧٦٠٠).

(٤) سورة الشعراء الآية: ٢١٤.

(٥) مسلم رقم (٢٠٥) في (الإيمان) باب (قوله تعالى ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾) والترمذي =

وهي ـ رضي الله عنها ـ القائلة تندب رسول الله ﷺ :

عينِ جودي بدمعة وسهود ... واندبي خير هالك مفقودِ
واندبي المصطفى بحزن شديد ... خالَطَ القلب فهو كالمعمودِ
كدت أقضي الحياة لما أتاه ... قدر خط في كتاب مجيدِ
فلقد كان بالعباد رؤوفاً ... ولهم رحمةً وخيرَ رشيدِ
رضي الله عنه حياً وميتاً ... وجزاه الجنان يوم الخلودِ[1]

توفيت صفية ـ رضي الله عنها ـ في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة عشرين، ولها بضع وسبعون سنة.. ودفنت بالبقيع[2].

رضي الله عن صفية، ما أبرها وأتقاها، وليهنها أنها عمة رسول الله ﷺ.

سراريه ﷺ

سلمى (أم رافع)، ميمونة بنت سعد، خضرة، رضوى، رزينة، أم ضميرة، ميمونة بنت أبي عسيب، مارية، ريحانة.

رقم (٢٣١٠ و٣١٨٤) في (الزهد) باب (ما جاء في إنذار النبي ـ ﷺ ـ قومه) وفي (التفسير) باب (ومن سورة الشعراء) (٤/٤٨٠، ٥/٣١٦)، والنسائي في (الوصيات) باب (إذا أوصى لعشيرته الأقربين) (٦/٢٥٠)، وأحمد (٦/١٨٧).

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧١).

(٢) تهذيب الأسماء (٢/٣٤٩) الإصابة (٤/٣٤٨)، الاستيعاب (٣/٣٤٥).

مواليه ﷺ

أسلم وكنيته أبو رافع، وأبو رافع آخر، ولـه ولد يسمى البهي، وأحمر، وأسامة بن زيد، وأفلح، وأنسة وكنيته أبو مسروح، وأيمن ابن أم أيمن، وثوبان وكنيته أبو عبد الله، وذكوان ويقال هو مهران وقيل طهمان، ورافع، ورباح الأسود، وزيد بن حارثة، وزيدان بن بولا، وسابق سالم، وسلمـان الفارسي، وسليم وكنيتـه أبو كبشـة، وقيل هـو أوس، وسعيد أبو كندير، وشقران واسمه صالح، وضميرة بن أبي ضميرة، وعبد الله بن عبد الغفار، وفضالة اليمني، وكيسان، ومهران وكنيته أبو عبد الرحمٰن وهو سفينة، وقيل بل سفينة اسمه رومان وقيل عيسى، ومدعم، ونافع، ونفيع وكنيتـه أبـو بكـرة الثقفي، وورِدان، وهشـام، ويسـار، وأبـو أثيلة، وأبو الحمراء، وأبو السمح، وأبو ضميرة، وأبو عبيدة واسمه سعيد وقيل عبيد، وأبو مويهبة، أبو واقد، وكركرة، ومابورا، وأبـو لبابـة، وأبو لقيط، وأبو هند.

خاتمـــة

وبعد فإنني وقد أوفيت علىٰ النهاية من هذا العمل، وبذلت فيه هذا الجهد المتواضع التمس به رضوان الله عزَّ وجل، وفاءً لآل بيت النبي الأعظم ﷺ، البيت الذي حاز الشرف الأكبر، والغاية العليا، فإنني أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من تعريف أمتنا عامة وناشئتنا خاصة بمكانة هذا البيت الذي أعلىٰ الله في العالمين قدره، وأذهب عنه كل رجس، وطهَّره أعظم تطهير، وجعل سبب شرفه وسر فضله في انتسابه إلىٰ سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين.

كما أرجو أن يحقق الله تعالى به الغاية التي يحملها عنوان هذا الكتاب ليكون ذلك بين يدي حبنا لله ورسوله، وحب آل بيته، ومعرفة أقدارهم ونبلهم وفضلهم وسمو منازلهم، ومَعلَماً على طريق التأسي بهم رجالاً ونساء، عسى أن يكون في بيوتنا أمهات طيبات صالحات لا تغرهن الحياة الدنيا وزينتها، ولا تخدعهن المظاهر الزائفة، ولا تصرفهن عن الحق المغريات مهما تزينت لتربية ذرية صالحة، وإعداد ناشئة تتلقى أمر الله ورسوله بالحب والطاعة والقبول، وتتخلق بأخلاق سلف هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في بيوتنا ذرية صالحة تتطلع إلى تلك النماذج الفذة من آل البيت فتتخلق بأخلاقها، وتمشي على آثارها في صدق الإيمان، وسمو الغاية، وقوة الإرادة، وسمو القصد، وجميل الصبر، وعظيم الخلق.

وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا الأدب مع سيدنا محمد ﷺ وآل بيته

الطيبين الطاهرين، ومع أصحابه الكرام البررة، وأن يعرفنا أقدارهم وحقوقهم، وحسن الأدب معهم، وأن يحفظ ألسنتنا عن الخوض فيما لا يعنينا، وأن نتعلم وجوب السكوت عما شجر بينهم، فقد كانوا مجتهدين ناصحين مخلصين لله فيما اختلفوا فيه.. وأن نكرمهم ونعاملهم بما يليق بهم وبآل بيت رسول الله ﷺ أمتثالاً لأمره بمودة لقرابته، وتقوى لله في عترته وصلة لآله.

اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

المصـادر والمـراجـع

ـ القرآن الكريم.

أخبار أصبهان لأبي نعيم.

أخبار القضاة لوكيع

الاستيعاب لابن عبدالبر

أسد الغابة بمعرفة الصحابة لابن الأثير الجزري.

الإصابة لابن حجر.

الإكمال لابن ماكولا

الإيمان لابن منده

البداية والنهاية لابن كثير

التاريخ لابن معين

تاريخ أبي زرعة الدمشقي

تاريخ الإسلام للإمام الذهبي

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

تاريخ الخلفاء للسيوطي

تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري

التاريخ الصغير للبخاري

التاريخ الكبير

تاريخ الفسوي المعرفة والتاريخ

تبصير المنتبه بن حجر

تجريد أسماء الصحابة للذهبي

تحفة المودود لابن القيم

الترغيب والترهيب للمنذري

التفسير لابن أبي حاتم

تفسير الطبري جامع البيان
تفسير القرآن العظيم لابن كثير
التلخيص الحبيسر لابن حجر
تهذيب الأسماء واللغات للنووي
تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن منظور
تهذيب الكمال للمزي
جامع الأصول لابن الأثير الجزري
الجامع الصحيح للبخاري
الجامع الصحيح للترمذي
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي
حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني
خصائص الإمام علي للنسائي
الخصائص الكبرى للسيوطي
خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي
الخليفة المفترى عليه محمد الصادق عرضون
در السحابة للشوكاني
الدر المنثور للسيوطي
دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني
دلائل النبوة للبيهقي
دخائر العقبى في مناقب ذوي القربى
الذرية الطاهرة للدولابي
الروض الأنف للسهيلي
الرياض النضرة للمحب الطبري
زوائد الفضائل للقيطعي
سبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية)
السمط الثمين للطبري

سنن أبي داود
سنن الترمذي (الجامع الصحيح)
سنن بن ماجـه
سنن النسائي
السنن الكبرى للبيهقي
السيدة خديجة ـ أحمد الشهاوي وسعد شرف الدين
سير أعلام النبلاء للذهبي
السير والمغازي لابن إسحاق
السيرة النبوية للذهبي
السيرة النبوية لابن كثير
السيرة النوية لابن هشام
شذرات الذهب لابن العماد
شرح السنة للبغوي
شرح المواهب للقسطلاني
صحيح مسلم للامام مسلم
صفة الصفوة لابن الجوزي
الطبقات لخليفة بن خياط
الطبقات الكبرى ابن سـعد
العبر في خير من غبر للذهبي
العقد الثمين في أخبار البلد الأمين
عمل اليوم والليلة للنسائي
عمل اليوم والليلة لابن السنّي
العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربى
عيون الأثر لابن سيد الناى
غريب الحديث للخطابي
فاطمة الزهراء لتوفيق أبوعلم

فاطمة الزاهراء والفاطميون عباس محمود العقاد
فتح البـاري لابن حجر
فرائد السمطين لابن المؤيد الجويني
فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل
فضائل الصحابة للنسائي
قبائل الطائف وأشراف الحجاز للشريف محمد بن منصور آل زيد
الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر
الكامل في التاريخ لابن الأثير
الكامل في الضعفاء لابن عدي
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
المحبر لابن حبيب
المحلّى لابن حـزم
مرآة الجنان لليافعي .
مروج الذهب للمسعودي
المستدرك للحاكـم
مسند أحمد بن حنبل
مسـند الحميدي
مسـند الدارمي
مسـند الطيالسي
مشـكل الآثار
مصنف ابن أبي شيبة
المصنف لعبدالرزاق
المطالب العالية
المعارف لابن قتيبة
المعجم الصغير للطبراني

المعجم الأوسط للطبراني
المعجم الكبير للطبراني
معجم البلدان ياقوت الحموي
معجم مقاييس اللغة لابن فارس
معرفة الصحابة لأبي نعيم
معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري
المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان القسوي - تاريخ القسوي
المغانم المطابة
ملتقى الأصفياء
المناقب للخوارزمي
مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي
منتخب من كتاب أزواج النبي
منهاج السنة لابن تيمية
موارد الظمآن لابن حبان
الموطأ للإمام مالك
نسب قريش للزبير بن بكار
نهاية الأدب للنويري الأرب
النهاية في غريب الحديث لابن الجزري
الوافي بالوفيات للصفدي
الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي
الوفا بأصول المصطفى لابن الجوزي
وفيات الأعيان لابن خلكان

الفهرس

الفهرس

طبع للمؤلف

١ ـ علمو أولادكم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٢ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٣ ـ تأدبوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٤ ـ هكذا صام رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٥ ـ المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية.
٦ ـ حوار مع البهائيين.
٧ ـ البابية.
٨ ـ أفريقيا لماذا؟ لا تضيعوا أفريقيا كما ضاعت الأندلس.
٩ ـ للعقلاء فقط ١/٢ .
١٠ ـ قادم من بكين الإسلام بخير.
١١ ـ وكشفت أزمة الخليج عوراتنا.
١٢ ـ نظرات علمية حول غزو الفضاء.
١٣ ـ الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال.
١٤ ـ أقمار الفضاء غزو جديد.
١٥ ـ الجيولوجيا الاقتصادية.
١٦ ـ وداعاً هالي.
١٧ ـ قصص وروايات
اليد السفلى.
١٨ ـ فتاة من حائل.
١٩ ـ جراح البحر.
٢٠ ـ امرأة في الظلال.
٢١ ـ مشرد بلا خطيئة.
٢٢ ـ ABOY FROM MAKKAH

كتب تحت الطبع

١ ـ علموا أولادكم محبة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٢ ـ قضايا تعليمية.
٣ ـ هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٤ ـ الأقليات المسلمة في العالم.. وا اسلاماه.
٥ ـ روسيا والمسلمون ومحنة الانفتاح الجديد.
٦ ـ الخليفة الخامس.
٧ ـ THE MEANING OF ISLAM

الدكتور محمد عبده يماني

علموا أولادكم محبة رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم

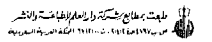
دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

مؤسسة علوم القرآن
دمشق - بيروت



الدكتور محمّد عبده يماني

دار القبلة للثقافة الاسلامية
جدّة


طبعت بمطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر
المملكة العربية السعودية